جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليـــا

التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري
(دراسة موازنة)

إعداد
محمود لطفي نايف عبد الله

إشراف
أ. د. وائل أبو صالح

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين.

2009م

التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري
(دراسة موازنة)

إعداد
محمود لطفي نايف عبد الله

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 19 / 1 / 2009م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
أ. د. وائل أبو صالح / مشرفا ورئيساً	....
د. فيصل غوادرة / ممتحنا خارجيا	....
د. عبد الخالق عيسى / ممتحنا داخليا	....

الإهـــــداء

إلى الحبيـــــب المصطفى النبي الأمـــين صلى الله عليه وسلم، وصـــحابته الكرام، والتابعيـــن ومـــن تبعهـــم بإحســـان إلـــى يـــــوم الديـــن...

إلــــى والــــدي ووالدتي الحنونيـــن، شــــعاع دربــــي، ونـــــور حياتــــي، وجناحـــي قلبــــي...

إلى زوجتي الأمـــــل الباســــم في حياتي (أم مجدي)...

إلى فلـــــــذة كـــبدي وكواكـــب دربي، أبنائي وبناتي...

إلى ســـلاحي وسندي وعضدي، إخوتي وأختي الوحيدة...

إلى صديقــــي العزيز خميـــس العجمـــي رفيق حياتي...

إلى كل الذين ســـــاهموا في إخراج هـــــــذا البحث...

إليهم جميعاً أهـــــدي باكورة جهدي...

شـــــــكر وتقدير

الحمد والشـــــــــكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقني إلى إنجاز هذه الدراسة، ســـائلاً إياه التوفيق والســـداد، والثبات على الحق...

ويســـرني أن أتقدم بوافر الشكر، وجميل العرفان، وصادق المحبة، إلى أســـتاذي ومشرفي، الأستاذ الدكتور وائل أبي صـــــالح، الذي تجشم عناء الإشـــــراف على هذا البحث، فقد كان نعم الأســـــتاذ الموجــه، ونعم الصديق الرفيق، لقد أحاطني برعايته وعنايته منـــذ بداية دراستي، وكان لي خـــير عـــون، وأمدني بتوجيهاته ونصائحه ومنحني من جهده ووقته ما يعجز اللســـان والقلم عن القيام بشـــــكره....

كما أشـــكر الدكتور عبد الخالق عيـــــسى، والدكتور فيصـــل غوادرة، على تفــــضلهما بالمشـــاركة في مناقشة هذه الرسالة...

ولا أنـــــسى أن أتقــدم بالشـــــكر الجزيـــــل لصديقـــي وأخـــــي الشـــــــيخ خميس العجمـــي، الـــذي لـــم يضـــن عليّ بتقديـــم يـــد العـــون والمســـــاعدة، فـــربَّ أخ لك لـــم تلـــده أمـــك...

فجزى الله الجميع عنا خيراً وجعل ما قدّموه في ميزان حســـــناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مـــن أتى الله بقلب ســـليم....

والله أســــــأل أن يتقبل هـــذا العمل العلمي المتواضـــع، خالصاً لوجهه الكـــريم وعلى الله قصـــد الســــبيل...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين...

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري (دراسة موازنة)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	**اسم الطالب:**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ: 2009/2/12م**

فهـــــرس المحتويات

التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري

(دراسة موازنة)

إعداد

محمود لطفي نايف عبد الله

إشراف

أ.د وائل أبو صالح

الملخص

تناولت هذه الدراسة الموازنة بين شعر الزهد عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري على المنهج التحليلي، وكانت موزعة على ثلاثة فصول:

1. الفصل الأول، شمل الدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، فالدوافع العامة لشعر الزهد لدى أبي العتاهية هي: الحياة الاجتماعية، والحياة السياسية.

أما الدوافع الخاصة فهي: الخوف والضعة، وغريزة الدفاع والتكيف، وبخله وحرصه، ومجتمع العامة، ونيران المظالم، ورائحة الموت، وسماته النفسية واستعداده الفطري.

أما بالنسبة لأبي إسحاق الإلبيري، فالدوافع العامة لشعره الزهدي هي:

الأوضاع السياسية، والأوضاع الاجتماعية، أما الدوافع الخاصة فهي: عمله بالقضاء، والتأثر بشعراء المشرق.

2. الفصل الثاني، تناول موضوعات شعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، وهي:

أولاً: الموت.

ثانياً: الدنيا.

ثالثاً: الوعظ والنصح.

رابعاً: ذم حياة الملوك.

خامساً: عواقب الموت.

سادساً: الحكم والأمثال.

سابعاً: الشيب والسخرية من الشيخ المتصابي.

3. الفصل الثالث وتناول السمات الفنية لشعر الزهد لدى أبي العتاهية، وأبي إسحاق الإلبيري، من حيث اللغة، والصورة الفنية، والموسيقا.

وقد تناولت في موضوع اللغة: شكل القصيدة وأسلوبها، وقرب المعنى وسهولة اللفظ، والتأثر بالمعاني الإسلامية والأجنبية، والجمل الخبرية والإنشائية، والشعبية الشعرية، والطباق، والترادف.

وقد تناولت في موضوع الصورة الفنية التشبيه بأنواعه، المفرد، والتمثيلي، والضمني، والاستعارة بأنواعها، والمجاز المرسل، والكناية.

وتناولت في موضوع الموسيقا، الجناس، والترديد، والتصريع، والتدوير، والوزن الشعري، والقافية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً، ملء السموات والأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الطيّبين الأخيار، والتابعين ممن ساروا على نهجه في الزهد والعبادة والعمل، وبعد...

لقد مكثت طويلاً أبحث عن عنوان لأطروحتي، يتناسب مع عمري ومركزي الديني، كنت متردداً في أي بحث سأكتب، إلى أن هداني الله عز وجل، فطرقت باب أساتذتي الذين لهم المنّة والفضل بعد الله عز وجل، فرست قوارب نفسي في بحر أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور وائل أبي صالح، جزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً، فجاء موضوع الدراسة **(**التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري**)**.

لقد حظي موضوع الزهد بدراسات أدبية كثيرة على مرّ العصور، فمنهم من درسه موضوعاً مستقلاً، ومنهم من درسه مرتبطاً بالتصوف، فكان شعر الزهد محط اهتمامي ودراستي، لاستكمال جهود الباحثين الذين درسوا شعر الزهد في المشرق، والذين درسوا شعر الزهد في المغرب، وخاصة في الأندلس ثم لمعرفة مدى تأثر الشاعر الأندلسي بأخيه المشرقي، وإماطة اللثام عن وجهي الشاعرين، لمعرفة تلك الأسرار والبواعث التي تكمن في شخصيتهما،حيث أنهما عالجا بشعرهما الزهدي قضايا مجتمعيهما، وإيجاد الحلول لها، ومحاولة إصلاح ما فسد منها، فكانا خير مثال للشاعر العابد الزاهد الذي يرى نفسه مسؤولا أمام الله عما تردى فيه المجتمع من مهالك.

فقد حاولت هذه الدراسة الموازنة بين شعر الزهد عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري، والتركيز على الدوافع العامة والخاصة، ثم الموضوعات التي اشتمل عليها شعرهما الزهدي، وسماته الفنية.

والبحث إذ يستكمل جهود السابقين، فإن الباحث قد درس بإمعان مجموعة من الدراسات الحديثة التي عنيت بهذا الشعر، أو بدراسة خصائصه، واتجاهاته، والقضايا والمؤثرات، وأفاد منها في بحثه، فكان منها: دراسة خالد فرحان،إرحيل البداينة وهي بعنوان: (شعر أبي العتاهية الزهدي "القضايا والمؤثرات")، ودراسة أمين يوسف عودة: (المقامات والأحوال في الشعر الصوفي في العصر العباسي)، ودراسة نزار عبد الله خليل الضمور: (شعر الزهد في القرن الرابع الهجري)، ودراسة محمد قريبيز: (الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين)، ودراسة الجيلالي سلطاني: (اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس)، ودراسة محمد نازك و أحمد طه الكفارنة: (الخيال الشعري عند شعراء الصوفية في الأندلس)، ودراسة محمد أشقر: (شعر الجزيرة الفراتية في العصر العباسي)، ودراسة أمين يوسف عودة: (تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية "ابن العربي").

وقد انتظمت الدراسة على المنهج التحليلي لحياة كل من الشاعرين: أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري، وشعر الزهد لديهما، ومن ثم الموازنة بين الشاعرين من حيث الدوافع والشكل والمضمون؛ لذا كان البحث على الترتيب الآتي:

<u>الفصل الأول</u>: دراسة للدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، ولكنه يبدأ بتعريف الزهد لغة واصطلاحاً ثم لمحة عن تيار الزهد في العصر العباسي، ثم توضيح مدى تأثر شعراء الأندلس بشعراء المشرق.

<u>الفصل الثاني</u>: واشتمل على موضوعات شعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري، حيث ابتدأ بموضوع الموت؛ وتناول موت الأبوين، و الاستعداد للموت، والإكثار من ذكره وعدم نسيانه، وأنه رحلة من دار الفناء إلى دار البقاء، وعن وصف القبور وأحوال الموتى، ثم التنفير من الدنيا وذمها وأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وموضوع النصائح والمواعظ، للناس والحكام والخلفاء، وفيه الحث على العلم الخالص لوجه الله، والإكثار من ذكر الله والتسبيح له وقرع بابه، وموضوع ذم حياة الملوك وذوي المكانة والجاه وأصحاب المال، وما جمعوه من ذهب ومتاع، فإن ذلك مصيره إلى الزوال، ثم موضوع عواقب الموت؛ من بعث، وحساب،

وجنة، ونار، فالموت لا يعني نهاية الإنسان، بل هو الانتقال من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وما ينتظر الإنسان من حساب، وما بعده من جنة أو نار، ثم موضوع الحكم والأمثال، فكانت تعقد جوامع الحكمة في أبيات شعرية جميلة، ثم موضوع الشيب والسخرية من الشيخ المتصابي، فجمال الشيخ هو في تقواه، ومحو السيء من أعماله بالإكثار من الحسنات.

الفصل الثالث: وتناول دراسة السمات الفنية لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري من حيث: اللغة، والصورة الفنية، والموسيقا.

دراسة اللغة من حيث: شكل القصيدة وأسلوبها، قرب المعنى وسهولة اللفظ، والتأثر بالمعاني الإسلامية، والجمل الخبرية والإنشائية، والشعبية الشعرية، والطباق، والترادف.

أما الصورة الفنية فتناولت الدراسة: التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية.

وأما الموسيقا فتناولت الدراسة: الجناس، والترديد، والتصريع، والتدوير، والوزن الشعري، والقافية.

وينتهي البحث بخاتمة تسجل خلاصته، وأهم نتائجه.

الفصل الأول

الدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري.

أولاً: الدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي العتاهية.

1. **الدوافع العامة وهي:**

أ. الحياة الاجتماعية.

ب. الحياة السياسية.

2. **الدوافع الخاصة وهي:**

أ. الخوف والضّعة.

ب. غريزة الدفاع والتكيّف.

ج. بخله وحرصه.

د. مجتمع العامة.

ه. نيران المظالم ورائحة الموت.

و. سماته النفسية واستعداده الفطري.

ثانيا: الدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي إسحاق الإلبيري.

1. **الدوافع العامة:**

أ. الأوضاع السياسية.

ب. الأوضاع الاجتماعية.

2. **الدوافع الخاصة:**

أ. عمله بالقضاء.

ب. التأثر بشعراء المشرق.

أولاً: الدوافــع العامة والخاصــة لشــعر الزهد لــدى أبي العتاهية:

الزهد لغة: القلَّة، فالشيء الزهيد هو الشيء القليل.[1]

"وورد الزهد والزهادة في الدنيا، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهــادة فــي الأشــياء كلها ضــد الرغبة".[2] "ويقال: زَهِدَ، وزَهَــدَ يَزْهَــدُ فيهــا زُهْــداً أو زَهَداً، ولقد زَهَدَ وزَهِدَ يَزْهَدُ منهما جميعاً، فالمراد بالزهد لغة: الرغبة عن الشيء".[3]

"وَزهِدَ فيه وعنه، زُهداً وَزهادة: أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته، ويقال: زَهِدَ في الدنيا: ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقابه".[4]

واصطلاحاً: كما تعرفه دائرة المعارف الإسلامية: "هو الابتعاد عن الخطيئة، والاستغناء عــن الكماليات، وتجنب كل ما من شأنه أن يُبْعِدِ عن الخالق.[5]

وقد وردت كلمة الزهد في القرآن الكريم في قولــه تعــالى: **{وشَــرَوْهُ بِــثَمَنٍ بَخْــسٍ دَرَاهِمَ مَعْدودَةٍ وكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدينَ} (6).**

"فإنهم قد باعوه بثمن قليل من الدراهم، وزهدوا فيه،لأنهم كانوا يريدون الــتخلص مــن تهمة استرقاقه وبيعه"،[7] "وقد علموا أنه حر، أو لأنهم لم يبذلوا فيه شيئاً، أو لأنهم جاملوا بهذا السعر البخس عزيز مصر، ليقدم لهم بعض التسهيلات، مع أنهم كان يمكن أن يبيعــوه بســعر

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، مادة (زهد)، ج3، ص1876.

(2) المصدر نفسه، دار الفكر: بيروت، ج4، ص196.

(3) المصدر نفسه،، دار إحياء التراث العربي،ط1، 1988/1408. مجلد 6، ص97.

(4) أنيس إبراهيم، منتصر عبد الحليم، الصوالحي عطية، خلف الله محمد: **المعجم الوسيط**، ص428.

(5) الأفندي، محمد ثابت وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (زهد)، المجلد ا10، ص451.

(6) سورة يوسف، آية (20).

(7) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**،،، دار العلم للطباعة والنشــر: جــدة، 1406هـــ - 1986م،ط12 : مجلــد4 ج12، ص1977.

أعلى".[1] "ولم ترد كلمة زهد أو مشتقاتها في القرآن الكريم إلا في هذه الآية من سورة يوسف عليه السلام".

إن تيار الزهد في العصر العباسي عبارة عن ظاهرة تقليدية، وليس ظاهرة خاصة بهذا العصر، ولم يكن من ابتداعه، إذ يمكن تتبع أصوله إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والتماسها في بعض المأثور من حديثه، فعن" أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"[2].

بل يمكن الرجوع بالزهد إلى العصر الجاهلي،من ذلك قول الشاعر "عدي بن زيد العبادي" في قصيدته المشهورة:[3]

أَرَوَاحٌ مُـــــوَدِّعٌ أَمْ بُكـــــورْ   أَنْتَ فانْظُرْ لأيّ أَمْـرٍ تصيرْ

(الخفيف)

ومن حكمه قوله محذرا من ريب الدهر والمنون:[4]

لَيْسَ شَـــيْءٌ على المنونِ بباقٍ   غَيْرُ وَجْهِ المسـبِّحِ الخَلاَّقِ

(الخفيف)

ونحن إذ نتحدث عن الزهد في العصر العباسي نتحدث عن شاعر عرف بالزهد والتصوف في دعوة صريحة منه، والعمل لما يرضي الله سبحانه، فجاء شعره اجتماعيا حكيما في أكثره، يصف الحياة ومتاعبها ويصف الآخرة بنعيمها وجحيمها، ويدعو في شعره إلى اختيار

---

(1) نوفل، أحمد: **سورة يوسف (دراسة تحليلية)، سلسلة القصص القرآني**، دار الفرقان: عمان، 1409هـ – 1989م،ط1 ص80.

(2) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث،مجلد 2، ص1373.

(3) العبادي، عدي بن زيد: **ديوانه**، حققه وجمعه: محمد جبار المعيب،وزارة الثقافة والإرشاد القومي –بغداد، ص84.

(4) المصدر نفسه، ص150.

الطريق السليم، هذا الشاعر هو أبو العتاهية[1]،" الذي استقى كثيرا من معانيه من آيات الله البينات ومن الأحاديث النبوية الشريفة، ليدعم كلامه بالبرهان والحجة".[2]

وأبو العتاهية لقب غلب عليه، واسمه إسماعيل بن سويد ابن كيسان، وكنيته أبو إسحاق، وقال المهدي يوما لأبي العتاهية " أنت إنسان متحذلق معتّه، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وقال محمد بن يحي: " كنّي بأبي العتاهية، لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعتّه".[3]

وأبو العتاهية كان من الشيعة الزيدية من ناحية عقيدته، وهي عقيدة لا تتجه إلى الطعن في الصحابة كالشيعة الإمامية، ونفى العلاّمة نيكلسون تشيعه استنادا إلى نص شعري لأبي العتاهية يذكر فيه أن أهل التقى هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والنص هو:[4]

بَلْ أَيْنَ أَهْلُ التُّقى وَالأَنْبياءُ وَمَنْ ... جاءَتْ بِفَضْلِهِمُ الآياتُ والسُّوَرُ

اعْدُدْ أبَا بَكْرٍ الصدِّيقَ أَوَّلَهُمْ ... ونَادِ مِنْ بَعْدِهِ في الفَضْلِ أَيا عُمَرُ

وَعُدَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمانٍ أَبَا حَسَنٍ ... فَإِنَّ فَضْلَهُما يُرْوى وَيُذَّكَرُ

(البسيط)

---

(1) أبو العتاهية: عربي الأصل هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية، من قبيلة عنزة بالولاء، وأمه من موالي بني زهرة وهي بنت زياد المحاربي، ولد في العام مئة وثلاثين هجرية قبيل سقوط الدولة الأموية بعامين، بالقرب من الكوفة في بلدة عين التمر، من أسرة فقيرة تعيش من عرق جبينها، ولا تكاد تبلغ لقمة العيش إلا بشق الأنفس، حيث كانت تصنع الفخار، فيحمله أبو العتاهية على ظهره ويبيعه وهو ينادي عليه بصوت عال ندي بعبارات تعد مقاطع شعرية توفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل ثلاث عشرة ومئتين هجرية ببغداد.

انظر: الأصفهاني أبو الفرج: **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، دار الفكر: بيروت- لبنان، ج4 ص 3.

- انظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، 1980م، دار العلم للملايين: بيروت،ط5،ج1 ص 221، وابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية،ج1 ص 225، ص 228، وابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، دار الثقافة: بيروت- لبنان، 1964،ج1 ص 675.

(2) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ط1، ص 5.

(3) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج4، ص 5.

- انظر الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص 195.
- انظر: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج6، ص250.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 154.

"وأبو العتاهية من الناحية الفنية يعتبر أول من سنّ وفتح للشعراء باب الوعظ، والتزهيد في الدنيا"،[1]

وسوف أبدأ بتحديد الدوافع العامة التي وجّهت أبا العتاهية إلى الزهد، ثم أنطلق بعدها لتحديد الدوافع الخاصة.

1. **الدوافع العامة:**

أ. **الحياة الاجتماعية:**

ظهر في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري طائفة من النزعات الاجتماعية، منها :الشعوبية[2]واللهو،والزهد.

" تعد نزعة الزهد رد فعل طبيعي للنزعات السابقة المنحرفة، وما ترتب عليها من اندفاع طائفة كبيرة من الناس ليغمروا أنفسهم في تياراتها الصاخبة، فظهرت طائفة أخرى أنكروا عليهم هذه الحياة المادية المرتبطة بالأرض ارتباطا رخيصا، فمضوا يقفون في وجه تياراتها، ويقيمون السدود في طريقها، ليقللوا من شدة اندفاعها، وراحوا يصبون فيها ماء باردا ليخففوا من درجة حرارتها التي كانت تجتذب الشباب إليها، كما تجتذب النار الأفاعي، فاتجهوا إلى الزهد والتقشف، وأداروا ظهورهم للحياة ومتعها، ومضوا يدعون الناس إلى عالم روحاني، ويذكّرونهم بأن هذه الحياة التي جرفتهم في تياراتها المادية حياة فانية، يقف الموت على بابها بالمرصاد، وأن وراءها حياة باقية خالدة يحاسب فيها المرء على ما قدمت يداه في حياته الدنيا، وراحوا يعزفون لهم على أوتارهم السود ألحان الموت والفناء، لعل تذكيرهم بانطفاء جذوة الحياة من

---

(1) الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب**، 1398هـ / 1978م، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان،ط27 ص 447.

- انظر: الشكعة، مصطفى: **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، دار العلم للملايين: بيروت، 1975م، ص56.

(2) الشعوبية: مذهب اجتماعي ينطوي على أهداف سياسية، نادى بها بعض المتعصبين من الشعوب الأجنبية التي أخضعها العرب لحكمهم وبخاصة الفرس، وتقوم على أساس مهاجمة العرب والحط من شأنهم والتهوين من دورهم الحضاري في تاريخ الإنسانية، وتمجيد الحضارة الفارسية من أجل الإطاحة بالحكم العربي والإسلامي، مأخوذة من قوله تعالى :" **يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثا وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**" سورة الحجرات آية 13.

- انظر: الكيالي، عبد الوهاب: **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج3، ص482 – 483.

أجسادهم حين تمتد إليها يد الموت الباردة يحدث تأثيره في نفوسهم التي طال انغماسها في هذه التيارات الحارة الصاخبة".[1]

وظهور هاتين الطائفتين في هذا المجتمع ليس أمرا غريبا، بل لعلّه شيء طبيعي، فإن الناس في عصر الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية يفقدون طمأنينتهم في الحياة واطمئنانهم إليها، ويرون فيها شيئا لا استقرار له ولا ثبات، فإنما هي يوم لك ويوم عليك، فمنهم من يندفع خلفها يعب من كؤوسها ما استطاع قبل أن يدركها النضوب والجفاف، ومنهم من ينفض يديه منها، ويخلفها وراء ظهره، ليستقبل الآخرة الباقية، ويستعد لها بما يقدمه بين يديه من عمل صالح.

"ولهذا كان طبيعيا أن يكون العراق هو الإقليم الذي شهد ارتفاع هذه الموجة من الزهد ارتفاعا شديدا، لأنه الإقليم الذي شهد أشد صور الاضطراب السياسي والانقلاب الاجتماعي في القرن الثاني الهجري، والواقع أن مجتمع القرن الثاني الهجري لم يكن كله لهوا ومجونا وخلاعة وانحرافا وشذوذا، وإنما كانت فيه جوانب خيّرة كثيرة، فكما كانت حانات بغداد والبصرة والكوفة وبيوت القيان بها تغصّ بالمجّان والخلعاء والشُذّاذ، الذين التفوا حول جواريها وغلمانها، يعيشون حياة لاهية إلى أقصى درجات اللهو، ويستمتعون بمتعها وملذاتها إلى أبعد درجات الاستمتاع، كانت هذه المدن تغص بالوعاظ والعبّاد والنساك والزهاد الذين رفضوا الدنيا وزينتها، وانصرفوا عن زخرفها، وارتفعوا بنفوسهم إلى آفاق روحانية صافية شفّافة تتدفق فيها ينابيع النور، وتختفي منها حجب الظلام. وفي كل حلقة من حلقات المساجد، وفي كل ركن من أركانها وعّاظ يذكّرون الناس بفناء الحياة وخلود الآخرة، وما ينتظر المتقين من ثواب، وما ينتظر العاصين من عقاب".[2]

وأهم شاعر صوّر هذه الموجة من الزهد الإسلامي التي انتشرت في هذا العصر وعبّر عنها أقوى تعبير هو أبو العتاهية الذي اتخذ من الزهد موضوعا لشعره.

---

(1) خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر، ص 35.

(2) خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**، ص 26.

ب. الحياة السياسية:

شهدت طفولة أبي العتاهية تلك الحياة السياسية المضطربة التي عاشها المجتمع الإسلامي عقب الانقلاب العباسي، وشهد بعينيه رؤوساً تتطاير، وأشلاء تتناثر، وأرواحا تزهق، ودماء تسيل، هذه الصورة القاتمة السوداء انطبعت في نفسه منذ هذا الوقت المبكر من حياته، وانطبعت في نفســه كذلك صــورة قاتمة لمصير الإنســان في الحياة، ذلك المصير الذي شغله فترة طويلة[1]، فالظروف السياسية التي عاشها أبو العتاهية في الكوفة، ومظاهر الظلم التي شاهدها ومرّ بها، ومشاهد الموت، فترسّبت في نفسه حقارة الدنيا وهوان العمر ثم أنه ولد إبان صراع العباسيين مع الأمويين ومن والاهم، والشيعة ومن ناصرهم، فقد وضع الخليفة المنصور الكوفة تحت رقابة صارمة، وفرض عليها نوعا من الحكم العرفي، كما فعل الحجاج من قبل، بل لعله كان أشد دهاء من الحجاج، فقد اتخذ له في الكوفة جاسوسا من أهلها اسمه ابن مقرن، يتجسس عليهم ويتقصى له أخبارهم ويسأله عن تطور الأمور فيها، وهذه المظاهر كلها جعلت أبا العتاهية ينحى منحى الزهد في شعره.

"أمّ بغداد واتصل ببلاط العباسيين ومدح المهدي والهادي والرشيد، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر حتى حبسه الرشيد، لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه، وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون".[2]

2. الدوافع الخاصة:

أ. الضِّعة والخوف:

يرجع نسب أبي العتاهية إلى طبقة الأنباط، وهم الطبقة الدنيا في المجتمع، الدنيا، و كانوا يعيشون حول الحيرة، " دخل يوما أبو العتاهية وهو مضمخ بالدماء على مندل وحيان ابني علي

---

(1)خليف يوسف، **تاريخ الشعر في العصر العباسي**،ص85

(2) الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، ص 447 – 448.

العنزي، فقالا له: ويحك! ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا: أنت أخونا وابن عمنا ومولانا، فقال لهما: إن فلانا الجزار قتلني وضربني وزعم أني نبطي، فإن كنت نبطيا هربت على وجهي، وإلا فقوما فخذا لي بحقي، فقام ومعه مندل بن علي وما تعلق نعله غضباً وقال له: والله لو كان حقك على عيـــسى بن موســـى لأخذته لك منـــه، ومـــرّ معه حافيا حتى أخذ له بحقه" [1]، فهو يعتبر أن الإنسان ليس بأصله ونسبه، بل بأعماله،وأن الموت أو القبر أو الآخرة هي الدار التي تسوي بين علية القوم وأدناهم، فيقول:[2]

وَصِرْتَ إلى دارٍ هِيَ الدَّارُ لا التَّي	أَقَمْتَ بِها حَيَّاً وَأَنْتَ نَشيطُ
مَحَلٌّ بِهِ الأَقْوامُ وَيْحَكَ تَســـــْتَوي	فَصِيدٌ [3] كِرامٌ ســـادَةٌ وَنَبيطُ

(الطويل)

وتلك الضِّعة هي التي جعلته يضطرب في تحديد ولائه في القبائل والأنساب العربية، فهو تارة في ولاء مندل وحيان من أبناء العنزي، وهذا نوع من الاضطراب والحيرة في تحديد ولائه بين العنزيين، ولكن الأكثر دلالة في هذا السياق أنه لما تغيرت به الأحوال ورحل عن الكوفة إلى بغداد جعل ولاءه في اليمانية أخوال المهدي، لأن يزيد بن منصور الحميري قام بحمايته والدفاع عنه عندما حبسه المهدي. وضعته لم تكن قاصرة على نسبه النبطي بل تجاوزت ذلك إلى صناعة أبيه في الحجامة، فقد أشار أبو العتاهية لهذه المهنة بقوله:[4]

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، تحقيق: شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، ص 35.

(2) المصدر نفسه، ص 206.

(3)صيد : جمع أصيد : المتكبِّر المزهوّ بنفسه وكل حول وطول من ذوي السلطان،أنظر : **المعجم الوسيط**،ص556.

(4)،أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره** ص 348 – 349، ورد الشطر الثاني "هو الـــذل والندم".

- انظر: ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، شرحه وضبطه وعلَق عليه: د. يوسف علي طويل، ادار الكتب العلمية، بيـــروت– لبنان، 1418هــ– 1998م،ج1 ص403، وورد "هو الفقر والعدم".
- انظر: الاصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، الناشران: صلاح يوسف خليل، دار الفكـــر للجميـــع، بيـــروت، 1970م–1390هـــ.،ج3
- انظر: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،ج6 ص259.

أَلا إِنَّما الَّتقْوى هُوَ العِزُّ والْكَرَمْ وَحُبُــكَ للُّدنْيا هُــوَ الــــذُلُّ وَالْعَدَمْ

ولَيْسَ عَلى عَبْــدٍ تَقِيٍّ نَفيضَـــةٌ إذا صَحَّحَ التَّقْوى وَإِنْ حاكَ أَوْ حَجَمْ

(الطويل)

"فهو وضيع النسب، حقير المهنة، شريف النفس، يتسلح بالزهد، كما يبتعد بنفسه عن ظلم الناس، ويفخر بالتقى والزهد وطاعة الله سبحانه ويجعل ذلك فوق النسب والحسب، ومنذلك ما يرَّد به على رجل من كنانة كان قد فخر عليه بآبائه"(1)، فيقول أبو العتاهية:(2)

وطاعةٍ تُعطي جِنانَ الخُلْدِ وَنَسَـــــبٍ يُعليكَ سورَ المَجْدِ

دَعْني مِنْ ذِكْرِ أَبٍ وَجَـــّدٍ ما الَفْخرُ إِلاّ في التُّقَى والزُّهْدِ

(الرجز)

وترجع ضعته كذلك إلى حرفته مع إخوته في صناعة الجرار، وحملها في أقفاص والمرور بها في الطرقات لبيعها، وما يروى عن أخباره أنه كان يجوز الكوفة وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به ويبيع منه، فمر بفتيان يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فوضع القفص وجاذبهم أطراف الحديث، وقال لهم:"أقول لكم شيئا تجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم مثلها"، فسخروا منه ثم أجابوه، فقال:

"أجيزوا:ساكني الأجداث أنتم..."

فلما انتهى الوقت المحدد لهم ولم يجيزوا، غرموا، وجعل هو يسخر منهم، ثم أتمه قائلاً:(3)

---

(1) نوفل، محمد محمود قاسم نوفل: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ط1 ص 177.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص102.

(3)أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص352.

سـاكِنِي الأَجْداثِ أَنْتُمْ مِثْلَنَا بالأَمـس كُنْتُمْ
لَيْتَ شِعـرِي ما صَنَعتُمْ أَرَبِحْتُمْ أَمْ خَسِـرْتُمْ

(مجزوء الرمل)

"وقد ظلت هذه الصّنعه تطارده حتى عندما أصبح شاعرا مرموقا في بلاط خلافة المهدي، حتى إن عتبة التي أحبها ردّته لأنه بائع جرار متكسب بالشعر".(1)

وقصته مع عتبة: إنه عندما وفد إلى بغداد حاضرة العلم والأدب في أول خلافة المهدي، حيث مدحه، وحظي لديه، واختلط ببعض جواريه، فعشق منهن جارية تسمى عتبة، أكثر فيها الغزل حتى همّ المهدي أن يهبها إياه، لولا ضراعتها وكراهتها له، فألهاه عن ذكرها بالمال الكثير، فكان يأخذ المال ولا يفتر عن ذكرها في شعره حتى في مدائحه له، فقال ومما قاله:(2)

عَيِنْي على عُتْبَةَ مُـنْهَلَّةٌ بِدَمْعها الُمنْسَكِبِ السَّائلِ
كَأَنَّها مِنْ حُسْـنِها دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا اليَمُّ إِلى السَّاحِلِ

(السريع)

وقد أكثر أبو العتاهية نسيبه في عتبة، فمن ذلك قوله:(3)

---

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 128، ورد في ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، ص 225، وكان يبيع الجرار فقيل له الجرّار.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 617 – 618.

- انظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، ص 229.
- انظر: الأسعد، الدكتور عمر: **نصوص من الشعر العباسي**،، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء، ط1405،1ه/1985،ص51

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 598 – 599.

- انظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، ص 225.

أَعْلَمْــــتُ عُتْبَــــةَ أَنَّني مِنْها عَلى شَـــرَفٍ مُطِـــلُّ
وَشَـــــكَوْتُ مـــــا أَلْقى إليها والمدَامـــعُ تَســـــتَهِلُّ
حتى إذا بـــرِمْتُ بمـــــا أشكو كما يشكو الأقـــــلُّ
قالت: فأيُّ الناسِ يعْلَمُ ما تقـــــول؟ فقلْــتُ كُـــــلُّ

(مجزوء الكامل)

وكتب مرة إلى المهدي وعّرض بطلبها منه:[1]

نَفْسي بِشَيءٍ مِـــنَ الدُّنيا مُعَلَّقةٌ اللهُ والقائمُ المَهْـــــدي يَكْفِيها
إنّي لأَيأَسُ مِنْها ثُـــمَّ يُطْمِعُني فِيها احتِقارُكَ لِلدُّنيا وَما فِيها

(البسيط)

وقال أبو العباس المبرّد في كتابه الكامل:" إن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يهدي أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان، فأهدى له في أحدهما برنية[2] ضخمة فيها ثوب ناعم مطيّب، قد كتب على حواشيه هذين البيتين المقدّم ذكرهما: نفسي بشيء من الدنيا معلقة فهمّ بدفع عتبة إليه، فجزعت وقالت: يا أمير المؤمنين، حرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر، بائع جرار ومتكسب بالشعر؟ فأعفاها، وقال: املؤوا له البرنية مالا، فقال للكُتاب: أمر لي بدنانير، وقالوا: ما ندفع إليك ذاك، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد، فاختلف في ذلك حولا، فقالت عتبة: لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير، وقد أعرض عن ذكري صفحا".[3]

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 698.
- انظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، ص226.

(2) البرنية إناء من خزف.
- انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، العربي، ج1 ص392.، الطبعة الثالثة 1413هــ – 1993مــ، دار إحياء التــراث العربي – مؤسسة التاريخ.

(3) المبرد، الإمام أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل**، حققه: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة،ج3 ص 869.

ومن شعره أيضاً في عتبة جارية المهدي:[1]

يا إِخْوتي إِنَّ الهــوَى قاتِلِي فَيَسِّــــروا الأَكْفانَ مِنْ عاجِلِ
وَلا تَلوُموا في اتّباعِ الهوَى فَإننَّي في شُـــــغْلٍ شــــاغِلِ
كَأَنّ في فِيها وَفـــي طَرْفها سَــــــواحِراً أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِل[2]
لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّها ما خَـــلا حُشاشَـــــةً[3] في بَــدَنٍ نَاحِلِ

(السريع)

"والواضح من الأخبار والروايات أن ولعه بعتبة استمر معه عشرين عاما، ثم كان موقف آخر أيام الرشيد، كان أبو العتاهية قد أكثر على الرشيد في شأن عتبة، فوعده الرشيد بتزويجها إياه وأنه سوف يسألها في ذلك، وكان أبو العتاهية يذكّره الوعد في ذكاء وخفة روح وإلحاح أيضا، وكتب له ذات مرة على واحدة من مراوح ثلاث كان قد أهداها إليه":[4]

وَلَرُبَّما اسْـــــتَيأَسْتُ ثُمَّ أقولُ:لا إِنَّ الذي ضَـــــمِنَ النَّجاحَ كَريمُ

(الكامل)

"وانتهى الأمر بأن طلب الرشيد إلى عتبة أن تنتظره في دارها، فأكبرت ذلك وأعظمته وصارت إليه، فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه، فقال لها: لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها، قالت: أنا أمتك وأمرك نافذ فيّ ما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك – رضي الله عنه – بكل يمين يحلف بها برّ وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت عني حجة وجبت عليّ أخرى لا أقتصر منها على الكفارة، وكلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلّي فيه، وبكت بين يديه، فرقّ لها ورحمها وانصرف عنها، وغدا عليه أبو

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 616.
– انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1 ص 229. ورد الشطر الثاني من البيت الأول: فبشروا الأكفان مِنْ عاجِلِ.
(2) بابل مدينة قديمة كانت قرب الكوفة، اشتهر أهلها بالسحر. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيـــز الجندي، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط1410،1ه/1995م،ج1 ص367.
(3) حشاشة: بقية الروح في المريض.
– أنظر المعجم الوسيط،ص197
(4) أبو العتاهية اشعاره وأخباره، ص633.
– انظر: الحصري: **زهر الآداب**، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان،ج1 ص 381.

العتاهية وهو لا يشك في الظفر بها، فقال له الرشيد: والله ما قصّرت في أمرك، وشرح له الخبر، قال أبو العتاهية: فلما أخبرني بذلك مكثت مليا لا أدري أين أنا، ثم قلت: الآن يئست منها إذ ردّتك، وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك، فلبس أبو العتاهية الصوف"،[(1)] وقال في ذلك من أبيات له:[(2)]

وقَطَعْتُ مِـــــنْك حَبائـــــلَ الآمالِ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ المَطِيِّ رِحالي
وَوَجَدْتُ بَرْدَ اليَأْسِ بَيْنَ جَوانِحي وَأَرَحْتُ مِـــــنْ حِلّي وَمِنْ تَرْحالي

(الكامل)

وهذه أبيات قالها في حب عتبة تذكر طرفا من حبه لسعدى:[(3)]

راعنَي يا يَزيدُ صَـــوْتُ الغُرابِ بِحِـــــذاري لِلْبَيْنِ مِنْ أَحِبْابي
قُلْتُ لِلقَلْبِ إِذْ طَوى وَصْلَ سُعْدى لِهَــــواهُ البعيدَةِ الأَسْـــــبابِ
أَنْتَ مِثْلُ الذي يَفِرُّ مِـــــنَ القَطْرِ حِـــــذارَ النَّدى إِلى الميزابِ

(الخفيف)

وقد أكثر أبو العتاهية من ذكر عتبة حتى في مدحه للخليفة، ظنّاً منه أن الخليفة سيهبها له، وكان الخليفة مفتونا بها، فلما بلغه إكثار أبي العتاهية في وصفها، غضب فأمر بحبسه، فزج به في غياهب السجن، وقضى أبو العتاهية في السجن فترة من الزمن ثم أفرج عنه لشفاعة قام بها خال الخليفة يزيد بن منصور الحميري، وكان معجباً به، فأطلقه.

---

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس للطباعة والنشر: بيروت،ج3
ص 256 – 257.
- انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3 ص 132.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 280 – 281.
- انظر: الحصري: **زهر الآداب**، ج1 ص 381.
- انظر: المسعودي: **مروج الذهب**، ج3 ص 357.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 489 – 490.

"خرج أبو العتاهية من السجن يجر أذيال الخيبة العاطفية التي لحقت" به[1]" ويعاني من صدمة نفسية جديدة أعادت إلى نفسه ذكرى التجربة الأولى، والصدمة المبكرة التي لحقته حين أحب سعدى النائحة؛ وهي من أهل الحيرة، وكانت ذا حسن وجمال، و مولاة لآل معن، وكان يحبها أيضا عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضـــل، ونهاه معـــن عـــن التعرض لها وتوعده خاصة بعد أن هجاها واتهمها بالنساء".[2]

قرر أبو العتاهية بعد هاتين الصدمتين أن يميت قلبه إلى الأبد، وأن ينصرف عن متع الدينا وملذاتها وأن يعتزل الناس ويفرض على نفسه حياة تقوم على الزهد والتقشف. "ومضى في زهده يجاهد نفسه مجاهدة عنيفة، إذ فرض على نفسه الحج كل عام، كما فرض عليها اعتزال الناس والميل إلى الوحدة، ومفارقة مجالس اللهو والشعر والغزل، كما كان يفرض على نفسه أحيانا أن يصوم عن الكلام، ومضى يمارس هذه الرياضات الروحية حتى ودّع الحياة".[3]

وفي بداية زهده مرت به محنة من تلك المحن التي كان يمتحن بها، فقد أمر الرشيد أن يزج به في السجن، والأسباب الحقيقية لهذا السجن ليست واضحة تماما، فالرواة يذكرون أن الرشيد سجنه لأنه طلب إليه أن يقول شعرا في الغزل ولكنه رفض، وصمم الخليفة على طلبه، وصمم الشاعر على امتناعه، وأقسم الخليفة عليه ليقولن شعرا في الغزل أو ليسجنن، وأقسم الشاعر ليصومنّ عن الكلام كله إلا عن قراءة القرآن وذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله لمدة سنة، وثارت ثائرة الرشـــــيد، وألقى به في الســـجن، ومن قوله للرشـــيد وهو في السجن:[4]

تَذَكَّرْ أمينَ اللهِ حَقِّي وَحُـــرْمَتي ... وَما كُـــــنْتَ تُولِيني لَعَلَّكَ تَذْكُرُ

لَياليَ تُدْني مِنْك بالقُرْبِ مَجْلِسي ... وَوَجْهُكَ مِنْ ماءِ البَشاشَةِ يَقْطُرُ

فَمَنْ لِيَ بالعينِ الَّتي كُـــنْتَ مَرَّةً ... إِليَّ بِها في ســـالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

(الطويل)

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص24.

(2)انظر الأصـــفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3 ص 136 – 137.

(3) حليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**،ص88.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 534.

- انظر: الحصري: **زهر الآداب**، ج1 ص 384.

وكتب أبو العتاهية إليه من الحبس أبياتا نقتطف منها:(1)

تَفْديكَ نَفْسي مِنْ كُلّ ما كَرِهَتْ   نَفْسُكَ إنْ كُنْتُ مُذْنِباً فاغْفِرْ
يا لَيْتَ قَلْبي مُصَــوَّرٌ لَكَ مـــا   فيهِ لِيَســـْتَيقِنَ الّذي أُضمِّرُ

(المنسرح)

فوقّع الرشيد في رقعته "لا بأس عليك"، فأعاد أبو العتاهية عليه رقعته بأبيات فيها: (2)

كَأَنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيـــــهِ روحٌ   لَهُ جَسَـــدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ راسُ
أَمينَ اللهِ إِنَّ الحَبْـــــــسَ بَأسٌ   وَقَدْ أَرْسَلْتَ لَيْسَ عَلَيكَ بأسُ

(الوافر)

فأمر بإطلاقه، كتب إليه من الحبس:(3)

إنَّما أَنْتَ رَحْمَـــــةٌ وَسَـــــلامهْ   زادَكَ اللهُ غِبطَــــةً وكرامــــه
قِيلَ لي قَدْ رَضِيتَ عَنّيَ فَمَنْ لي   أَنْ أَرى لي عَلى رضاكَ علامه
وَحَقيـــــــقٌ أَلاّ يُراعَ بســـــوءٍ   مَـــنْ رآكَ ٱبْتَسَمْتَ مَنْهُ ابْتسِامه
لَوْ تَوَجَّعْــتَ لي فَرَوَّحْــتَ عَنّي   رَوَّحَ اللهُ عَــــــنْكَ يَوْمَ القِيامه

(الخفيف)

---

(1) المصدر نفسه، ص 556.
- انظر: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، الجزء الأول، ص 676.
- انظر ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ص 231.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 565.
- انظر المبرد: **الكامل**، ج3 ص 1053.
- انظر ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، ص 231.
- انظر ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1 ص 677.
- انظر الحصري: **زهر الآداب**، ج1 ص 384.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 639.
- انظر ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، ص 231.
- انظر ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1 ص 677.

ولما أطلقة الرشيد من الحبس لزم بيته وقطع الناس،فذُكر ذلك للرشيد فقال : قولوا له " صرت زير نساء[1]، وحِلِس[2]بيت "، فكتب إليه أبو العتاهية [3]:

برمت بالناس وأخلاقهم   وصرت أستأنس بالوحدهْ

ما أكثر الناس لعمري وما   أقلّهم في حاصل العدهْ

(مجزوء البسيط)

ورد البيتان في الأغاني [5]:"ما أخبر به أبن أبي العتاهية :

أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس لزم بيته وقطع الناس، فذكره الرشيد فعُرف خبره،فقال :قولوا له :صرت زير نساء، وحلس بيت " فكتب إليه أبو العتاهية البيتين السابقين.

"وظل أبو العتاهية طوال حكم الرشيد في عزلته الروحية التي فرضها على نفسه، حتى إذا مات الرشيد لم يرثه أبو العتاهية، وإنما اتخذ من موته موضوعا للعظة والاعتبار، فهذا المـــلك الجبار الذي كـــان يخشـــاه الناس قـــد انتصـــر عليه المـــوت في النهاية وتـــساوى مع سائر البشر".[4]

أما الخوف فقد كان مبعثه لدى أبي العتاهية بيئة الكوفة التي عاش فيها،حيث أندلعت الثورات في جنبات الدولة الإسلامية في مواجهة العباسيين،" وفي سبيل تأمين العباسيين لأنفسهم أسرفوا في سفك الدماء منذ بدأ أبو عبد الله السفاح إلى عهد الرشيد الذي يعد مفخرة العصر العباسي كله، وإذا كانت الكوفة قد هدأت بعض الشيءعن مقاومة الدولة الجديدة نظرا لوقوعها

---

(1)زير النساء :الذي يكثر زيارة النساء ويحب مجالستهن ومحادثتهن أنظر، **المعجم الوسيط**،ص434

(2)حلس بيت : لا يبرحه ولا يفارقه،أنظر :**المصدر نفسه**،ص214.

(3)أبو العتاهية، **أشعاره وأخباره**، ص468

(5) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، منشورات دار الكتب،ج4،ص105-106

(4) خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**، ص 89.

تحت العين الفاحصة من رقابة الدولة لها، فإنها كانت تزخر بفكرها وثاراتها المختبئة المتربصة، ولذا خرج السفاح منها ليعسكر قربها وسط جند خراسان شيعة العباسيين الأوفياء".[1]

تلك الخواص السياسية التي كانت تعكس حياة الكوفة وبيئتها هي عامل هام في تكوين شخصية أبي العتاهية حتى أورثته الخوف وحب الانتقام معا، وحب الانتصار لنفسه وللناس من حوله من القهر والعجز معاً.

ب. غريزة الدفاع والتكيف:

إن المظالم السياسية في الكوفة دفعت أبا العتاهية إلى عالم المجانة والتخنث، ليغرق همومه ويفر من معاناته، وينتقم لنفسه من كل معنى كريم، انتقاما من الدنيا التي لم تحفظ كرامته، وهو في الواقع انتقام من المجتمع، بإهدار قيمه التي يفترض فيه دائما أنه يتمسك بها ويتطلع إليها، وهذا السلوك من ناحية أخرى يوفر له الأمن السياسي حيث لا يطلبه العسس ولا تتعقبه الجاسوسية، بل يظل خارج الدائرة، لا هو في العير ولا في النفير.

كان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين،[2] ولعل ريح البطش وارتياع العامة والخاصة للناس في ظل الظروف السياسية السيئة للكوفة، هو الذي حدا بأبي العتاهية أن يطلب سبيل السقوط والمجانة في رحاب المخنثين في مطلع شبابه.

وأبو العتاهية نفسه عندما سئل كيف يضع نفسه مع المخنثين أجاب بما يفيد أنه ليس منهم، ولكنه محتال او محتاج إلى صحبتهم، حيث أجاب سائله قائلا: "أريد أن أتعلم كيادهم، وأتحفظ كلامهم".[3]

---

(1) أبو الأنوار، محمد : **الشعر العباسي تطورة وقيمه الفنية**،ط2،دار المعارف، ص209.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج4، ص 4.

(3) **المصدر نفسه**، ص209.

وفي رجاء الفوز بطلب العوض والراحة والهروب من الضياع والظلم يتجه البعض إلى كؤوس الحياة يعبون منها، ويسرفون على أنفسهم في حياة اللهو والخلاعة، وهذه الظاهرة بدأت في خلافة عثمان، ثم نمت في العصر الأموي، ولكنها عظمت واتسع مداها في أيام العباسيين.

كانت بيوت القيان بالكوفة منتشرة، وكانت أشد خطرا وأبعد أثرا من دور اللهو في عصرنا الحديث، لدرجة أن الجاحظ يقول عنها: "لو لم يكن لإبليس شرك يقتل به، ولا علم يدعو إليه، ولا فتنة يستهوي بها، إلا القيان لكفاه".(1)

ولعل أشهر دار للقيان بالكوفة دار ابن "رامين" وهذه الدار كانت أكبر مصدر لإشاعة الإغراء والفساد بالكوفة، وكان هذا الرجل وأمثاله يحصلون من وراء هذا الخان الأموال الطائلة من سراة القوم وأوساطهم، وفي هذا الوسط الفاسد انتشر الشذوذ والفتنة بالغلمان لدرجة أن الجواري كن يتشبهن بهم ويطلق عليهن الغلاميات، وتخصصت بعض دور الفساد في تقديم الفتيان دون الفتيات لروادها الشذاذ، لدرجة أنه شاع في تلك البيئة عشق الغلمان.

"وفي هذا الجو كان يجد الرضا الاجتماعي حيث لاطبقية داخل الحانات والخمارات ودور اللهو والمجانة، فهناك تتساوى الرؤوس حيث يلعب بها سلطان الكؤوس، ولا تبقى إلا حرية الفعل والقول في مجتمع تسوده حرية واقعية وتعمه مساواة سلوكية، وتسقط فيه كل الحواجز الاجتماعية حيث يترك الناس عند أبواب الحانات كل القيود والتقاليد والمراسم، وفي هذا الجو يتحقق له الرضا النفسي عن ذاته وحياته، ولذا شاع في أخباره أنه كان مخنثا مع المخنثين في عصره وبيئته".(2)

وكان بعض من مال به هواه إلى المجون، وغلب عليه في ذلك الجنون، يمقت أبا العتاهية ويحسده ويغتابه، لانصرافه عن طبقته من الشعراء المستخفين، إذ بان له من ضلالهم ما زهده في أقوالهم، فمال عنهم، ورفض مذاهبهم، وأخذ عن طريقهم،" وتاب توبة صادقة، وسلك طريقة حميدة، فزهد في الدنيا، ومال إلى الطريقة المثلى، وداخل العلماء والصالحين، ونوّر الله

---

(1) أبو الأنوار، محمد، الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ص217.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج4 ص 8 – 9.

قلبه فشغله بالفكرة في الموت وما بعده"[1]، ونظم ما استفاده من أهل العلم من السنن وسيرة السلف الصالح، وأشعاره في الزهد والمواعظ والحكم لا مثيل لها، كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة، وما جرى من الحكم على السنة سلف هذه الأمة، وكانت طبقته الأولى من الشعراء المستخفين تعييه حسدا له وبغضا حتى قالوا:" إنه لا يؤمن بالبعث، وإنه زنديق، وإن شعره ومواعظه إنما هي في ذكر الموت، وقد بان في شعره لمن طالعه وعني به كذبهم وافتراؤهم لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث والإقرار بالجنة والنار والوعد والوعيد".[2]

وأبو العتاهية في دوره الجديد ينعم بحياة المساواة التي طلبها من قبل في حياة اللهو، ولكنها كانت قاصرة على مجتمعه داخل الحانة، أما في الزهد فإنه يخرج للمجتمع كله، وينال كبار العتاة فيه بما يريد من القول، وفي مقدمتهم الخليفة أياً كان ومن كان، وهكذا يسعد بهذا الوضع الجديد الذي يمكنه من رقاب الجميع، لا سيما أهل التسلط والمنعة.

لقد أثّرت فيه حياة اللهو والمجون التي فتح عينيه عليها فصرفته إلى الزهد ونأت به عن الترف فكثر في شعره ذكر الموت:[3]

أَبى المَــوْتُ إلاّ أَنْ يَكونَ لِمَنْ ثَوى   مِنَ الخَلْقِ طُرّاً حَيْثُما كانَ لاقِيا
حَسَمْتَ المُنَى يا مَوْتُ حَسْماً مُبَرِّحاً   وَعَلَّمْتَ يا مَوْتُ البُكاءَ البَواكِيا
وَمَزَقْتَنَا يا مَــــــوْتُ كُــلَّ مُمَزَّقٍ   وَعَــرَّفْتَنا يا مَوْتُ مِنْكَ الدَّواهِيا

(الطويل)

ج. بخله وحرصه :

تفيض أخبار أبي العتاهية بالحرص وشدة البخل، وبلغت في الأغاني اثني عشر موضعا، بلغ من قسوته فيها أنه أجاع خادمه حتى مات جوعا، فقد كان يجري عليه في اليوم رغيفين بغير

---

(1)مقدمة **ديوان أبي العتاهية**،ص 37

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 37.

(3) المصدر نفسه، ص 434.

- انظر: الأسعد، عمر: **نصوص من الشعر العباسي**، ص 49.

إدام، ولما عوتب في ذلك قال:" من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك، وهذا خادم يدخل إلى حرمي وبناتي، فإن لم أعوده الاقتصاد أهلكني، وأهلك عيالي ومالي".

ولما مات هذا الخادم كفن في إزار وفراش خلق، فقال له قائل:" خادم قديم الحرمة، طويل الخدمة واجب الحق تكفنه في خلق، وإنما يكفيك له كفن بدينار! فقال: إنه يصير إلى البلى والحي أولى بالجديد من الميت، فقلت له: يرحمك الله يا أبا إسحق، فلقد عودته الاقتصاد حيا وميتا".(1)

وله حكايات ونوادر بعضها يضحك، وبعضها يوجع القلب حسرة عليه وعلى ما آل إليه حاله من البخل على نفسه وأولاده، وقد أحرجه معاصروه وهاجموه، وكانت له إجابات عليهم، منها ما يرويه صاحب الأغاني من أنه قيل لأبي العتاهية:" مالك تبخل بما رزقك الله" فقال: والله ما بخلت بما رزقني الله قط، قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى؟ قال: ليس ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقته".

لقد عرف عن أبي العتاهيةحبّه للمال والحرص على الدنيا، وقد كان ذا نظر في العواقب وضبط النفس، فلم يكن شديد الميل إلى الإنفاق في سبيل الشهوات، ولم تكن مشاركته لزملائه في مجونهم أيام شبابه، لتقتل فيه ميله إلى الحرص والرزانة، جاراهم ولكن إلى حين، واندفع في تيار الحياة ولكنه لم يرخ لنفسه العنان.(2)

وسبب هذا البخل هو أنه كان يرى هذا المال رزقا خاصا بأولاده يواجهون به الأيام بعد موته، ولا سيما بناته، فقد كان له ابنتان، يقال لإحداهما لله، وللأخرى بالله،(3) وقد عوّدهن البخل وشدة الاقتصاد، ورباهن عليه، حتى يظل المال بعد موته في أيديهن أمنا وحماية، بدليل أنه

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3 ص 132.

- انظر نوفل، محمد محمود قاسم،: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 184.

(2) المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر في العصر العباسي**، دار العلم للملايين، ط19، آذار 1994، ص 153.

(3) ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص 675.

يرغب عن تزويجهن من الفقراء، ذلك أنه لما تقدم له خاطب لإحدى ابنتيه قال:" ما كنت لأزوجها إلى بائع خزف وجرار؟! ولكن أختار لها موسراً".[(1)]

وهو في النص الواحد يناقض نفسه، فحيث يرغب في البذل، يعترف بأن نفسه لا تسمو إلى منزلة التورع عن المال والفرح بالظفر به، يقول:[(2)]

إِنَّ لِلْخَير لَرَسِّماً بَيناً ... طَبَعَ اللُه عَلَيْهِ ما طَبَعْ

قَدْ بَلَوْنا النَّاسَ في أَخْلاقِهِمْ ... فَرَأَيْناهُمْ لذي المالِ تَبَعْ

وَحَبيبُ النَّاسِ مَنْ أَطْمَعَهُمْ ... إِنَّما النَّاسُ جَميعاً بِالطَّمَعْ

احْمَدِ اللهَ علَى تقْديرِهِ ... قدّر الرزق فأعطى وَمَنَعْ

سُمْتُ نَفْسي وَرَعاً تَصدُقُهُ ... فنهاها النقص عن ذاك الوَرَعْ

ولِنفْسي غَفَلاتٌ لَمْ تَزَلْ ولَها ... بالشَّيْءِ أَحْياناً وَلَعْ

ولِنفَسْي حينَ تُعْطى فَرَحٌ ... واضْطِرابٌ عِنْدَ مَنْعٍ وَجَزَعْ

(الرمل)

والأبيات الثلاثة الأخيرة تكشف عن أنه ليس ممن طبعهم الله على الخير الذي وضّحه البيت الأول، وليست نفسه قادرة على الاستجابة للورع في صدق بسبب ما فيها من نقص الطمع كما في البيت الرابع،وبعده يوضح صراحة،أنه حمل نفسه على صدق الورع فردّها نقصها، وإنها لنفس تفرح بالأخذ، وتجزع ويضطرب أمرها بالمنع، وهي نفس ولوعة بالأشياء، ذلك أن غفلاتها–عن المثل الأعلى– لم تزل ماثلة فيها تردّها وتقهرها.

والواضح أن أبا العتاهية يخاف الفقر ويخاف السؤال، ومن هذا المنطلق كان شحيحاً بما يصل إلى يده، ومن أقواله في ذلك:[(3)]

فالْمالُ مِنْ حلّه قِوامٌ ... للْعِرْضِ والوَجْهِ واللّسانِ

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج4، ص 89.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 218 – 219.

(3) المصدر نفسه، ص 385.

والفَقْـــــــرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بابٌ   مفتاحـــه العَجْزُ والتّواني

(المنسرح)

د. مجتمع العامة :

كانت الكوفة تتكون من طبقات متعددة تتصدرها طبقة الأرستقراطية العربية، ثم الموالي، ثم العامّة من عرب وفرس، وأنباط وسريان على تفاوت بينهم.

في هذا الدور من أدوار أبي العتاهية في الزهد، يعرف كيف يحكّم موقفه، لأنه يقع الموقع المناسب من ذوق العامة، وهم القاعدة العريضة من طبقات الأمة، إنه يهوّن عليهم بعظات مشقات الحياة، وويلات المعاناة، وحدّة المفارقات، والمظالم، وهو يسوّي بينهم وبين كل الكبار في مصير الموت والقبر والحساب، ويبقي للعامة فضلاً على كل الكبار، في أن العامة أبرياء من الظلم، محرومون من النعم، صابرون على كل المحن، ولا شك أن مآلهم الموت وما بعده أرفع منزلة وأوفى كرامة، وفي هذا تميُّز لهم على السادة وأهل الجاه، فأبو العتاهية يرضي العامة من ناحية، ويعلي شأنهم من ناحية أخرى.

لقد تمكن أبو العتاهية من السيطرة على العامة في تلقيهم لفنه، لأنه كان شاعرا شعبيا، وفي هذا إحكام لتلك الصلة التي ينشدها في مجتمعه.

كان أبو العتاهية في صراعه مع مجتمعه وفي آلامه النفسية، يمثل القاعدة العريضة التي يطلق عليها اسم "مجتمع العامّة"، وبراعة أبي العتاهية تكمن في أنه يدرك تماما أن أهدافه الخاصة هي أهداف مشتركة بينه وبين مجتمع العامة، فهو يمثله أو ينوب عنه، ويتوجه إليه، لأنه نسبه الجديد وحصنه المتين.

فعندما رأى أن غلاء الأسعار الفاحش قد عمّ المجتمع البغدادي ولمس الشكوى والتذمر من الناس، لم يجد بُدّاً من حسن التعبير عن ذلك، وتنصيب نفسه محاميا ومدافعا عنهم، ومطالبا

أولي الأمر بمراجعة الأمور والنظر بعين العطف إلى حالة الناس، فرفع شكوى إلى أحد خلفاء العصر العباسي في زمانه مترجما بذلك ما يعتمل في نفوس الناس بقوله:[1]

مَنْ مُبْلِغٍ عَنّــي الإمـــــــا   مَ نَصـــــائِحاً مُتوَالية
إنّي أَرى الأَسْـــــــــــعارِ   أســـــْعارَ الرَّعِيَّةِ غالية
وَأرَى المَكاسِــــــبَ نَزْرَةً   وَأَرى الضَّــرُورَةَ فاشِية
مَنْ يُرْتَجى فِـــــــي النَّاسِ   غَيْــرُكَ للعُيونِ الباكِيــة
مِــنْ مُصْبِياتِ جُــــــوَّعٍ   تُمْــسي وَتُصْبِحُ طاوِية
مِــنْ لِلبُطــــونِ الجَائِعاتِ   ولِلجُــــــسومِ العارِية
أَلْقَـــيَتُ أَخباراً إلَيْــــــكَ   مِــنَ الرَّعيَّةِ شــــافِية

(مجزوء الكامل)

لقد احتمى أبو العتاهية بالزهد ليشفي جراح نفسه، وجراح الطبقة العامة من مجتمعه.

ه. نيران المظالم ورائحة الموت:

لقد شاهد أبو العتاهية المجازر، وحقارة الدنيا في مجتمع الكوفة حيث اشتد الصراع بين الأمويين والعباسيين،وبين بني العباس أنفسهم، وشاهد هوان الإنسان مهما كان قدره ومنزلته وروّعته مشاهد الموت، وهاله أكثر من مرة،سقوط أهل المنعة والكرامة في ساحة الردى.

دخل رجل يدعى بأبي عبيد الله على المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضرا المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ عليه، ثم أمر به فجرّت رجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلا، فلما سكن أنشده أبو العتاهية:[1]

أرَىَ الدُّنيا لِمَــــــنْ هِيَ في يَدَيْهِ   عَذاباً كُلَـــــّما كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهِينُ المُكرِمــينَ لَها بِصُــــغْرٍ   وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إذا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَــــــيْءٍ فَدَعْهُ   وَخُــذْ ما أَنْتَ مُحْتاجٌ إلَيْهِ

(الوافر)

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص439.

(1) أبو العتاهية : **أشعاره وأخباره**، ص410-411

فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية: أحسنت.

فقام أبو العتاهية ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحدا أشد إكراما للدنيا ولا أصون لها، ولا أشح عليها، من هذا الذي جرّ برجليه الساعة، ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ودخل وهو أعز الناس، فما برحت حتى رأيته أذل الناس، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت، فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه، فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية[(1)].

لقد عاش أبو العتاهية حياة كثر فيها القتل والتقلبات السياسية في البيت العباسي بين أمراء العباسيين، ثم ما كان يلحق العلويين من أذى وتقتيل وتشريد.[(2)]

وفي عهد الرشيد ضرب وسجن، وشاهد قتل سجين أمام عينيه، ويرى الدكتور يوسف خليف أن سبب سجن الرشيد لأبي العتاهية هو أن أبا العتاهية، كان يكثر ويلح في معانيه على طغيان الملوك وغفلتهم في الدنيا، ثم زوال ملكهم مهما طال، وتساويهم بالسّوقة أمام الموت[(3)]، ويجعل الحديث عنهم موضوعا لاستخلاص العبرة، فيقول في ذلك:[(4)]

وكَمْ مِنْ عَظيمِ الشَّأْنِ في قَعْرِ حُفْرَةٍ　　　تَلَحَّفَ فِيها بِالثَّرى وَتَسَــــرْبَلا

(الطويل)

يقول:[(5)]

وكَمْ مِــــنْ مُلوكٍ قَدْ رَأَيْنا تَحَصَّنَتْ　　　فَــــعَطَّلَتْ الأَيَّامُ مِنْها حُصُونَها

(الطويل)

---

(1)الأصفهاني، أبوالفرج: **الأغاني**، ج3، ص 153 – 154.

(2) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 181.

(3) **تاريخ الشعر في العصر العباسي**،ص89

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 305.

(5) لمصدر نفسه، ص 405.

وإن الإلحاح على هذه المعاني وانتشارها في الأوساط الشعبية في شعر أبي العتاهية يضع من قدر الخليفة وهيبته في النفوس التي تدرك هذه المعاني وتتمثل بها.

ويرى الدكتور محمد أبو الأنوار، أن الرواية التي ترجع سبب سجن الرشيد لأبي العتاهية لعدم قوله في شعر الغزل تتصل باعتبارات سياسية، فيقول: "ويبدو لي أن الرشيد طلب منه القول في شعر الغزل لأنه عندما يقول في الغزل ويقول في الزهد معا يصبح كلامه في الزهد لدى العامة أقل شأنا بل ساقط القيمة، لأنه يغدو مجرّحا في زهده ومواعظه لأن غزله سيخرجه من طبقة الزهاد والناسكين الذين لا شأن لهم بهوى المرأة وغرامها والتغني بها، وإذن فالرشيد سجنه ليبعده عن الأوساط الشعبية لاعتبارات تتصل بسياسته للرعية".(1)

وأرى أن أبا العتاهية قال في الغزل في زمن لهوه، وقبل تحوله من تيار اللهو والمجون إلى الإيمان، وتقوى الله،ولكنه تاب بعد ذلك توبة صادقة،حيث أصر على عدم مدح الرشيد طيلة حياته، فنوّر الله قلبه، وسلك طريق الزهد بقية حياته.

وعلاقة أبي العتاهية بالبرامكة لم تكن علاقة طيبة،، وعلى الرغم من عدم حبه للبرامكة وميله إلى منافسهم الفضل بن الربيع وعدم مدحه لهم وعدم استجابة يحيى البرمكي لمن توسّط عنده لأبي العتاهية، وعلى الرغم من هذا كله فلا بد أن مصرعهم، قد أراح أعماقه المخوفة المذعورة بتراكم مشاهد الموت في داخلها.

و. سماته النفسية واستعداده الفطري:

الزهد نمط سلوكي إنساني، يؤدي إليه التكوين النفسي لبعض الأفراد من جهة، وتساعد عليه الظروف الاجتماعية من جهة أخرى، فالناس بحكم تكوينهم النفسي منهم الانبساطي المتفتّح للحـــياة والمقـــدم عليها في نهـــم، ومنهم الانقباضي العازف عن الحياة، الزاهد فيها، المنطوي على نفسه.(2)

---

(1) أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطورة وقيمه الفنية**،ص 240

(2) إسماعيل، عز الدين: **في الشعر العباسي، الرؤية والفن**، دار المعارف، ص 289.

رزق أبو العتاهية رهافة الحس منذ صغره، ووجد في نفسه غزارة الطبع التي تمكنه من نظم الشعر، يقول عنه صاحب الأغاني:" إنه كان ذا لباقة وحصافة، وكان هو نفسه يعرف موهبته ويعتدّ بها، فقد سئل عن نفسه، فقال: أنا جرّار القوافي، وأخي جرّار التجارة".[1]

ومما يؤخذ عليه عدم ثبوته على مذهب أو نهج معيّن، فهو يعتقد شيئا ما ثم إذا سمع طاعنا يذم هذا الشيء، فسرعان ما يتحول عنه دون نقاش أو جدل.[2]

لم تكن شخصية أبي العتاهية على شيء من التماسك والانسجام، ورؤيته للعالم غريبة، تكمن في تلمّس العذاب ضمن السرور، وإدراك النهاية في صميم البداية، والإحساس بالألم خلال الاستمتاع باللذة والشعور بالموت ببصيص بعينيه الرهيبتين وراء الحياة. وهذه الرؤية الغريبة نجمت عن مزاج خاص، وعن تكوين نفسي وصحي قلّ نظيره[3].

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج،**الأغاني**،ج4،ص11

(2) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 178.

(3)شرارة، عبد اللطيف: **أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب**، نيسان "أبريل" 1962، ط1 ص 25.

ثانياً: الدوافع العامة والخاصة لشعر الزهد لدى أبي إسحاق الإلبيري:

1. الدوافع العامة:

"وعلى الرغم من كثرة وسائل المتعة في الأندلس، وتطرّف أهلها في الانغماس بالمتع والملذات، فإننا نرى تطرفهم في الزهد كذلك".[1]

ونجد أن الزهد يؤلف قيمة عظيمة في الشعر الأندلسي، فقد تفرّد في نظمه والعمل به شعراء بأعينهم، حتى تضمنته الموشحة الأندلسية.

"ونتيجة عوامل مختلفة كثر شعر الزهد في الأندلس، ويعود بعضها بسبب تعقد الحياة واضطراب المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، الأمر الذي جعل كثيرا من الشعراء ينحون منحى زهديا في أشعارهم"،[2] "كما كان نتيجة ردّة فعل شديدة ضد عدد وفير من أبنائها، ذوي أصوات عالية مسموعة في الانغراق في المادية والابتعاد عن الروحية"،[3] "ومنه ما أوحى به التديّن، ومنه ما أملاه الفن، ومنه ما حركته اليقظات الروحية،"[4] فبعض الشعراء تقوده مواقف فلسفية بعينها إلى الزهد والانطواء عن الناس جميعا، مثل عبد الله بن حداد، ومنهم من امتزجت بعض أشعارهم بالنقمة على ما في البلاد من فساد، وتفننوا في إنشادها في صورة نقد لاذع مثل الشاعر السميسر، وكان ساخطا على الحياة والمجتمع والناس جميعا بل على الدهر.

ومنهم من اتخذ الزهد في حياته حقيقة واقعة، فدعا إلى الزهد عن عقيدة وفكر امثال منذر بن سعيد البلوطي، وأحمد بن عيسى الإلبيري، ومنهم من وصل إلى درجة الصوفية في مخاطبة الذات الإلهية مثل ابن الفارض، ومنهم من تشبه في طريقته بالشعراء المشارقة، فمذهب

---

(1) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه**،، دار العلم للملايين – بيروت، 1975م،ط2 ص56.

(2) شلبي، إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة، ص 501 – 502.

(3) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه** ط5 ص57.، كانون الثاني (نيابر) 1983م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

(4) غريّب، جورج: **العرب في الأندلس**، 1978، دار الثقافة، بيروت – لبنان،ط3 ص 83.

أبي العتاهية قد انتشر وذاع لدى بعض الأفراد الزهاد الأندلسيين أمثال الحسن بن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني، أحد الأدباء النبلاء والشعراء المحسنين، وله أشعار في التذكير والتدبّر في معنى الحياة الدنيا على نحو ما كان ينظمه أبو العتاهية وكان يعرف "بالمطيطل".(1)

"وهناك نوع آخر من أشعار الزهد- وهي مقطوعات- لشعراء زهاد ارتفع صوتهم في الإبانة عن حقيقة الدنيا، والتقليل من شأنها وسط صخب المجون السائد آنذاك، إذ كان الناس في شغل عن الزهد بمفاتن الحياة، والواقع،إن هذه القطع الزهدية لا تحمل عمقا في العاطفة الدينية، وإنما هي مصوغة على هيئة وعظ ونصح بين الترغيب والترهيب، اللذين يصوران عذاب الآخرة أو يذكّران بثواب التوبة وعظيم الأجر، غير أن هذا الفن الزهدي قد اتضحت معالمه في هذه الفترة على يد الفقيه أبي إسحاق الإلبيري"(2) المتوفى سنة 460هـ..(3)

وأبرز دوافع الزهــد العامة لدى أبي إسحاق الإلبيري:

أ. الأوضاع السياسية:

"كانت الأحوال السياسية والاجتماعية السيئة في فترة ملوك الطوائف من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية، ولكن الشعر الأندلسي عرف هذه النزعة قبل هذه الفترة، إذ كان آنذاك ينحى منحى تعليميا،أو يصدر لأسباب حقيقية من التدين والورع، لقد طبعت الشخصية الأندلسية بطابع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لقسوة الحياة، وتنازع الطوائف

---

(1) خريوش، حسين يوسف حسين: **ابن بسام وكتابه الذخيرة**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص 188،

- انظر عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، دار الثقافة، ص 130.

(2) أبو إسحاق الإلبيري: هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعود بن سعد التجيبي الإلبيري، وهو فقيه ورع وشاعر غرناطي، توفي في أواخر سنة 459هـ، واشتهر بقصيدته في التحريض على البطش باليهود أيام باديس بن جيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وفتك باليهود في صفر سنة 459هـ.

- انظر: ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حققه: محمد عبد الله عنان،، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 394ه- 1974م،مجلد 2، ص155

- انظر: الداية، محمد رضوان: **المختار من الشعر الأندلسي**، دار الفكر المعاصر، بيروت: لبنان،1992، ط3 ص69.

(3) المصدرنفسه، ص 194.

وشيوع الفتن وكثرة الحروب.[1] وإن كثرة الحروب والفتن وتقلب الأحوال أثرت في نفوس الشعراء فمالوا إلى الطعن بغدر الأيام وغرور الزمن والتقشف وذكر الله،[2] وما توحيه الحروب من قلق وخوف يجران إلى التشاؤم وذم الدهر والتفكير بالمصير والخالق.

"شهدت الأندلس في القرن الخامس الهجري أحداثا مهمة أثرت في مجرى تاريخ الأندلس كله، وأبرز تلك الأحداث سقوط الخلافة المروانية في الأندلس، وكان ذلك مع انقضاء الربع الأول من القرن الخامس الهجري، انقضت الخلافة المروانية لتبدأ رسميا مدة ملوك الطوائف، ويلاحظ في هذه الفترة وجهان للأندلس، أحدهما قاتم ومضطرب، وهو يخص انقسام البلاد وتجزؤها، والوجه الثاني مشرق وضاء، وهويخص الجوانب الثقافية والحضارية، فقد كانت الأندلس في هذه المدة مركز إشعاع فكري وحضاري، وكان المجتمع الأندلسي مجتمعا مترفا، حيث انفتحت أمام الأندلسيين أبواب المشرق والمغرب".[3]

"وكان ملوك الطوائف مع ضعف سلطانهم يتنافسون في اجتذاب الشعراء إلى بلاطهم وشراء مدائحهم الطنانة، الجارية على الأسلوب القديم بالجوائز الثمينة".[4]

وفي القرن الخامس الهجري ظهر عدد من الشعراء اشتهروا بالزهد، وجعلوا شعرهم وسيلة لبث آرائهم ولنقد المجتمع، وسخروه لبعض القضايا السياسية والاجتماعية، ومن هؤلاء أبو إسحاق الإلبيري الذي أصله من قرية صغيرة تدعى حصن العقاب [4].

ويقول في ذلك:[5]

أَلا حَيِّ العُــــــقابَ وقاطِنيهِ   وَقُــــلْ أَهْلاً بِهِ وَبِساكِنيهِ
حَلَلْتُ بِهِ فَنفَّسَ ما بِنَفْــــسي   وَآنَسني فَما استَوْحَشْتُ فِيهِ

(الوافر)

(1) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية واثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 57.

(2) الركابي، جودت: **في الأدب الأندلسي**، دار المعارف بمصر،ط3،ص 118.

(3) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 6.

(4) بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكـــي، دار العلــم للملايـــين–ب بيروت، ط10

1984، ص308، العقاب: حصن قريب من غرناطه..من صفحة 45،رقم 2.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، حققه: محمد رضوان الداية،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1، 1396هـ– 1967م، ص72.

"سكن الشاعر أبو إسحاق الإلبيري مدينة إلبيرة فنسب إليها، ثم انتقل مع أهل إلبيرة إلى مدينة غرناطة التي صارت مركز كورة إلبيرة مع أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس"،[1] وعند تقسيم دولة الأمويين في الأندلس، أصبحت كورة إلبيرة من نصيب بربر صنهاجة بقيادة زاوي بن زيري، وكان قد وفد من إفريقية إلى الأندلس أجيرا للعامريين ثم تلقى هذه الكورة إقطاعا من سليمان المستعين، مكافأة له على مساعدته في مطالبته بالخلافة.

قال ياقوت "وربما قالوا لبيرة ويلبيره" مدينة في جنوب الأندلس، كانت مركز كورة كبيرة، مـــــن مدنها التابعة لها غرناطة وقســـــطيلية وشـــلوبينية". وظلت عامـــــرة إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

"وكانت إلبيرة – قبل خرابها– من أعظم كور الأندلس، وكانت تسمى في عهود ما قبل الإسلام سنام الأندلس".[2]

"وفي إلبيرة كان يوجد فرس من حجر، كان الغلمان يركبونه ويتلاعبون حوله، إلى أن كسر منه عضو، ويزعم أهل إلبيرة أن في تلك السنة التي حدث فيها كسر تغلب البربر على المدينة فكان أول خرابها".[3]

وبعد أن تحولت إلبيرة إلى أطلال حيث تعرضت للهدم عام 401هـ–1010م، أصبحت العاصمة الجديدة غرناطة تشق طريقها إلى الوجود شيئا فشيئا، حول القلعة الحمراء والتي عرفت بهذا الاسم لاحمرار مبانيها، وقدّر للعاصمة الجديدة أن تحظى بمستقبل لامع، بعد أن اصبحت الملاذ الأخير للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

---

(1) الداية، محمد رضوان: **المختار من الشعر الأندلسي**، ص 69.

(2) الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، المجلد الأول، ص244.

(3) بيريس، هنري: **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ترجمة دكن الطاهر احمد مكي، دار المعارف بالقاهرة،ط1، ذو القعــدة 1408هــ – يونية 1988م، ص297.

- انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الاقطار**، حققه: الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ص 28.
- انظر: المراكشي، ابن عذارى: البيان **المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إ. ليفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ج3 ص 102.

"كان أبو إسحاق الإلبيري من أهل العلم والعمل معروفاً بالصلاح"،(1) فقيها عنيفا متشددا، دفع أهل غرناطة إلى القيام على اليهود وقتلهم بنونيته المشهورة.(2) اهتم باحوال بلده وأمته، وكان له رأي في ظروفها السياسية والاجتماعية، ويغلب على شعره الزهد والتأمل في أحوال الناس والنصح لهم بما يراه طريق الصلاح والنجاح، وهو صاحب القصيدة الزهدية التي يقول فيها:(3)

تَفُــتُّ فُـــؤادَكَ الأَيّـــامُ فَتاً   وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتا

وَتَدْعوكَ المنونُ دعاءَ صِدْقٍ   أَلا يا صــــاحِ أَنْتَ أُريدُ أَنْتا

أَبا بَكْرٍ(4) دَعوْتُكَ لَــوْ أَجَبْتا   إلى ما فيـــهِ حَظُّكَ إنْ غَفَلْتا

إلى عِلْمٍ تكــونُ بِهِ إِمــاماً   مُــطاعاً إنْ نَهَيْتَ وَإنْ أَمَرْتا

(الوافر)

لقد تعرض أبو إسحاق الإلبيري في شيخوخته للملاحقة والسخط والقلق، فأصبح مثقفا في شيخوخته، مشرّدا، يجوب ممالك الطوائف الصغيرة، الفاسدة والغارقة في الملذات، تمزقها الخلافات الحادة، وأبو إسحاق الإلبيري يحتقر الشعر غير الديني، فيقول:(5)

فأنَا مُــــفْحَمٌ عَلَى أنَّ خَيْلي   لا تُجارَى في حَلْبَةِ الشُّـــعَراءِ

(الخفيف)

ولكنّه في الوقت نفسه يباهي بقريحته الشعرية الممتازة فيقول:(6)

وَلَوْ أَنَنِّي أَدْعو الكَلامَ أَجابَني   كَإِجابـــةِ المَأْسور دَعْوَةَ آسِرِ

لكنْ رَأَيْـــــتُ نَبِيَّنا قَدْ عابَهُ   مِنْ كلِّ ثَرْثارٍ وَأَشْدَقَ شاعِرِ

---

(1) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ص 135.

(2) غوميث، إميليو جارثيا: **الشعر الأندلسي**، ترجمه عن الاسبانية الدكتور حسين مؤنس، دار الرشاد – القاهرة، ص 38.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 19.

(4) أبو بكر: كنية المخاطب المباشر في القصيدة وجعل الحديث إليه وسيلة لبسط آرائه ومواقعه وقيل إنه اسم لابنه.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 89.

- انظر: غوميث، إميليو غارسيا: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، تعريف: الطاهر احمد مكي، دار المعارف– القاهرة، ط3،جمادى الاولى1403ه –مارس 1983م ص 105.

(6) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص80.

فَصَمَتُّ إلاّ عَنْ تُقى وَلَرُبَّــما قَذفَتْ بِحارُ قريحَتي بِجواهرِ

(المتقارب)

"لقد نال الإلبيري الأذى والعسف بسبب خطته في الصراحة ومنهجه في حياته، ففي أخباره أنه أُجلي عن غرناطة من قبل السلطان بعد أن أكثر التحريض على اليهود، والمساءلة في أمور الدولة، والاعتراض على الترف والسرف في أجهزة الدولة وبين الناس"،[1] وأنكر على ملك غرناطة كونه استوزر ابن النغريلة[2] اليهودي – وأنكر على أهل غرناطة انقيادهم له– فسعى في نفيه إلى إلبيرة، فقال شعره المشهور:[3]

أَلا قُلْ لِصَنْهاجَةَ أَجْمَــعينْ بُدورِ النَّديِّ وَأُسْـدِ العَرينْ
لَقَدْ زَلَّ سَـــــــيِّدُكُمْ زَلّةً تَقِــرُّ بِها أَعْيُــنُ الشَّامِتينْ
تَخَيَّرَ كاتِبَــــهُ كـــــافِراً وَلَوْ شاءَ كانَ مِنَ المسْلمينْ

(المتقارب)

هذه القصيدة تمثل ثورة ضد تسلط اليهود بعامة، وابن النغريلة بخاصة في شؤون دولة بني زيري، وكانت الشرارة التي أذكت نار الثورة يومئذ.

ووصف باديس بن حبوس[4]في البيت التالي[5]:

---

(1) غوميث، إميليو غارسيا: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ص 105.

(2) ابن النغريلة: هو يوســف بن إسماعيل بن النغريلة، مكن له أبوه إسماعيل في دولة بني زيري وحبّوس ثــم بـــاديس، وكان فيه ذكاء ودهاء، وكانت الجباية الضخمـــة التي يقدمها المتصرفون اليهود تسكت باديس وتسره، غير أن الخاصـــة والعامة استاؤوا من تسلط الكاتب ابن النغريلة والمتصرفين معـــه، والجباه من جماعته، ورأوا اســتئثار هــؤلاء الــرهط وقومهم بخيرات البلاد فأنكروا عليهم ذلك، وحرضوا باديس وقومه مراراً ووصل ابــن النغريلة مـــــن الأمير بلقين ولي عهد باديس عبارات فيها تعريض وعهد، فاحتال عليه ابن النغريلة في إحدى جلسات شرابه وسقاه "السم" فمات مـــن أثرها واتهم بها غيره من المشكوك فيهم.

– انظر الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 128.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص96.

– انظر: ابن سعيد الأندلسي: **المغرب في حلى المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج2 ص 106 – 107.

(4)باديس بن حبوس:ولي امارة غرناطة بعد أبيه سنة 428 ه وتلقب المظفر بـــالله، الناصـــــــر لديــــن الله، وصـــــفه المؤرخون عامة بالشـــدة والصرامـــة التي تصـــل إلى حـــدّ البطش والجور.وباديس هو الأمير الذي عاصر فتنـــة ابـــن النغريلة اليهودي، وتولى ابن النغريلة الكتابة عند باديس، وتمكن من نفس باديس وأرضاه بجباية الأموال، فأعطاه بـــاديس ثقته مما جعله يتصرف على هواه ويستطيل على الرعية، وتوفي باديس سنة 465هــ.

(5)الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 98.

عَلَى أَنّــــَكَ الملِكُ المُرْتضَى   سَـــــــليلُ المُلوكِ مِنَ الماجِدينْ

(المتقارب)

وتلقى باديس بعض التحذيرات مما يحدث، ويبدو أن" أبا إسحاق الإلبيري" العربي الأصل، أبعد عن البلاط، لأنه أدرك طموحات يوسف بن النغريلة اليهودي، ومع الزمن كان يوسف بن النغريلة يبدو كل يوم شيئا أكثر لا يحتمل لترفهه وغطرسته، وحتى إلحاده[1].

لقد أحس الشاعر "أبو إسحاق الإلبيري" بغليان مشاعره المناهضة لليهود، وذلك حين نفاه الأمير باديس بن حبّوس تحت ضغط وزيره اليهودي من غرناطة، فتركها واستقر في ضواحي مدينة إلبيرة الخربة، في زاوية تســـمى "رابطـــة العـــقاب" وهـــناك نظـــم فـــيها قصيدتين يقول في الأولى:[2]

أَلِفْتُ العُـــقابَ[3] حِذارَ العِقابِ   وَعِفْتُ المواردَ خَوْفَ الذِّئابِ

(المتقارب)

وفي الثانية:[4]

وكَمْ ذِئْبٍ تُـــــجاوِرُهُ ولكنْ   رَأَيْتُ الذِّئْبَ أَسْلَمَ مِنْ فَقيــهِ
ولَمْ أَجْزَعْ لِفَقْـــــدِ أَخٍ لأَنِّي   رَأَيْتُ المرْءَ يُؤْتى مِنْ أَخيهِ
فآثَرْتُ البِعـــــادَ على التدَّاني   لأنيِّ لَمْ أَجِـدْ مَنْ أَصْطَفيهِ

(الوافر)

---

(1)بيرس،هنري: الشعر الاندلسي في عصر الطوائف، ص 246

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 64.

- انظر: ابن سعيد الأندلسي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص107.

(3) العُقاب: حصـــن قريب من غرناطة، قال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلـــى المغـــرب 132/2 إن أبـــا إســـحاق الإلبيري هو من حصن العقاب، وحـــدد ابن جبير في رحلته المسافة بين غرناطة وهذا الحصن بثمانية أميال، وقـــال إنـــه قريب من مدينة إلبيرة الخربةوسمي كذلك لأنه كان على باب الحصن صورة عقاب من حجر قديم بـــديع المنظـــر، **نفـــح الطيب من غصن الأندلس الرطيـــب**، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه: احسان عباس، الجـــزء الأول، دار صادر: بيروت، ص 162.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 72.

"واستخدامه كلمة فقيه تدل على أن نفيه من غرناطة إلى إلبيرة أوهن من أواصر التضامن التي تربطه برفاقه في المهنة، وربما لأنهم لم يساعدوه في محنته"،[1] "كما يرى أنه لا يُطعن إلا من جهتهم؛ مما حمله على اليأس من الحياة، فآثر الانزواء على الاختلاط بالناس؛ لأنه لم يعثر على مَن يصطفيه".[2]

ولأن أبا إسحاق لم يستطع أن يصل إلى باديس اتجه إلى صنهاجة، وهم بربر، ربما كان يتوقع أنهم لا يستطيعون التقاط معاني كل الكلمات تفصيلاً، لكنهم على الأقل يفهمون الفكرة العامة التي يريد الشاعر أن يعبِّر عنها، والحق أن أبا إسحاق عبَّر في براعة مدهشة عما أراد أن يقوله بأبيات قصيدة ذات إيقاع سهل، ومن خلال كلمات يفهمها أي مسلم حفظ القرآن أو درسه، وحتى الأفكار التي عبر عنها من تلك التي يمكن أن يتقبلها الشعب بسهولة، فقال:[3]

فَعَـــزَّ اليَّهـــودُ واَنتَخَوْا وَتَاهوا وكانوا من الأَرْذَلينْ
وَنالوا مُناهُمْ وَجازوا المَدى فحان الهلاكُ وَما يَشْعرُونْ
وَقَدْ أنَزَلَ اللهُ فـــي وَحْيـــهِ يُحَـــذِّرُ مِنْ صُحْبَةِ الفاسِقينْ

(المتقارب)

وهناك بعض الأفكار التي استمدها الشاعر من الدين في المقام الأول، ونلحظ أنها تقنع سامعيه على نحو أفضل، مستخدما وقائع محدّدة تمس الحياة المادية الأكثر التصاقا بفكر الشعب البربري في كفاحه اليومي من أجل لقمة العيش، فيقول في ذلك:[4]

وَقَدْ قَسَّـــــموها وَأَعْمالَها فَمْنُهـــمْ بُكـــلّ مَكانٍ لَعينْ

(1) غوميث، إمليو غارسية: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ص 90.

(2) الشناوي، علي الغريب محمد: **دراسات في الشعر الأندلسي**، قدّم له: محمود علي مكي، مكتبة الأول، ص102.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص98.

- انظر: نيكل، أ. ر: **مختارات من الشعر الأندلسي**، دار العلوم للملايين-بيروت، كانون الثـاني، 1949م، بيـروت، ص 141.

(4)الالبيري، ابو اسحاق: ص99.

وَهُمْ يَلْبَسونَ رَفيعَ الكُـــــسا وَأَنْتُــمْ لأَوْضَعِها لابِسونْ

وَرَخَّـــــــمَ قِرْدُهُــــمْ دارَهُ وَأَجْرى عَلَيَهْا نَميرَ العُيونْ
فَصارَتْ حــوائِجنُا عِنْـــــدَهُ وَنَحْــنُ على بابهِ واقِفونْ
وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمِـــــــنْ دينِنا فإنَّا إلى ربِّنا راجِعـــــونْ
فَبادِرْ إلى ذَبْحِهِ قَرْبَـــــــــةً وَضَحِّ بهِ فَهُوَ كَبْشٌ سَمينْ
وَلا تَرْفَعِ الضَّغَطَ عَنْ رَهْطِهِ فَقَــدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلقٍ ثَمينْ

(المتقارب)

وينتهي الشاعر من هذه الأبيات بتبرير قتل اليهود ونهب أموالهم فيقول:[1]

وَلا تَحَسَـــــــبن قَتْلَهُمْ غَدْرَةً بَلِ الغَدْرُ في تَرْكِهِمْ يَعْبَثونْ

(المتقارب)

وثمة فكرة عليا توجه بها إلى باديس بخاصة فيقول:[2]

فَلا تَرْضَ فِينا بِأفْعالِهِــــمْ فَأَنْـــتَ رَهينٌ بِما يَفْعَلونْ
وَراقِبْ إلهكَ في حِزْبِـــــهِ فَحِزْبُ الإلهِ همُ الغالِبونْ

(المتقارب)

ولما لم يعزل باديس الوزير اليهودي، ولما لم يثب اليهودي إلى رشده، تولى الناس بأنفسهم إزاحته من طريقهم بثورة اهتزت لها جنبات غرناطة سنة 459هـ.[3]

وقد استخدم أبو إسحاق الإلبيري في الثورة أسلوب المنشورات، فكتب أبياتا من الشعر في مجموعة من الأوراق ووضعها في أماكن متعددة ليقرأها الناس، ثم هرب إلى ابن صمادح.[4]

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 99.
(2) المصدر نفسه نفسه، ص 100.
- انظر: بيريس، هنري: **الشعرالأندلسي في عصر الطوائف**، ص 246.
(3) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 77.
(4) الملاح، د. ياسر: **من الفجر إلى الغروب قصة الأدب العربي في الأندلس**، ط1، 1413هـ - 1993مـ، ص 153.

لا يبدو أن باديس تأثر بهذا التحذير، ولكن رد الفعل عند بربر صنهاجة كان عنيفا، وبعد أيام من هدوء ظاهري، كانت أبيات الشعر خلالها تنتقل من بيت إلى بيت، ومن فم إلى فم، وموضوع التعليق من وجوه مختلفة، ولكن دائما بطريقة ليست في صالح يوسف بن النغريلة ولا اليهود، وأصبح يقال عنهم الآن علانية، إنهم كانوا ينوون إقامة مملكة يهودية، وانطلقت حركة ذبح اليهود من عقالها.

تجمع البربر ثائرين أمام أبواب قصر يوسف بن النغريلة اليهودي، واقتحموه مسرعين وبحثوا عن يوسف، وكان قد تخفى في قبو متنكرا في ثياب قذرة، ثم وجدوه وقتلوه، وكان هذا بمثابة دعوة إلى السلب والقتل في المدينة، ويقال:" إن ثلاثة آلاف يهودي قتلوا في هذا اليوم[1]"، وانفجر تعصب العامة هذا في يوم 9 صفر 459هـ – 30 ديسمبر 1066م، ولكنها انتهت بانتهائه، ولم تمتد إلى اليوم الثاني، لأن البربر كانوا يكرهون يوسف وحده، أما اليهود فواصلوا حياتهم كما كانوا يعيشون في مقاطعة غرناطة، دون أن يبحثوا فيما تلا ذلك عن مناصب ذات مكانة عالية[2].

وبحكم مهنة أبي إسحاق الإلبيري فقيهاً ولانتمائه إلى اسرة عربية عريقة، لم يكن راضيا عن تولي اليهود منصب الوزارة في غرناطة، غير أنه كان يعمل في الوقت نفسه كاتبا للقاضي أبي الحسن علي بن محمد بن توبة، من أهل غرناطة، وفيه يقول أبو إسحاق الإلبيري: [3]

بِعَلَيِّ بْنِ تَوْبَـــةَ فَازَ قَدْحِي وَسَـمَتْ هِمَّتِي عَلَى الجَوْزاءِ

(الخفيف)

ب. الأوضاع الاجتماعية:

لقد دعت إلى الزهد في عصر ملوك الطوائف حالة المجتمع التي كانت تزداد على مدى الأيام سوءاً.

فالبيئة الطبيعية بالأندلس هيأت لقيام الدويلات، كما دعا إلى ذلك هذا الخليط من الأجناس والأدباء والملل والأهواء التي كانت تضطرب بها الحياة الاجتماعية في الأندلس، ولا تزال إسبانيا تعاني شر الانقسامات حتى الآن،" لقد انتشرت الطبقية في الأندلس في عصر ملوك

(1) الإلبيري، أبو اسحاق، ديوانه، ص127.

(2) بيرنس، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص247.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق، ديوانه، ص125.

الطوائف، فكان المجتمع الأندلسي يموج بألوان من المتناقضات، فهذا ناعم مترف، أو لاه مستهتر، وذاك ناسك عابد، أو ورع زاهد، فطبقة الأمراء والوزراء والشعراء والكتاب وبقية وجوه الدولة تتمتع بالثراء، وتسرف في المجون وتحيا في المتاع، وطبقة العامة من الفلاحين وأصحاب المهن المتواضعة تعيش للبؤس، وتحيا للحرمان لتنعم الطبقة الأولى بمجون الغنى ولهو الثراء".(1)

كان المجتمع الأندلسي في هذه المدة مجتمعا مترفا على الأغلب الأعم، نشطت الصنائع والمتاجر والزراعة، وانفتحت أمام الأندلسيين أبواب المشرق والمغرب، كما كانت لهم صلات تجارية بالأمم الأجنبية المجاورة، وكانوا في عدد كبير من دويلاتهم يعانون من ضغط الضرائب التي يلح الحكام الجدد في طلبها بعد أن وصلوا إلى السلطان بغتة، وكانوا يعانون من ضغط الغرامات الفادحة، التي اشـــترى بها أولئك الحكام ســـكوت الدول المحاربة من الإســـبان ورفع الحرب عنهم.(2)

وفي غياب الدولة الأندلسية الواحدة اختلفت الأحكام والنظم المالية بين دويلة وأخرى، مما كان يزيد في الإشكالات الاقتصادية والاجتماعية.

لقد أسرف الحكام وذوو الثراء في بناء القصور، وأقاموها على الربا، وشيدوها على ضفاف الأنهار، واختاروا لها أحسن الأسماء مثل الثريا وسعد السعود (3)، وجمعوا فيها آيات الروعة والترف والجمال، وآلات المجون واللهو والمتاع، وفرشوها بالديباج وأسدلت على حناياها الستائر، وحلّوها بتماثيل البهائم والأطيار والأشجار ذات الثمار، وألحقوا بها البحيرات المحفوفة بتماثيل الأسود التي ينساب من أفواهها الماء فيحدث نغمات تصبي النفوس (4)، وماجت هذه القصور بالنساء، زوجات وإماء، وبالغلمان والجواري والرقيق الأبيض المجلوب.

وعاش بجانب هذه الطبقة الغنية القادرة طبقة أخرى، مكافحة مكدودة، تعمل في بناء هذه القصور، وتعاني قسوة الإقطاع، لقد أثقلت بالجزية والضرائب الباهظة التي كانت تقدم لحكام الإسبان، إلى جانب ضرائب أخرى فرضت على الشعوب وقت الحروب.

---

(1) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 53

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 6

(3) ابن سعد، المغرب في حلى المغرب ص 381.

(4) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج8، ص 104.

وهكذا كانت الطبقية في الأندلس في عصر الطوائف، طبقة ناعمة مترفة، وأخرى تعاني ألوان التعسف والتنكيل.

لقد كان شعر أبي إسحاق الإلبيري صدى لما يتردد في نفوس الشعب الأندلسي من آمال وآلام، في حياتهم المضطربة ومجتمعهم المعقد المحدود، ولقد رزق الإلبيري حظا في نفوس العامة، بقصائده التي تقف بين فنّي النثر والشعر، فالذي يقرؤها أو يسمعها يحس بأنه في حالة انجذاب صوفي نحو الله عزّ وجلّ، فهو يكرر اسمه تعالى في نهاية كل بيت، وما عليه إذا خالف تعاليم العروضيين، إذ أعانته مخالفته هذه على الاستغراق الحبيب إلى نفسه، من أمثلة قوله قصيدة بلغت ثلاثة وخمسين بيتا(1):

يَا أَيُّهـــا المُغْتَـــــرُّ باللهِ   فِرَّ مِـــــنَ اللهِ إِلى الله

ولُذْ بِهِ واسْأَلْهُ مِنْ فضْلِه   فَقَدْ نَجا مَـــنْ لاذَ بِاللهِ

وقُمْ لَهُ واللَّيلُ في جِنْحِـــهِ   فَحَبذَّا مَـــنْ قـــامَ للهِ

واتْلُ مِنَ الوَحْيِ ولَوْ آيـــةً   تُكْسى بِها نـــوراً مِنَ اللهِ

(السريع)

ولأبي إسحاق الإلبيري عدة قصائد تدل على مشاركته في الحياة الاجتماعية، وتشير إلى أن زهده كان إيجابيا، ففي إحدى قصائده ينعى خراب إلبيرة فيقول(2):

يُضَيَّعُ مَفْروضٌ وَيُغْفَلُ واجِــبٌ   وَإِنِيِّ على أَهْلِ الزَّمانِ لَعاتِــبُ

أَتَنْدُبُ أَطْلالَ البلادِ وَلا يُـــرَى   لإلبيرَةَ مِنْهُمْ على الأرْضِ نادِبُ

وَما كانَ فيها غَيْرُ بُشْرى وأَنْعُمٍ   فَلَمْ يَبْقَ فيها الآنَ إلاَّ المصائِــبُ

شَقَقْنا عَلى مَنْ ماتَ مِنْهُمْ جُيوبنَا   وَكان قليلاً أنْ تُشقَّ الترائِــــبُ

(الطويل)

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 62.

- انظر: عباس، د. إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص 137.

(2) الالبيري، ابو اسحاق، ديوانه، ص 73.

2. الدوافع الخاصة لشعر الزهد لدى أبي إسحاق الإلبيري:

أ. عمله بالقضاء:

"لقد كثر الزهد في الشعر الأندلسي، ومما ساعد على ذلك صوت الفقهاء، ونمو شخصياتهم، فكانت لهم الكلمة المسموعة والأمر المطاع، فتحملوا العبء ونهضوا بالأمانة، وبعض هؤلاء الفقهاء شعراء يجيدون القريض، ويتخذونه لسان دعوتهم، فأصبح الزهد اتجاها برز في شعر هؤلاء الفقهاء الذين كان لهم بالأندلس صوت مسموع، أمثال: أبي إسحاق الإلبيري، فكان مشهورا بالتقوى والصلاح، وقد لقّبه ابن الخطيب بالمولى العابد، كما انعكس أثر القضاء جليا في شـــعر الزهـــد، فقد كان يشـــترط في القضاة أن يكونوا مـــن أهـــل الزهد والتقوى والصلاح".[1]

"لقد كان لسلطة الفقهاء تأثير في دفع الناس إلى التعصب الديني، والتظاهر بالعبادة، والعزوف عن الدنيا ومباهجها، حتى كثر المتزهّدون، وأصبحت صناعة الزهد شيئا مرغوبا، فكان الشعراء يطبقونه بدافع ديني أحيانا، وبدافع تقليدي أحيانا أخرى، على أن من الشعراء من نظمه وشعر حقا بندمه، وأدرك غررو الدنيا، فأخذ يذكر ذنوبه طالبا مرضاة الله وعفوه"[2]، وهذه ظاهرة طبيعية لكل إنسان انغمس في الملذات، إذ لا بد له من ساعات ندم يخلد فيها إلى نفسه.

"كان أبو إسحاق الإلبيري يعمل كاتبا للقاضي، ويقوم في الوقت ذاته بتدريس مؤلفات شيخه ابن ابي زمنين"[3]،" ورواية شعره بنفسه، ومن تلاميذه المباشرين حفيد له، هو ابن أخته: أبو العباس أحمد بن هشام القيسي"[4].

---

(1) الدريدي، أشجع رشيد عبد الجبار: **شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف "رسالة ماجستير"**، جامعة النجاح الوطنية – نابلس، فلسطين، ص 116.

(2) الركابي، جودت: **في الأدب الأندلسي**، ص 118.

(3) ابن أبي زمنين: هو محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الذي ولي الأحكام وكان فقيها نبيها.

– انظر: الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص130.

(4) غوميث، إمليو غارسيا: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ص 88.

"ونحسّ ونحن نقرأ زهديات أبي إسحاق الإلبيري بحرارة عاطفته، وصدق انفعاله، وشدة تقواه، وبأنها مطولات تهدف أساسا إلى الزهد في الحياة والتطلع إلى الآخرة.

"إن مكانـــة الفقهاء الدينيـــة والاجتماعيـــة في البلاد ســـاعدت في انتعاش الفن الزهدي، وقوّت مـــن الشـــــعور الديني، إذ أصبح بعضهم لا يســـتغني فـــي زاده الروحي عـــن قـــدر مـــن الورع والتقـــوى"[1].

"وأجلّ الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي، وقد تهيأت لهم تلك المكانة عند الرؤساء والخاصة بفضل ما تمتعوا به من صفات صبغت شخصياتهم حينا، وهبطت بها في أكثر الأحايين، فممن علت منازلهم وسمت شخصياتهم العلماء والفقهاء" (2).

"إن شعر أبي إسحاق شعر شيخوخة، فهو يصرح في ثلاث مناسبات بأنه أكمل ستين عاما، وفي ثلاث مناسبات أخرى يحدثنا بأنه رأى لداته يرحلون واحدا وراء الآخر[2] ":

تَمُرُّ لِداتي واحِداً بَعْدَ واحِـــــدِ   وأَعْلَمُ أَنيِّ بَعْدَهُمْ غَيْرُ خـــالِدِ

وَأَحْمِلُ مَوْتاهُمْ وَأَشْهَدُ دَفْنَهُـــمْ   كَأنيِّ بَعيدٌ مِنْهُمُ غَيْرُ شـــاهِدِ

فَها أَنا في عِلْمي بِهِمْ وَجَهالَتي   كمُسْتَيَقِظٍ يَرْنو بِمُقْلَةِ راقِـــدِ

(الطويل)

وكان أبو إسحاق الإلبيري يعتمد المذهب المالكي، وهو المذهب الرسمي والسائد في الأندلس، يهاجم بعنف وفي عبارات لا يمكن ترجمتها أحيانا أهل إلبيرة، وقد رفعوا على قاضيهم ابن أبي زمنين:[3]

فَها هُوَ ذا يَقْضي على الرَّغْمِ مِنْكُمُ   فَموتوا بِغَيْظٍ واصْنَعوا كَيْفَ شِئْتُمْ

(الطويل)

---

(1)خريوش، حسين يوسف حسين: **ابن بسام وكتابه الذخيرة**، ص 188.

(2)الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط 1، 140م، ج3، ص 331,

(3) الالبيري، ابو اسحاق، ديوانه، ص 105.

(4) المصدر نفسه، ديوانه ص 107

ب. التأثر بشعراء المشرق:

إن فكرة التأثر والتأثير موجودة منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحاضر، فشعر الزهد في العصر العباسي تأثر بسابقه وأثر في لاحقه، وهكذا في كل عصر من عصور الأدب.

"فمن يتصفح أشعار الزهد في العصر العباسي يجد أن هناك قواسم مشتركة بين معانيها وألفاظها، ومعاني وألفاظ شعر الزهد في العصر الأموي، فأبو العتاهية تأثر بأبيات سابق البربري في الفكر واللفظ"(1)، يقول أبو العتاهية:(2)

لِمَنْ نَبْني وَنَحْـــنُ إلى تُــرابٍ   نَصيرُ كَما خُلِقْنا مِنْ تُــــرابِ

(الوافر)

ويقول سابق البربري:

وَلِلْمَوْتِ تَغْدو الوالِداتُ سِخَالَها   كَما لِخَرابِ الدُّورِ تُبْنى المَساكِنُ

(الطويل)

عندما فتح العرب المسلمون أسبانيا عام 92هـــ، وجدوا الحكم القوطي مسيطرا على البلاد، والكنيسة موجهة للثقافة، فاحتكر رجال الدين العلم والتعليم، واتجهوا به نحو الدين، وجاء الفتح العربي فورث هذه المعارف، وانطلق إلى آفاق رحبة من العلوم والفنون والأخلاق لكل من في شبه الجزيرة من العرب والعجم على السواء، فتقدمت الثقافة العربية بأسبانيا المسلمة تقدما ظاهرا، وتخلفت الثقافة المسيحية.

"انتشرت الحضارة العربية في الأندلس بانتشار العرب فيها، وبكثرة المساجد، وأصبحت الأندلس كمحطات الإذاعة، فيها آلات للاستقبال، وآلات للإرسال، استقبلت كل ما أرادت من

(1) رواجبة، أحمد راضي: **التأثر والتأثير في شعر الزهد في العصر الأموي**، إشراف: خليل عودة – رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية: نابلس – فلسطين، ص 132 – 133.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 33.

المشرق، وأرسلت إلى العالم الإسلامي كله، نوعين من الموجات، نوعا ذهب إلى المشرق، ونوعا ذهب إلى أوروبا".(1)

وكان عصر بني أمية في الأندلس، وعصر الطوائف من بعده، أزهى عصور المسلمين، وفي هذين العصرين اكتملت الحضارة العربية، وازدهرت وعمّت شبه الجزيرة، وامتدت حتى شملت الشمال الغربي من أوروبا، وكان عهد الطوائف بالأندلس عهد علم، وأدب، نما العلم وكثر المشتغلون به، وازدهر الشعر وتنافس فيه الشاعر والأمير على سواء.

نشأ الشعر العربي في الأندلس شرقيا، جاء مع العرب الفاتحين لها أو النازحين إليها، وما أن استقل بهم المقام في هذه البلاد التي فتح الله عليهم حتى بدأ الشعر يستقل وتتكون له دولة، ترسمّت–من الناحية الفنية– خطا المشارقة، لأن أمراء الأمويين كانوا–كأسلافهم من خلفاء بني أمية– يتعصبون للثقافة العربية الأصيلة، فكان هؤلاء الأمويون الأندلسيون يتخذون من كبار الشعراء نماذج تحتذى.

ولم يأت القرن الرابع حتى وجدنا الشخصية الأندلسية تسير جنبا إلى جنب مع النزعة العربية التقليدية، ولم يقف الأمر عند حد التقليد، بل تمادى الأندلسيون فتحولوا إلى منافسين، وأتى القرن الخامس وأتى معه ملوك الطوائف، فكان عصر اضطراب سياسي واجتماعي، ولكنه كان عصر استقلال وتقدم وازدهار أدبي، ويرجع الفضل في ذلك لعدة عوامل منها اهتمام عامة ملوك الطوائف بالشعر والشعراء.

"وقد تأثر الأدب الأندلسي بالأدب الشرقي، حتى إن الأندلسيين أنفسهم كانوا يلقبون نابغيهم بأسماء المشارقة، فيقولون في ابن خفاجة صنوبري الأندلس، وابن زيدون بحتري الأندلس،"(2) ومنشأ ذلك أن العلماء والأدباء من أهل الأندلس كانوا يرحلون إلى المشرق فيلقون الأئمة ويأخذون عنهم، ثم ينتقلون إلى الأندلس برواية ما أخذوه فيبثونه في أهلها، وكان الأمويون وعرب الأندلس لا ينفكون ملتفتين إلى الشرق، موطن الجنس والدين واللغة والأدب والحضارة،

---

(1) أمين، أحمد امين، ضحى الاسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة1953م، ط3، ص303– ص304.

(2) الرافــعي، مصطفى صادق: **تاريـــخ آداب العــرب**، ج3، ص 254.

فيســـيرون على ضيائـــه، ويســـتمدون مـــن زعمائـــه وعلمائه، ويحذون في سياستهم وإدارتهم حذو العباسيين.

"كما أن الفكر الأندلسي بجملته مرتبط بأخيه المشرقي، ولذلك لا يمكن دراسة نشأة الزهد والتصوف في الأندلس بمعزل عن تيارات الزهد والتصوف المشرقية".(1)

"ويبدو أن عدد الزهاد في الأندلس كان من الكثرة بمكان، حتى أن ابن بشكوال- فيما يرى ابن الابار- قد صنف كتابا بعنوان "ازدهار الأندلس وأئمتها"، غير أن هذا الكتاب قد ضاع بين آلاف عديدة من كتب التراث التي عدا عليها الزمان بمحنة أو بأخرى".(2)

وعمر الشعر المشرقي أكبر من عمر أخيه الأندلسي، فعندما كان يعيش الشعر الأندلسي في ظلال الحكم الأموي المغربي- الذي اعتز بعروبته وتعصب لها على النحو الذي كان لأسلافه المشارقة- كان الشعر المشرقي يعيش أزهى عصوره في ظلال بني العباس، وما زال يســتكمل ســماته وخصائصـــه حتى اكتملت واتضـــحت خـــلال القـــرن الرابـــع وأوائل القرن الخامس الهجريين.

وعلى الرغم من تأثير الشعر العربي القديم في الشعر الأندلسي، إلا أنه بقي وفيا لبيئته الأندلسية، منها تكوّن وبها تعلق، وعليها دار، وكان للأندلسيين شخصية واضحة لم تطمسها هذه المشابهة المشرقية، ومن الشعراء الذين تأثروا بإخوانهم من شعراء المشرق الشاعر أبو إسحاق الإلبيري.

وقد وصل الالبيري بشعره الزهدي الى الأدب العربي- لا في الاندلس فحسب- الى القمة، بما أضفى عليه من حرارة الوجد والانفعال والإقرار بالضعف الإنساني أمام مغريات

---

(1) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي**، الطبعـة الأولـى، 1407هـ -1986م، مؤسسـة الرسالة، ص146.

(2) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 57.

الحياة ومكافحة الشهرة العارمة، فإذا بكى أحسست أنه ينتزع انتزاعا من هذا العالم الأرضي، ويفارقه وروحه معلقة به[1]ومن ذلك قوله[2].

فَيا إِخْوَتي مَهْما شَهْدتُمْ جَــــنَازتي فَقوموا لِربّي واسْألوهُ نَجَاتي

وَجِدّوا ابْتهالاً في الدُّعاءِ وأَخْلِصوا لَعلَّ إِلهي يَقْبَلُ الدَّعـــــواتِ

(الطويل)

وثمة فكرة مطروحة وشائعة إلى حد كبير في الشرق والغرب على السواء، وهي السخرية من الشيخ المتصابي، يعرض عن نذير الشيب، وينغمس في الحب والفجور، غافلا عن رحيله القريب والخطير. فيقول أبو إسحاق الإلبيري في ذلك[3]:

فَقَدَ اللّداتِ وَزَادَ غَياً بَعْــدَهُمْ هلاّ تَيقَّظَ بَعْدَهُمْ وَتَنبَّهـــــــــــــا

يا وَيْحَهُ ما بالهُ لا يَنْتَهــــي عَنْ غَيّهِ والعُمْرُ مِنْهُ قَدِ انْتهَـــــــى

(الكامل)

"لقد استطاع المسلمون في الأندلس أن يقيموا دولة للشعر والأدب، ووصلوها بتراثهم القديم وأودعوها ذوات نفوسهم، فلماضيهم قداسة، ولحاضرهم مكان، فأتى أدبهم بين الأصالة والتقليد وفيّا لماضيهم، مصيخا لحاضرهم، وتلك خاصة فكرية شهد لهم بها التاريخ، وحسبهم أن يذكروا على مدى الزمان".[4]

---

(1) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف، ص137.
(2) الإلبيري، أبو اسحاق، ديوانه، ص56.
(3) المصدر نفسه، ص47.
(4) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 402.

الفصل الثاني

الموضوعات التي اشـــتمل عليها شـــعر الزهــد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري.

أولاً: الموت.

ثانياً: الدنيا.

ثالثاً: الوعظ والنصح.

رابعاً: ذم حياة الملوك.

خامساً: عواقب الموت.

سادساً: الحكم والأمثال.

سابعاً: الشيب والسخرية من الشيخ المتصابي.

لقد أملى العصر العباسي على معظم الشعراء خوض أغراض الشعر لمجاراة الحياة الإجتماعية، ومن بين هذه الأغراض شعر الزهد والحكمة، وابو العتاهية كشاعر عباسي طرق هذا المجال وأبدع فيه.

أما أبو اسحاق الألبيري "فإنه يكاد يكون شاعرا زهديا خالصا، والجانب الأكبر من ديوانه شعره زهدي في جوهره، وهي حالة مثيرة في القرن الذي عاش فيه، لأن هذا الطراز من الشعر لم يكن مألوفا على نحو واسع في عصر مقبل على المتع منهمك في الملذات[1]، "ويلاحظ قارئ شعر أبي إسحاق الإلبيري هجوما على الدنيا، وعلى الانغماس في ملذاتها، وعلى الاسترسال في مطالب الحياة التي يجرّ بعضها بعضا"،[2].

وعند دراستنا لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري وجدناه يشتمل على الموضوعات الآتية:

أولاً: الموت:

فكرة الموت، ذلك المصير المحتوم للإنسان، – بل لكل حيّ – كانت أقوى أسلحة ابي العتاهية للتخويف الموجع والزجر القاسي حتى للتقاة الراغبين في التطهر من أجل هذا المصـــير، وهـــذه الفكـــرة كـــان أبـــو العتاهيـــة يعزف عليها فيزلزل قلوب العصاة والمؤمنين على سواء[3].

فهو يخاطب الإنسان الذي نسي الموت ويطلب الخلود في الدنيا فيقول له: لا تثق بالدنيا وبالصحبة فيها، فالموت يأتي ويفرّق هذه الجماعة، ثم يأتي له بدليل آخر على الموت، ألا وهو موت الأبوين، فيقول:[4]

أَنْســـــاكَ مَحْياكَ المماتا   فَطَلَبْتَ في الدُّنيا الثَّباتا

(1) غوميث، إميليو غرسيه: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ص 91.
(2) الدّاية، محمد رضوان: **المختار من شعر الأندلس**، ص 69.
(3) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 505.
(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 74 – 75.

أَوَثِقْـتَ بالدُّنيا وأَنْـــــ ... تَ تَرى جَماعَتَها شَتاتَا

هَـلْ فِيهما لكَ عِبْـرةٌ ... أَمْ خِلْتَ أنَّ لكَ انفِلاتا

يا من رأى أبَوَيهِ فيـــ ... ما قَد رأى كانا فماتا

(مجزوء الكامل)

تلك النصيحة تسوي بين جميع البشر، فمصيرهم واحد، إلا أن الحياة تنسيهم الموت زوراً وبهتانا، لقد استخدم الشاعر أبو العتاهية في الأبيات السابقة أسلوب الاستفهام، ليكون الخطاب أشد وقعا وأثرا في النفس اللاهية عن ذكر الموت، ثم نراه استخدم كاف المخاطب في هذا الحوار مع الإنسان، واستخدم قافية التاء مع ألف الإطلاق لتدل على انطلاق الإنسان في هذه الحياة والانفلات فيها.

ورد في الأغاني[1]: "حدّث المعلّى بن أيوب قال: دخلت على المأمون يوما وهو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب، شديد بياض الثياب، على رأسه لاطئة[2]، فقلت للحسن بن أبي سعيد وكان كاتب المأمون على العامّة: من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت لو عرفته ما سألتك عنه، فقال: هذا أبو العتاهية، فسمعت المأمون يقول له: أنشدني أحسن ما قلت في الموت فأنشده الأبيات السابقة، قال: فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز فكتبتها عنه".

وفي غفلة الناس عن الموت، وهو بينهم يغدو ويروح، لا مفر منه ولو عمّر الإنسان ما عمّر نوح، فيقول:[3]

كُلُّنا في غَفْلةٍ والــــــــ ... مَوْتُ يَغـدو ويَروحُ

نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـــ ... كينُ إنْ كُنْـتَ تَنوحُ

لتَموتَنَّ وإنْ عُمِّـــــرْتَ ... ما عُمِّرَ نـــــوحُ

(مجزوء الرمل)

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 151 – 152.

(2) لاطئة: من لاطئة الشيء، لزق، ولاطئة هي قلنسوة صغيرة تلصق بالرأس، وهي ما تسمى بالطاقية. **المعجم الوسيط**، ص 862.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 98 – 99.

– انظر البستاني، بطرس: **منتقيات أدباء العرب في الأعصر العباسية**، ص 29.

استخدم أبو العتاهية في هذه الأبيات التفعيلات القليلة من بحر مجزوء الرمل لتتناسب مع ما يحدث عنه من قصر حياة الإنسان مهما طالت، حتى لو بلغت حياة نوح عليه السلام.

ومما يدل على صدق عاطفته في هذه الأبيات هو استخدامه لضمير جمع المتكلمين (نا)، فهو يتكلم عن نفسه أولا، ثم عن غيره، ونراه بعد ذلك يوجه الخطاب لكل إنسان يغفل عن الموت ويصفه بالمسكين.

ورد في الأغاني:[1] "حدّث محمد بن صالح العدوي قال: أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات إذا ركبها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يتغنون به، فقيل له: ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس، قال: فوجّه إليَّ الرشيد: قل شعرا حتى أسمعه منهم، ولم يامر بإطلاقي، فغاظني ذلك فقلت: والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يُسرُّ به، فعملت شعرا ودفعته إلى من حفّظه الملاحين، فلما ركب الحرّافة[2] سمعه، قال: فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة وأشدّهم عنفا في وقت الغضب والغلظة. فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا".

لقد أخد ابو الهتاهية فكرة أن الموت آتٍ لا محالة لكل حيّ على وجه الأرض، وإن الدنيا دار بلاء وشقاء وعناء، من سرّهُ زمن ساءته أزمان، والمغرور فيها من يظن أن القوة والصحة دائمتان، فالمرء عليه أن يغتنم شـــبابه قبـل هرمه، وحياته قبـل موتـه، فمـن أراد الثواب فليقل خيراً أو ليصمت، فيقول أبو العتاهية[3]:

مَنْ يَعِشْ يَكْبُرْ وَمَنْ يَكْبُرْ يَمُتْ   والمَنايا لا تُبالي مَنْ أَتَــتْ
نَحْنُ في دارِ بَــــلاءٍ وأذى   وَشَقاءٍ وَعَنَاءٍ وَعَنَـــــتْ

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 177 – 178.

(2)الحرّافة: ضرب من السفن فيها مرامي نيران، انظر المعجم الوسيط، ص190.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 55 – 56.

– انظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، تحقيق: دكتور عبد المجيد الترهيني، دار الكتب العلمية: بيـروت – لبنان، ج3، ط3، 1407هـ –1987مـ، ص 138 – 139.

مَنْزلٌ ما يَثْبُتُ المَــــــرْءُ بهِ سالماً إلا قليلاً إنْ ثَبَـــتْ
أيُّها المغرورُ ما هذا الصِّــبا لَوْ نَهَيْتَ النَّفْسَ عَنْهُ لانتهَتْ
رَحِمَ اللهُ امرأً أَنْصفَ مِــــنْ نَفْسِهِ إذْ قال خَيْراً أوْ سَكَتْ

(الرمل)

استخدم الشاعر أسلوب الشرط ليؤكد للإنسان موته، واستخدم لذلك قافية التاء الساكنة لتتناسق مع الوضع، إن الموت قريب من الإنسان، وهو أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، وكأس الموت لا بد لكل إنسان أن يشربه، وقال:(1)

ما أَقْربَ الموْتَ مِنّا تَجــــاوزَ اللهُ عنَّـــــا
كَأَنَّهُ قَدْ سَــــــقَانا بِكَأْسِــــــــهِ حَيْثُ كُنّا

(المجتث)

إن الإنسان يأمل أن يخلد في هذه الدنيا، ولا يدري أن الموت يقطع حبال هذا الأمل، ويقف له بالمرصاد، فإذا أمسى حيا فقد لا يعيش إلى الصباح، وإذا أصبح فقد لا يعيش إلى المساء، يقول أبو العتاهية في ذلك:(2)

أؤَمِّلُ أَنْ أُخَلَّدَ والمَـــــنايا يَثِبْنَ عليَّ مِنْ كُلِّ النَّواحي
ومَا أدْري إذا أمْسَيْتُ حيّا لَعلِّي لا أعيشُ إلى الصَّباحِ

(الوافر)

يكثر أبو العتاهية في شعره الزهدي من التعابير الدينية، ففي البيتين السابقين كأني بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"(3)، وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء...".

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 396.

(2) المصدر نفسه، ص 99.

(3) البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسـماعيل بن إبراهيم: **صحيح البخاري**، حققه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج7

وقد أبدع أبو العتاهية في وصف الموت، حين يموت الإنسان وكأن الأرض قد احتوته صفر اليدين، وحيدا لا يجد إلا عمله، وكيف أن بكاء الأهل لا يغني عنه شيئا، فلنتذكر الموت ونبكي أنفسنا ونسعد إخواننا قبل فوات الأوان، ففي ذلك يقول:[1]

كَأَنَّ الأرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيّــا   وَقَدْ أَخْرَجْتُ ممّا في يَديّا
كَأَنّي قَدْ صِرْتُ مُنْفرداً وحيداً   وَمُرْتهناً لَدَيْكَ بما عَلَيَّــا
كَأنَّ الباكياتِ عليَّ يومــــــــاً   ولا يُغْني البكاءُ عليَّ شيّا
ذَكَرْتُ منيّتي فَبكَيْتُ نَفْســـــي   ألا أَسْعِدْ أُخَيَّكَ يا أُخَــيّا

(الوافر)

وقال أبو العتاهية :[2]

وَما المْوتُ إلا رِحْلَةٌ غيرَ أَنّهُ   مِنَ المْنزِلِ الفاني إلى المْنزِلِ الباقي

(الطويل)

فاستخدم أداة الحصر "إلا" ليحصر الموت بأنه رحلة، وليس نهاية المطاف بالإنسان، وإن من ينظر إلى الأموات عندما يوضعون في قبورهم فيقول في ذلك:[3]

وَعَظَتْكَ إجْــــداثٌ خُفُتْ   فِيهنَّ أَجْــــسادٌ سُـــــــبُتْ
وَأَرتْكَ قَـــــبْرَكَ في القبُو   رِ وَأَنْتَ حــــيٌّ لم تَمُـــــــتْ

(مجزوء الكامل)

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 442 – 443.
- انظر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج3، ص 138.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 251.
- انظر: شامي، يحيى: **أروع ما قيل في الشعر العربي**،، دار الفكر العربي: بيروت 2003، ج1، ص101.

(3) أبو العتاهية، أشعارة وأخباره، ص78– ص 79
ورد البيت الأول: وعظتك أحداث صمت   وبكتك ساكنة خفت.
- انظر: المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الشركة العالمية للكتــاب، ج3، ط2، ص 359.

يكفيك موعظة أيها الإنسان أن تشاهد الأجساد الميته تلقى في القبور، فالموعظة للحي وليست للميت، لقد ظل أبو العتاهية ثلاثين عاما يتغنى بالكأس الخالدة كأس الموت الدائرة على الخلق، فالكل مصيره إلى الفناء، والكل وشيك الزوال، والكل سيصبح ترابا في تراب، فيقول:(1)

لِدُوا للمَوْتِ وابْنوا للخَـرابِ فَكُلُّكُم يصيرُ إلى ذهـــابِ
ألا يا مَوْتُ لَمْ أرَ مِنْكَ بُــدّا أَتَيْتَ فلا تحيفُ ولا تُحابـــي
كَأَنّك قَدْ هَجَمْتَ عَلى مَشيبي كَما هَجَمَ المشِيبُ على شَبابي

(الوافر)

لقد تنوع أسلوب أبي العتاهية في الأبيات السابقة من الأمر إلى الاستفهام إلى النداء، فالأسلوب الإنشائي في مثل هذه المواقف، وخاصة ذكر الموت، يشد السامع والقارئ ويجعله أكثر خوفا واعتبارا لما يجري حوله، ثم ينهي هذه المقطوعة بتصوير الموت حين يهجم فجأة هجوم المشيب على الشباب. ويتقدم أبو العتاهية ليوجع أكثر وبقدر أشد، ولا يفوته أن يغمز بمسؤولية الراعي والرعية، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، وإن الله سائل كل إنسان ما استرعاه يوم القيامة، كما نرى في المقطوعة الآتية، فيقول:(2)

يا راعيَ النَّفْسِ لا تُغْفِلْ رِعايَتَها فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ ما اسْتَرْعَيْتَ مسؤولُ
إني لَفي مَنزلٍ ما زِلْتُ أعْمُــرُهُ على يقيــنٍ بأَنّي عَنْهُ منْقـــــــــولُ
لَمْ يُشْغَلِ الموْتُ عَنَّا مُذْ أُعِــدَّ لنا وكُلُّنا عنْهُ باللَّذاتِ مشْـــــــــغولُ

(البسيط)

لقد استهل الشاعر هذه المقطوعة بنداء لكل إنسان، وهذا النداء يحمل في طياته النهي عن الغفلة، وعدم الانشغال باللذات، لأننا على يقين بأننا سنرحل عن هذه الدار إلى دار أفضل، تلك هي الدار الآخرة. ومن روائع زهده ما قاله منذرا بالمشيب، وأن الإنسان عليه أن يكون

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص33.
(2) المصدر نفسه، ص 278 – 279.
ورد في البيت الأول: يا راعي الشاء لا تغفل رعايتها فأنت عن كل ما استرعيت مسؤول
– انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 161.

مستعدا لداعي الموت، لأن الموت لا يفرق بين صغير وكبير، ولا صحيح وسقيم، حتى الطبيب المداوي من الأمراض والعلل، فربما يموت الطبيب ويعيش المريض فيقول:[1]

نعى لك ظل الشباب المشـــيب وَنادَتْكَ باسْمِ سِواكَ الخُطُــوبُ
فَكُنْ مُستعدًّا لِداعي المَنُـــــونِ فَكُلُّ الذي هُوَ آتٍ قَريــــــبُ
وقَبْلَك داوَى الطَّبيبُ المرِيضَ فَعاشَ المَرِيضُ ومَاتَ الطَّبيبُ

(المتقارب)

وفي الأبيات الآتية نراه شديد الإيحاء بالمشهد الجنائزي الذي يبدأ بمرض الموت وينتهي بانسحاب المشيعين من حول القبر، وما يتبع ذلك من نسيان الناس لموتاهم فيقول:[2]

وكَـــأَنَّ بِالمَـرْءِ قَـــــد يَبْكي عليْــــهِ أقْربُــــــــــوهُ
حَرَّفُــــــوه وجّهــــــــوهُ مَــــــدّدوهُ غَمّضــــــــوهُ
أَرْفَـــعُوهُ غَسّـــــــــــلوهُ كـــــفّنوهُ حنّطـــــــــوهُ
فإذا مَا لُــــــــفّ فــــــي الأَ كّــــفانِ قالوا فاحْمِلـــوهُ
أخْرجُـــوهُ فـــــوق أعــــوا دِ المَــــنايا شَــــــيَّعوهُ
فإذا صلّــــــــوا عليـــــهِ قِـــيلَ هاتُـــوا واقْبِـــروهُ
خَلّفــوهُ تَحْـــتَ رَمْـــــسٍ أَوْقَـــروهُ أثْقَلـــــــــوهُ
ودّعــــــــوهُ فارَقُـــــــــوهُ أسْــــــلموهُ خَلّفــــــــوهُ
وانْثَنوا عَنْـــــهُ وخَــــــلَّو ه كَـــــأَنْ لَمْ يَعْرِفـــــوهُ

(مجزوء الرمل)

نراه في هذه الكلمات المعبرة المليئة بالصور الحية للمشهد الجنائزي حين ينعى صاحبه، يصور حضور المشيعين، والإسراع في تغسيله وتكفينه، والكل يلتف من حوله يودعه، أقاربه وأصحابه، ثم يحمل على الأكتاف ليصلى عليه، وبعدها يدفن في قبره، فإكرام الميت دفنه، وتنزل جموع المشيعين تاركين الميت خلفهم، يتبادلون الأحاديث بينهم كأنهم لم يعرفوه من قبل.

---

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **عيون الأخبار**، ج2، ص 352.
ورد البيت الثاني: فكن مستعدا لريب المنون فإن الذي هو آت قريب
- انظر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج3، ص140.
- انظر: أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص681.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 422.

"هذه المقطوعة تدل على اقتدار أبي العتاهية في التقاط المعاني البسيطة من جهة، وفي براعة إيقاعها من جهة أخرى، والتركيز فيها ليس على الجانب الوعظي فحسب، بل على جانب الإيجاع بعقوبة الموت في الحياة وما يتبعها من نسيان الناس لموتاهم، وأما الأساليب الوعظية، وأبيات التأمل والحكمة ففي بقية القصيدة حيث تبلغ أبياتها ثلاثة وأربعين بيتا "،[1] جاءت القصيدة على مجزوء الرمل ذي التفعيلات القليلة وذلك حتى لا يملّ القارئ أو السامع من الإطالة، ثم الترابط بين الأبيات والتصوير الحي للمشهد.

لقد كثر الحديث عن الموت، فهو كالحب أمدنا بحصاد وفير من القطع الشعرية التي تكشف لنا شيئا عن الروح الأندلسي،[2] وأبو إسحاق الإلبيري زاهد آمن بالموت وأقبل عليه، وقد علم أن الموت حق وأن الدنيا معبر للآخرة، فنراه يندب نفسه، ويذكرها المعاد فيقول:[3]

كَأَنِّي بِنَفْسي وَهِيَ في السَّكَراتِ ... تُعالِجُ أَنْ تَرْقى إلى اللَّهَــواتِ
وَقَدْ زُمَّ رَحْلي واسْتَقَلَّتْ رَكائِبي ... وَقَدْ آذَنَتْني بالرَّحيلِ حُــداتِي
إِلى الله أَشْكُو جَهْلَ نَفْسي فَإِنَّها ... تَميلُ إِلى الرَّاحاتِ والشَّهَواتِ
وَمَا يَعْرِفُ الإِنْسانُ أَيْنَ وَفَاتُــهُ ... أَفي البَرِّ أَمْ في البَحْرِ أَمْ بِفَلاةِ

(الطويل)

الموت طالما وقف عنده الزهاد، واستشفوا منه العبرة، لأنه الجسر الذي يبلغهم الآخرة ويصلهم بها، وكثيرا ما ذكرهم المشيب بقربه ومشهده المريع، ينتظر الناس فيه دورهم على الرغم منهم[4].

وها هو المشهد الجنائزي يتكرر عند زاهد الأندلس أبي إسحاق الإلبيري، كما هو عند شاعر المشرق أبي العتاهية، فنراه يذكر الموت، وبأنه لا يفرق بين صغير أو كبير، فإذا ما واراه أصحابه في لحده ورجعوا، انتهبوا ماله، وأخذوا يقتسمون ما وراءه من متاع، فيقول[5]:

---

(1) أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية**، ص 263 – 264.
(2) بيريس، هنري: **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ص 408.
(3) الإلبيري، أبو إسحاق، ص 52 – 56.
(4) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ص 446.
(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 120.

كَمْ آمِنٍ للمَنُـــــــون لاهٍ | عَنِ الرَّدَى باتَ مُطْمَئِنّا
صَبَّحَهُ وافِدُ المَنايــــــــا | فَعايَنَ المَوْتَ حِيــنَ عَنَّا
حَتَّى إِذا ما قَضى بَكـــاهُ | حَمِيمُهُ مُعْولاً مُـــــــرِنَّا
واروْهُ في لَحْدِهِ وسَـــنُّوا | عَلَيهِ مِـــنَ التُّرابِ سَـــنَّا[1]
وانْتَهبُوا مالَهُ وشَـــــنُّوا | الغَاراتِ فيما حَواهُ شَــنَّا
لِمِثْلِ هَذا فَكُنْ مُعِــــــدًّا | ما قَدْ أَعَدَّ الهُداةُ مِـــــنَّا
وارْتَقِبِ المَوْتَ فَهُو حَتْمٌ | يَخْتَرِمُ[2] الطِّفْلَ والمُسِنَّا

(البسيط)

إن تنوع الأساليب في شعر الزهد ظاهرة ذائعة الانتشار عند شعراء المشرق والأندلس، فها هو زاهد الأندلس أبو إسحاق الإلبيري في مقطوعته الشعرية التالية يوجّه إلى إخوته هذا الرجاء بأن يطلبوا له النجاة من العذاب، وأن يخلصوا في الدعاء لعلّ الله يقبله، وخير الدعاء دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب وأن يكون خالصا لله سبحانه، حيث يقول[3]:

فَيَا إِخْوَتي مَهْمَا شَهِدتُمْ جَنازَتِـــــي | فَقُوموا لِربِّي واسْـــــــألوهُ نَجاتي
وَجِدُّوا ابْتهالاً في الدُّعاءِ وأَخْلِصُوا | لَعَلّ إِلهي يَقْبَلُ الدَّعَـــــــــــواتِ
وقُولوا جَميلاً إِنْ عَلِمْتُمْ خِلافَـــــهُ | وَأَغْضُوا عَلى ما كانَ مِنْ هَفَواتِـــي
وَلا تَصِفُوني بِالّذي أَنا أَهْلُــــــــهُ | فَأَشْقى وَحَلُّونِي بِخَيْرِ صِـــــــفاتِ

(الطويل)

لقد بدأ الإلبيري هذه المقطوعة بالنداء "يا إخوتي" ثم بعد النداء تكرر أسلوب الأمر"فقوموا"، "واسألوه"، "وأخلصوا"، "وقولوا"، "وأغضوا"، إن تكرار مثل هذا الأمر دليل على إيمانـــه العميق بأن الموت حـــق، ولا بد لكـــل إنــــسان مـــن أن يشـــرب كأســــــه، ويتحدث

---

(1) سنّ الماء، التراب: صبّه صبّاً سهلاً، على وجه الأرض.
- انظر: **المعجم الوسيط**، ص481.
(2) يخترم: اخترمته المنية: أخذته.
- انظر: **المعجم الوسيط**، الجزء الأول، ص229.
(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 56.
- انظر: شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية واثرها في الشعر، عصرملوك الطوائف**، ص 508.

أبو إســحاق الإلبيري عن تجاهل الإنـــسان لحقيقة الموت في حين أن الموت يترصدنا كل لحظة[1] كما يقول[2]:

إلى كَمْ أقولُ وَلا أفْعَـــلُ	وكَمْ ذَا أحومُ ولا أنــزلُ
وَأزْجُرُ عَيْني فَلا تَرْعوى	وأنصَحُ نَفْسي لا يَغْفَــلُ
وكَمْ ذا أؤَمِّلُ طُــولُ البَقا	وَأغَفِلُ والموْتُ لا يَغْفَــلُ
وَفي كُــلّ يــوم يُنادي بنا	مُنادي الرَّحيل: ألا فانزلوا

(المتقارب)

بعد أن عرضنا لموضوع الموت عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، نجد أن أبا العتاهية تعرّض في موضوع الموت للمعاني الآتية: التخويف والزجر القاسي، وهو مفرق الجماعات والأصحاب، وغفلة الناس عن الموت وهو قريب ولا مفر منه، وظهور الشيب أشد نذير لقرب الأجل، والدنيا دار شقاء وبلاء وعناء، وعدم الأمل في الدنيا لأن الإنسان إذا أمسى فلا ينتظر الصباح، وإذا أصبح فلا ينتظر المساء، والموت رحلة من الفناء إلى البقاء، ويبلغ الترويع مداه في المشهد الجنائزي، من إعلان الموت إلى النزول عن المقابر ونسيان الميت.

أما الإلبيري فقد تطرق إلى المعاني الآتية: الاتعاظ بالموت والاعتبار بالآخرة، والأمل في عفو الله والتضرع إليه، وكل ما في الحياة الدنيا عرض زائل وأنها مجرد طريق إلى الدار الباقية، وغفلة العاصي عن الموت الذي يهجم بغتة، وتساوي الناس أمام الموت، وكذلك التعرض للمشهد الجنائزي ونسيان الأهل لصاحبهم بعد أن يواروه الثرى.

لقد أكثر كل من أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري من المفردات الدينية في شعرهما وخاصة موضوع الموت الذي قهر الله به عباده، يموت الصالحون ويموت الطالحون، يموت الصغير ويموت الكبير، والغني والفقير، حتى الأنبياء عليهم السلام قد شربوا من كأس الموت ومروا بسكراته.

---

(1) عيسى، فوزي: **في الأدب الأندلسي**، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1424هـ- 2003م، ص89.

(2) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 508.

نلاحظ من خلال هذا العرض مدى تأثر الإلبيري بأبي العتاهية حين يعرض موضوع الموت بأسلوب إنشائي متنوع، كالأمر والاستفهام والنهي، وكذلك نسيان الناس للميت في حال دفنه مباشرة، ثم الطلب من كل إنسان أن يستعد لداعي الموت قبل أن يفاجئه الأجل بغتة وهو غافل، لا فرق بين صغير وكبير أو مريض وطبيب.

أما نقاط الخلاف بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري فهي أن أبا العتاهية استخدم فكرة الموت للتخويف والزجر لنفسه ولغيره، حتى وصل به الأمر لينكر على الناس البنيان والتعمير ثم إعمار الأرض بالزواج والتكاثر وهذا ما يخالف سنّة الكون في أن يعمر الإنسان هذه الدنيا بالعمل والتكاثر، ثم يريد من الانسان أن يشغل حياته في كل لحظة بذكر الموت ولا يغفل عنه ساعة، وهذا أيضا مخالف لديننا الحنيف حيث يطلب منا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن نكثر من ذكر هادم اللذات، لا أن ننشغل بذكره دائما، ثم هويطلب من الإنسان حين يغزو الشيب مفرقيه أن يجلس ويستعد للموت، وهذا ما يخالف أمر ديننا الحنيف الذي يحثّ الناس على الجد والعمل حتى آخر لحظة من الدنيا.

يؤمن أبو العتاهية بأن الموت رحلة من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، لكنه يركز على صنف واحد من الناس ألا وهو الإنسان الغافل، فلم يذكر الصنف الآخر الذي يستقبل الموت الموت استقبالا حسنا، وأنه يستبشر بملك الموت حين يراه، قال تعال:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرةٌ إِلى رَبِّها نَاظِرَةٌ)[1].

يعتبر أبو العتاهية النسيان جريمة بحق الإنسان، وأن الدنيا لا يؤمن جانبها. إن النسيان نعمة من الله سبحانه على الإنسان وإلا لما استطاع أن يعيش هذا العمر والهموم تتراكم عليه، أما الدنيا فهي مزرعة للآخرة، وربُّ العالمين خلق الدنيا والحياة لكي يعمرها الإنسان بالخير، ولتكون الطريق إلى الجنة.

فالخوف الشديد من الموت يؤثرسلبا في حياة الإنسان، أما أبو إسحاق الإلبيري فهو آمن بالموت، ولكنه لم يفزع منه بالقدر الذي فزع منه أبو العتاهية، يؤمن بأن الأجل سوف ينزل

---

(1) سورة القيامة، الآيات 22 – 23.

بالناس وعليهم أخذ العبرة ممن سبقوهم، فأين الأهل والأصحاب؟ إنه يؤمن بأن الموت إذا حلّ بساحة الإنسان فلا مردّ له، ملك الموت جند من جنود الله لا يستطيع الإنسان أن يحترس منها لأنها مؤيدة بعلم الله.

يؤمن أبو إسحاق الإلبيري بأن كل إنسان سوف يمر بسكرات الموت، وحين تعالج الروح من الجسد لتصعد إلى خالقها، حتى الرسول صلى الله عليه وسلم عانى من سكرات الموت حين انتقل إلى الرفيق الأعلى، ويؤمن كذلك بأن الموت لا يفرق بين صغير وكبير، فقد يموت الصغير قبل الكبير، ولكن أبا العتاهية ركز على موت كبار السن، ويؤمن أبو إسحاق الإلبيري كذلك بأن الإنسان لا يدري متى يموت، وأين يموت، وهذا مما لا يتنافى مع القرآن الكريم حين يقول رب العالمين (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)[1].

يؤمن بأن بعد الموت يأتي البعث، وأن كل إنسان سوف يستلم كتابا فيه أعماله "مال هذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَوَجَدُوا مَا عَمُلوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً"[2].

لم يصل الأمر بالإلبيري بأن يترك الإنسان الدنيا ويستعد للموت، بل هو يريد منه أن يعمر الدنيا بالخير والمعروف، ويتجنب المنكر والذنوب استعدادا للموت.

يذكر الإلبيري ما بعد الموت من حساب وعذاب، وجنة ونار، فيقول يا ويحي من اليوم العصيب، وهو يريد الاستزادة من الخير حتى بعد وفاته، فيطلب من إخوته وأصحابه والمشيعين أن يسألوا الله له النجاة من النار والفوز بالجنة، وأن يخلصوا الدعاء له لعل الله يقبل ذلك، ويطلب إليهم مسامحته وأن يذكروه بأحسن الصفات وأن يتجاوزوا عن هفواته وأخطائه.

---

(1) سورة لقمان، الآية 34.

(2) سورة الكهف، الآية 49.

لقد استخدم أبو إسحاق الإلبيري ضمير المتكلم المفرد، في شعره عن الموت، فيقول مثلا " تمر لداتي"، "وأحمل موتاهم"، "فها أنا"، "تغازلني"، "وتنشر لي"، "شبابي"، "بدلت"، "تحاربنا"، "لهفي"، "ولا تصفوني"، "زُمّ رحلي"، "أشكو"، "إخوتي"، "إلهي"، "بالذي أنا أهله" "فأشقى".

وقد شاع استخدام ضمير المتكلم بكثرة في شعره فلا يكاد يخلو بيت من الشعر من ذكر ضمير المتكلم "المتصل أو المنفصل أو المستتر" و"الجمع والمفرد".

أما خوف أبي العتاهية من الموت، وحتى يخوّف غيره، استخدم ضمير المخاطب بأنواعه المتصل والمنفصل والمستتر، وأكثر منه في شعره، فيقول "أنساك"، "محياك"، "أوثقت"، " وأنت"، " نح على نفسك"، " لتموتن"، "وإن عمرت"، "أيها المغرور"، "وعظتك"، "ونعتك"، " وأرتك"، "خبرك"، "وأنت حي"، "لم أر منك"، " أتيت"، " كأنك قد هجمت"، "يا راعي الشاء"، "ونادتك"، "سواك"، "كن مستعدا"، "وقبلك".

فاستخدام ضمير المخاطب عند أبي العتاهية بكثرة دليل على خوفه من الموت، واستخدام أبي إسحاق الإلبيري لضمير المتكلم دليل على عدم خوفه من الموت وعلى استعداده له.

ثانيا: الدنيا:

قال تعالى: " وَمَا هَـذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا إلاّ لَهْـوٌ ولَعِـبٌ، وإِنَّ الـدَّارَ الآخِـرةَ لَهِـيَ الحيَـوانُ لَوْ كانُوا يَعْلمونَ" [1].

فالدنيا متاع زائل وعبث باطل، وتمنّي النفس أماني يُفني الإنسان عمره في سبيل تحقيقها، والشاعر أبو العتاهية يحتقر الحياة الدنيا ويعظّم الآخرة فيقول في غرور الدنيا[2]:

نَصَبْتِ لَنا دُونَ التَّفَكُّر يا دُنْيــــا   أَمانِيّ يَفْنى العُمْرُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْنى
مَتى تَنْقَضي حاجَاتُ مَنْ لَيْسَ واصِلاً   إِلى حاجَةٍ حَتَّى تَكونَ لَهُ أُخْــرى

(الطويل)

(1) سورة العنكبوت، الآية 64.
(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 7.

فالشاعر عمد إلى التشخيص فجعل من الدنيا شخصا ينصب شباكا ليصطاد بها، فهذه الشباك وراءها سجن وقيد، وكأن الدنيا تنصب للإنسان حبال الأماني ليقع في شركها.

فالأبيات قريبة من النثر تخلو من الموسيقى واعتمدت البحر الطويل، لتعطي النفس الإنسانية نفسية في التأمل والتفكير في هذه الدنيا الفانية.

وله أيضاً في فناء الدنيا وزوالها[1]:

سَتَخْلُقُ جِدَّةٌ وَتجوُد حـــــالُ   وَعِندَ الحَقِّ تُخْتَبَرُ الرِّجـــالُ
وَلِلدُّنْيا ودائِعُ في قُلـــــــوبٍ   بها جَرَتِ القَطيعَةُ والوِصالُ
تَخَوّفُ ما لَعلّكَ لا تَــــــراهُ   وَتَرجُو مَا لَعَّلكَ لا تَنَـــالُ
وَقَدْ طَلَعَ الهِلالُ لِهَدْمِ عُمْري   وَأَفْرَحُ كُلَّما طَلَعَ الهِـــلالُ

(الوافر)

يقرر الشاعر خلال الأبيات أن الدنيا مصيرها إلى الزوال والفناء، فهي دار ممر لا دار مقر، وسيصبح كل جديد فيها قديما، والإنسان يفرح بظهور الهلال وبزوغ شهر جديد وهو لا يدري أنه كلما طلع هلال نقص عمره.

لقد بدأ الشاعر القصيدة بحرف السين ليؤكد هذه الحقيقة، وهي فناء الدنيا وزوالها، واستعمل كلمة " تخلق" للدلالة على حقارة الدنيا وهوانها كالشئ الخلق.

قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فقال أبو العتاهية[2]:

عِشْ مَا بَدا لَكَ ســـــــــالِماً   فِي ظِلِّ شاهِقَةِ القُصورِ

(مجزوء الكامل)

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

---

(1) المصدر نفسه، ص 309 – 310.

(2) المصدر نفسه، ص 136.

يُسْعى عَلَيْكَ بِما اشْـــــتَهَيْتَ لَدى الرَّواحِ أو البُكورِ

(مجزوء الكامل)

فقال: حسن، ثم ماذا؟ فقال:

فَإذا النُّفوسُ تَقَعْقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدورِ
فَهُناكَ تَعْلَمُ مُــوقِناً ما كُنْتَ إلا فِي غُـــرورِ

(مجزوء الكامل)

فبكى الرشيد، فقال الفضل بن يحيى البرمكي: بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه فأحزنته، فقال الرشيد: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا منه.

وقال أبــو العتاهيــة موضــحاً حقيقة أخرى وهــي أن كــمال الدنيا وتمام ســرورها دليل على خذلانها(1):

هِيَ الدُّنْيا إِذَا كَـــمُلَتْ وَتَمّ سُــرورُهَا خَذَلَتْ
وَتَفْعَلُ في الّذيــنَ بَقُوا كَما فِيمَنْ مَضَوا فَعَلَتْ

(مجزوء الوافر)

سأل أبو العتاهية أعرابيا في الحج وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى رجليه بدا رأسه، فقال له: كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة، فقال له: يا هذا، لولا أن الله قنّع بعض العباد بشر البلاد، ما وسع خير البلاد جميع العباد، فقال له: من أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحجاج، تمرون بنا فننال من فضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك، فقال: إنما نمر وننصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرق الأعرابي ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول، إلا أننا نرزق من حيث لا نحتسب، أكثر مما نرزق من حيث نحتسب، فولّى أبو العتاهية وهو يقول(2):

أَلَا يا طَــالِبَ الدُّنْــيا دَعِ الدُّنيا لشــــانِيكا

(1) المصدر نفسه، ص 78.
- انظر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 3، ص 122.
(2) الأصفهاني، أبو فرج: **الأغاني**، ج 3، ص 167.
- انظر: أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص 275.

وَمَا تَصْــنَعُ بِالدُّنْــيا   وَظِلُّ اللَّيلِ يَكْـــفِيكا

(الهزج)

لقد استهل أبو العتاهية البيت الأول بأداة العرض "ألا" التي تفيد الطلب بلين دون العنف، ثم بأداة النداء"يا" وهذا العرض والنداء ليس لطالب العلم أو الدين، ولكنها لطالب الدنيا، ثم بعد النداء يأتي فعل الأمر "دع"، فهو يطلب منه ترك الدنيا لمن يبغضه، ثم بعدها ينهي هذا الطلب بالاســـتفهام "وما تصــنع"، ماذا تصــنع أيها الإنـــسان بهــذه الدنيا؟ ويكــفيك منها أخــف شــــيء، ألا وهو ظل الليل.

أما أبو إســحاق الإلبيري فيقول الضبّي[1] عنه: "إنــه كثير الشـــعر في ذم الدنيا"، فالدنيا عند شــعراء الزهــد ظل زائل، وهــي غير مأمونة العواقــب، ولذلك يترفّعون عنها ولا يبالون بها[2].

فيقـــول:[3]

كُلُّ امْرِئٍ فِيما يَدِيــنُ يُــــدانُ   سُـــبْحانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنهُ مكانُ
يَا عامِرَ الدُّنيا لِيَسْكُنَها ومَــــا   هِيَ بالَّتي يَبْقى بِــها سُـــــكَّانُ
تفنى وتَبْقَى الأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَما   يَبْقى المُــناخُ وَتَرْحَــلُ الرُّكْبانُ
أَأُسَرُّ في الدُّنيا بِكُلِّ زِيــــادَةٍ   وَزِيادَتي فِيها هِــيَ النُّقْصـــانُ!

(الكامل)

فالشاعر الزاهد أبو إسحاق الإلبيري الغرناطي رحمه الله، يبدأ البيت الأول بالمثل القائل "كما تديّن تدان"، وفي البيت الثاني يستمد المعنى القرآني من الآية الكريمة، قال سبحانه: "كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ"[4].

---

(1) الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة، المتوفى ســـنة 599هــ: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، دار الكتــاب العربي، 1967مــ،
ص 225.
(2) بهجت، منجد مصطفى: الاتجاه **الإسلامي في الشعر الأندلسي**، ص 446.
(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص119.
(4) سورة الرحمن، الآية 26.

فبدأ الشاعر الأبيات بالأسلوب الخبري، ثم بعد ذلك أسلوب النداء، ثم يعود إلى الأسلوب الخبري، ثم أسلوب الاستفهام، هذا التنوع في الأسلوب دليل على عزوفه عن هذه الدنيا، ويريد من هذا التنوع أن يثبت للسامع أن الدنيا متلوّنة، فليس هناك سرور دائم ولا حزن دائم.

"وآخر قصيدة له أنشدها لابن أبي رجاء، وكان قد دخل عليه في علته التي توفي فيها، وعذله على رداءة مسكنه".[1]

ولما مرض الفقيه الزاهد أبو إسحاق الإلبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء، فرأى ضيق مـــسكنه، فقال: لو اتخذت غير هذا المـــــسكن لكان أولى بك[2]؟ فقال[3]:

قالُوا: أَلا تَسْــــــتَجِدْ بَيْتاً	تَعْجَبُ مِنْ حُسْنِهِ البُيوتْ
فَقُلْتُ ما ذِلكُمْ صَـــــوابٌ	حَفشٌ[4] كَثِيرٌ لِمَنْ يَموتْ
لَوْلا شِتاءٌ ولَفْحُ قَيْــــظٍ	وَخوفُ لِصٍّ وَحِفْظُ قُوتْ
ونِسْوَةٌ يَبْتَغِينَ سِــــتْراً	بَنَيْتُ بُنْيانَ عَنْكَــــبوتْ

(مجزوء البسيط)

لقد ضرب مثلا في الزهد يعجب منه الزهاد، فهو اختار أخف سكن له ألا وهو بيت العنكبوت، وهذا المعنى مستمد كذلك من القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى: **(وإِنَّ أَوْهَنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمونَ)**[5].

ونراه يدير حوارا بينه وبين زائريه الذين قدموا عليه في مرضه، فلم يعجبهم هذا البيت المتواضع البسيط، ولكن ابا إسحاق الإلبيري يعتبر هذا البيت على تواضعه كثير بالنسبة له،

---

(1) غومث، إميليو غرسيه: **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، نقله إلى العربية د. الطاهر أحمد مكي، ص100.

(2) المقري: **نفح الطيب**، ص 38.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 62.

- انظر: المقري: **نفح الطيب**، ج5، ص38.
- انظر: ابن سعيد الأندلسي: **المغرب في المغرب**، ج2، ص107.
- انظر: ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مجلد4، ص317.

(4) الحفش: البيت الحقير القريب السقف من الأرض، والبيت الصغير من بيوت الأعراب.

- انظر: **المعجم الوسيط**،مادة: خفش، ص206.

(5) سورة العنكبوت، الآية 41.

فلولا البرد والحر، والخوف من اللصوص وحفظ الطعام، والنسوة اللاتي يردن الستر، ما زاد بيته عن بيت العنكبوت.

هذا الحوار الهادئ البسيط الذي يتناسب مع جو المرض، قد أثر في اختيار الألفاظ الهادئة البعيدة عن الخشونة، وما اختيار القافية "التاء الصامتة" إلا زيادة في هذا الهدوء الذي لا بد منه عند زيارة المريض، وهذا يدل على مقدرة الشاعر في المقاربة الفنية بين الموضوع والقافية.

لقد كثر ذمّ الدنيا بدءا بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم الشعر الذي هو ديوان العرب. فالشاعر أبو إسحاق الإلبيري يذم الدنيا بقوله(1):

نادَتْ بِيَّ الدُّنيا فَقُلْتُ لَها اقْصِـــري	ما عُدَّ في الأَكْياسِ(2) مَنْ لَبّاكِ
ما فَوْقَ ظَهْرِكِ قاطِنٌ أَوْ ظاعِـــنٌ	إلا سَيُهْشَـــمُ في ثِقالِ رَحـــاكِ
أَنْتِ السَّرَابُ وَأَنْتِ دَاءٌ كامِــــنٌ	بَيْنَ الضُّلوعِ فَما أَعَـــزَّ دَواكِ
يُعْصَى الإلهُ إذا أُطِعْت وَطاعَتي	للهِ رَبِّي أَنْ أَشُـــقَّ عَصـــاكِ(3)
ما إنْ يَدومُ الفَقْرُ فِيكِ وَلا الغِنَى	سِيّانُ فَقْرُكِ عِنْدنا وَغِـــــناكِ

(الكامل)

يستهل الشاعر هذه المقطوعة بحوار بينه وبين الدنيا، تناديه الدنيا ليقبل عليها، لكنه يرفض تلبية هذا النداء، ثم يعمد إلى دعم هذا الرفض بأدلة وبراهين، لأن الدنيا لا ترحم كحجر الرحى تهشم كل من يقع تحتها، ويصفها بالسراب والمرض الخطير داخل الضلوع، وكأني به يشبهها بمرض السرطان اليوم، الذي عجز الطب عن مداواته، طاعتها معصية لله، وعدم دوام الفقر والغنى على ظهرها.

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 34- 36.

(2) الأكياس: جمع كيّس من كاس كيسا وكياسة: عقل وظرف وفطن.

- انظر:: **المعجم الوسيط**، باب الكاف، فضل الألف، حرف السين، مادة : كاس، ص 842-843.

(3) شق العصا: شق عصا الطاعة: خالف وتمرّد، وشقّ عصا الجماعة: فرّق كلمتها.

- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة شق، ص515.

لقد أكثر الشاعر في هذه المقطوعة من ضمير المخاطب، كياء المخاطبة، وكاف المخاطب وتاء المخاطبة، وحتى ضمير الخطاب المنفصل، وهذا دليل على شدة هجومه على الدنيا وعدم ترك الفرصة لها أن ترد على هذا الهجوم، لقد استخدم الشاعر البحر الكامل بتفعيلاته الطويلة كي يطوّل الهجوم على هذه الدنيا الدنيئة، وذلك باستخدامه الألفاظ واضحة وسهلة وتناسب أسلوب الذم"اقصري"، " سيهشم"، "السراب"، "داء كامن"، "أشـــق عصاك"، ومما ساعده أيضا هو اختيار الحروف المفخمّة لتفخيم الدنيا وذلها، فنراه يكثر من حرف القاف والصاد والظاء والطاء والضاد والغين.

بعد أن عرضنا لموضوع الدنيا عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري نجد أن أبا العتاهية تعرض في موضع الدنيا للمعاني الآتية: فناء العمر قبل أن تفنى الدنيا، كل جديد لا بد أن يصبح خلقا، جرت القطيعة والوصال بسبب أماني الدنيا، ظهور الهلال دليل على قصر عمر الإنسان، والغرور في الدنيا لا يذكره الإنسان إلا حين تغرغر الروح، عدم التمسك بالدنيا بل أن يتركها الإنسان لمن يبغضه لا لمن يحبه، لأن حب الدنيا لا يغني عن الآخرة.

أما الإلبيري فقد تطرق في موضوع الدنيا للمعاني الآتية: كل من على الأرض فان، لا يبقى بها ساكن، فيزول الإنسان وتبقى الأرض والعمران، وكل زيادة في الأرض هي نقصان من العمر، خشونة العيش والاكتفاء من الدنيا بالقليل وأقل القليل ليصل الأمر إلى الظل، وبيت العنكبوت، الدنيا خدّاعة كالسراب، لا تدوم على حال، من سرّه زمن ساءته أزمان.

نلاحظ من خلال هذا العرض مدى تأثر الإلبيري بأبي العتاهية، فهناك تشابه في المعاني كفناء الدنيا وعدم خلودها، والزيادة في الدنيا تعني نقصان العمر والاكتفاء من الدنيا بما يكفي رمق العيش، وعدم التمسك بها، فهي غدّارة وخدّاعة لا تدوم على حال معينة.

وهناك تشابه في الألفاظ المختارة المناسبة لهذا الموضوع مثل الفناء، النقصان، تفنى، يهشم، الفقر، السراب، داء، تقعقع، حشرجة الصدور، خذل، القطيعة، هدم، فجميع هذه الألفاظ تحمل معنى الزهد في الدنيا وعدم التمسك بها.

أما نقاط الخلاف بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري فكانت أن أبا العتاهية استخدم الأسلوب الإخباري وذلك من أجل أن يخبر القارئ بأحوال الدنيا ويطلعه على حقيقتها، ويترك له الأمر في اختيار ما يناسب، فهو لا يريد أن يفرض الرأي على القارئ.

وأما الإلبيري فقد نوّع في الأسلوب، فاستخدم الأسلوب الإنشائي كثيرا، ثم الإخباري واعتمد على الحوار لكي يكون التاثير أكثر، فيقول "يا عامر الدنيا"، " أأسرُّ من الدنيا"، "ألا تستجد بيتا"، والحوار مثل:"نادت بي الدنيا"، "فقلت لها"، "أنت السراب"، "أنت داء كامن".

ولقد استخدم أبو العتاهية ضمير المخاطب والمتكلم والغائب في مقطوعاته الشعرية، مثل " نصبت لنا"، "بها"، "عمري"، "لك"، "نراه"، " عليك".

وأما الشاعر الإلبيري فقد أكثر من ضمير المتكلم، مثل: "فقلت"، "بنيت"، "بي"، "عندنا"، وأكثر من ضمير المخاطب مثلك "ظهرك"، "رحاك"، "دواك"، "عصاك"، "فيك"، "فقرك"، "غناك"، واستخدام الشاعر لهذين الضميرين حتى يظهر مدى التناغم مع أسلوب الحوار الذي استخدمه الشاعر في شعره.

لقد كان الإلبيري أكثر من أبي العتاهية تاثيراً بالقارئ أو المتلقي، من خلال أسلوبه وصوره وتشبيهاته، فقد صوّر لنا الدنيا بالسراب، والمرض العضال، وحجر الرحى، وشق العصا وبنيان عنكبوت لخداعها ومهانتها، لكن مقطوعات أبي العتاهية خلت في أغلبها من الصور والتشبيهات، فكانت شبيهة بالنثر أكثر من الشعر، لأنه أكثر في شعره من تشويه الدنيا بالحديث الخطابي الوصفي.

ثالثاً: الوعظ والنصح:

كان أبو العتاهية متعدد الجوانب، موزّع النشاط، ومفتاح تلك الشخصية المعقدة شعوره بالنقص بسبب منبته المتواضع، وقد دفعه ذلك الشعور في اتجاهين رئيسين: دفعه إلى مهاجمة الطبقات العليا في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والتمردين، ثم دفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ والمتصوفين، لكي يتلقى معهم تكريم العامة واحترامهم، وصار بذلك من دعائم الاستقرار وحماة الآداب والتقاليد.

والقارئ لشعر أبي العتاهية يرى فيه قدرا كبيرا من الوعظ الخالص، ومنه قوله[1]:

أَنَلْهو وَأَيَّامُـــــنا تَذْهَـــــبُ   وَنَلْعَبُ وَالمَــوْتُ لا يَلْعَبُ
عَجِبْتُ لِذي لَعِبٍ قَـــــدْ لَها   عَجِبْتُ وَمالِـــيَ لا أَعْجَبُ
أَيَلْهو وَيَلْعَبُ مَـــــنْ نَفْسُـــهُ   تَموتُ وَمَنْزِلُـــهُ يَخْــرَبُ
تَرى كُلَّ ما ســــاءَنا دائِماً   عَلَى كُلِّ ما سَــرَّنَا يَغْلِبُ

(المتقارب)

استهل الشاعر هذه الأبيات بالاستفهام الذي يحمل في طياته الاستغراب والتعجب ممن يلهو ويلعب في هذه الدنيا وهويعلم أنه سيموت، وأن منزله الذي يعمره سيخرب، ويعلم كذلك أن الأحزان في هذه الدنيا أكثر من السرور، فنصيحته في هذه الأبيات هو عدم اللعب واللهو، فهو يقدم هذه النصيحة مغلّفة بالخوف والزهد، الخوف من الموت والزهد في الدنيا.

لقد وصل الأمر بالشاعر أبي العتاهية أن يقدم النصح والوعظ حتى للخلفاء والحكام، وها هو يعظ الرشـــيد بقوله[2]:

لا تَأْمَنِ المَوْتَ فِي طَرْفٍ ولا نَفَسٍ   وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالحُجّابِ والحَرَسِ
فَما تَزالُ سِهَامُ المَوْتِ نافِـــــذَةً   فِي جَنْبِ مُدَّرِعٍ مِنْها ومُــتَّرِسِ

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 38.

- انظر: الكفراوي، محمد عبد العزيز: **تاريخ الشعر العربي في العصرين الأول والثاني من خلافة بني العباس**، ج2، ص 128.

(2) أبو العتاهية، أشعارة وأخباره، ص 194.

- انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 180.

إنَّ السَّفينَةَ لَا تَجْري عَلى اليَبَسِ   تَرْجُو النّجَاةَ ولَمْ تَسْلُك مَســـالِكَها

(البسيط)

فلما سمعها الرشيد تقبّلها، وبكى حتى بلّ كمّه.

لقد بدأ الشاعر أبياته بالحديث عن الموت، وأنه لا يؤمن جانبه، حتى ولو كان في حصن حصين لنفسه وبيته، وفي البيت الثالث كلمات موحية ومعبرة وعظيمة في مدلولها، فهو يضرب المثل بالإنسان الذي يريد النجاة من الغرق في الآثام، ولا يستعد لهذه النجاة، كالسفينة التي تحتاج الماء لكي تجري، فهي لا تجري على الأرض اليابسة.

لقد أثرت مواعظ أبي العتاهية حتى في غير المسلم، حيث مرّ عابد براهب في صومعة فقال له: عظني، فقال: أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم- محمد صلى الله عليه وسلم- قريب العهد بكم؟ فقلت: نعم. قال: فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول [(1)]:

وَقَعْتَ إِلى الدُّنْيا وَأَنْتَ مُجَرّدُ   تَجَرّدْ مِنَ الدُّنْيا فَإِنَّكَ إِنّما

(الطويل)

بيت من الشـــــعر بعد القرآن والحديث، يكفي لأن يكون واعظاً وما ذلك إلا للمعنى العظيم الذي يحمله.

يطلب أبو العتاهية من الإنسان أن يتجرد من هذه الدنيا، من كل شيء، لا مال، ولا منصب، ولا جاه، ولا ولد ولا ممتلكات، والسبب لأن مجيء الإنسان كان هكذا، فهو يريد من الإنسان أن يعود من الدنيا كما جاء إليها.

وأبو العتاهية في زهدياته يتحول إلى واعظ، وهويستمد عظاته يستمد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووعظ الوعاظ من أمثال الحسن البصري، كما يستمد من أشعار سابقيه، وقد وقف المبرد عند موعظة له يستهلها بقوله [(2)]:

يا عَجَباً كُلُّنا يَحِيدُ عَنِ الـــــ   حَيْنِ وَكُـــــلٌّ لِحَيْنِهِ لاقِ

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره،** ص 109.

- انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني،** ج3، ص 176.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره،** ص 589.

- انظر: ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي،** العصر العباسي الأول، ص 250.

كَأَنَّ حَيَّاً قَدْ قَامَ نادِبُـــــــــهُ   والتَفَّتِ السَّاقُ مِنْهُ بِالسَّاقِ
واسْتَلّ مِنْهُ حياتَهُ مَلَكُ الـــــ   مَوْتِ خَفِيَّاً وَقِيلَ مَنْ راقِ

(السريع)

أبو العتاهية يبدأ هذه المقطوعة بالتعجب كعادته من الإنسان، الذي يحاول تجنب الأجل وهو لا بد ملاقيه، والشطر الثاني من البيت الثاني فيه تناص من القرآن الكريم، قال تعالى: (والتفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)[1]. والتفاف الساق بالساق كناية عن فقدانهما للحركة، كذلك آخر البيت الثالث اقتباس من القرآن الكريم، قال الله عزّ وجل (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)[2].

والقائل إما أهل الميت حين ييأسون منه، ويطلبون له "الراقي" أو الطبيب، وإما الملائكة حين يسألون من يرقى به؟ أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب؟

ومن مواعظ أبي العتاهية التي تحمل في طياتها الحذر من الدنيا، قوله[3]:

وَقَدْ يَهْلِكُ الإِنْسانُ مِنْ بابِ أَمْنِهِ   وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

(الطويل)

فهذه موعظة عظيمة لكل إنسان يأمن لهذه الدنيا وغدرها، فقد يكون هلاك الإنسان من حيث يأمن، وتكون النجاة من حيث الحذر،فمن مأمنه يؤتى الحذر.

أما أبو إسحاق الإلبيريفجاء موضوع الوعظ والنصح في قصيدته التي تبلغ ثلاثة عشر ومئة بيت، وفيها يخاطب ابنه أبا بكر، كما جاءت الإشارة إلى اسمه في القصيدة، وهي قصيدة تعد نسيج وحدها في موضوعها، ومقاصدها متعددة ومراميها متنوعة، فهي صورة قيمة لما يوعظ به الإنسان، ويزجر به الغافل التائه، يقدّم لابنه حججا منطقية، ليكون كلامه أوقع في

---

(1) سورة القيامة، الآية 29.

(2) سورة القيامة، الآية 27.

(3) المبرد: **الكامل**، مجلد3 ص 420.

- انظر: أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 151.

النفس، وأبلغ في التأثير، ويسلك فيها سبلا علمية في ضرب الأمثلة ليبلغ غايته من النصح، وهي أول قصيدة في الديوان من بحر الوافر في قافية التاء المطلقة[1] يبدؤها بقوله[2]:

تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَـــــــتّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتا
وَتَدْعوكَ المَنونُ دُعاءَ صِدْقٍ ... أَلا يا صاحِ أَنْتَ أُريــــدُ أَنْتا

(الوافر)

فالـــــشاعر أبو إســحاق الإلبيري اســـــتخدم الألفاظ المؤثــرة، والتي تصـــل أعـــماق الجســـم إلى القلب الذي هو محط نظر الرب، فاستخدم الفعل "نفت " أي تدقه وتجعله فتاتا، وكذلك الفعل "تنحت" فجعل الجــسم كشيء صلب تنحت الساعات والزمن منه كل يوم قليلا حتى ينتهي بعد ذلك.

وفي البيت الثاني استخدم الفعل "تدعوك"، ولكن هذا الدعاء يخاف منه كثير من الناس وذلك لأنه ليس لحفل ولا لوليمة، إنه دعاء الموت، وهذا الدعاء من صفاته أنه دعاء صدق، وينتقل إلى دعوته إلى ما فيه نفعه في الدنيا والآخرة، فيقول[3]:

إِلى عِلْمٍ تَكونُ بِهِ إِمــــــاماً ... مُطاعاً إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتا
وَتَجلو ما بِعَيْنِكَ مِنْ عَشَاها ... وَتَهْديكَ السَّــبيلَ إِذا ضَلَلْتا

(الوافر)

ويسترسل في أبياته مغريا بالتعلم مبينا عائده عليه، وضرورة الإسراع بالنهل منه، فيقول[4]:

وَتَحْمِلُ مِنْهُ فـــي نادِيــكَ تاجاً ... وَيَكْسوكَ الجَمالَ إِذا اعْتَرَيْتا
هُوَ العَضْبُ[5] المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبو ... تُصيبُ بِهِ مَقاتِلَ مَنْ ضَرَبْتا
فَلَو قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلواهُ طَــعماً ... لآثَرْتَ التعلُّمَ واجْتَهــــــدْتا

---

(1) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ص 215.
(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 19.
- انظر: الحميري: **الروض المعطاء**، ص 29.
(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 20.
(4) المصدر نفسه، ص 20.
(5) العضب: عضب السيف عضوباً: صار قاطعاً.
- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة :غضب، ص636.

وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنهُ هوىً مُــطاعٌ ... ولا خِدْرٌ[1] بِرَبْرَبِهِ[2] كَلَفِــتا

وَلا أَنهاكَ عَنْهُ أنيــقُ روضٍ ... ولا دُنْيا يُزخْرُفِــــــها فُتِنْتَا

فلا تأمن ســؤال الله عــــنه ... بتوبيخ علمت فهل عــملتا؟

(الوافر)

ويخلص بعد ذلك إلى العلم الحقيقي الذي ينبغي أن يسعى إليه، ذلك المقترن بالتقوى والإحسان وهو آخذ بيد صاحبه إلى النجاة، فيقول[3]:

فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوى اللهِ حقَّاً ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقالَ لَقَدْ رَأَسْتا

(الوافر)

إن خير ما يورثه الأب لابنــه هــو العلــم النافــع، فالمــال والجــاه يــزولان، أما العلــم فبــه يكــون إماماً مــطاعاً وكلمته مــسموعة، وبالعلم تزول الظلمة عن العيون ويهتدي به إلى الطريق الصحيح.

ويسترسل في بيان آثار العلم على صاحبه، فبه-أيضاً- يلبس تاجا يُعرف به، ويلبس ثوب الجمال، وهو السيف القاطع الذي يصيب به قلب عدوه، ومن جرب العلم لم يشغله عنه شيء، حتى الفتاة الجميلة في خدرها، ثم يطلب من ابنه أن يعمل بهذا العلم؛ لأن الله سائله يوم القيامة عن هذا العلم، هل عمل به أم ضيّعه؟ ويطلب من ابنه أن يسعى في طلب العلم، ذاك العلم المقترن بتقوى الله -عز وجل-.

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات التركيز على ضمير المخاطب، لأن النصح يكون موجها من شــــخص مجرّب في الحياة إلى شــــخص آخر، فاستعمل "كاف المخاطب وتاء المخاطب" مرة بعد أخرى.

(1) الخِدر بالكسر ستر يمد للجارية في البيت، وكل ما وراه من بيت ونحوه.

- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة :خدر، ص343.

(2) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: دبر، ص346.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 22.

وفي نهاية الأبيات ينهي النصيحة بصيغة النهي "فلا تأمن"، وهذا النهي موجه لابنه كي يعمل بعلمه حتى لا يسأله الله يوم القيامة عن علمه وماذا عمل به، وهذا المعنى مستمد من الحديث الشريف لقوله صلى الله عليه وسلم :- " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن جسمه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به"[1].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المقارنة بين الجهل والعلم، وبين المال والعلم، فيقول[2]:

وَلَيْسَ لِجاهِلٍ في النَّاسِ مَعْنَى	وَلَوْ مُلْكُ العِراقِ لَـــهُ تَأَتَّـــى
جَعَلْتَ المالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلاً	لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّـــةِ ما عَدَلْتا
وَبَيْنَـــهُما بِنَصٍّ الوَحْـــيِ بَوْنٌ	سَـــتَعْلَمُهُ إِذا طَـــه قَـــرَأْتا
وَإِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ على الحَشايا	لأَنْـــتَ عَلى الكَواكِبِ قَدْ جَلَسْتا

(الوافر)

هناك فرق عظيم بين الجاهل والعالم، ولو ملك الجاهل العراق بخيراته فالعالم الذي يعمل أفضل منه، ومن يعتبر أن المال مقدم على العلم فهو ليس عادلاً في ذلك، فهناك فرق عظيم بينهما، فالإنسان في سورة طه يطلب الزيادة من العلم لقوله سبحانه وتعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً"[3].

ويطلب من ابنه ألا يغتر بالغني الذي يجلس على الحشايا والفراش الوثير الفاخر، فأنت بعلمك تجلس على لواء العلم الذي يرفع صاحبه فوق الجميع.

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي: **الجامع الصحيح**، حققه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، ط2، 1403ه – 1983م، ج4، ص36.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 22.

– انظر بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ص 216.

(3) سورة طه، الآية 114.

ويمضي أبو إسحاق الإلبيري في أبياته زاجرا ابنه من التعلق بالدنيا، ويعرض له مشاهد من الدنيا المتقلبة التي لا تقر على قرار، ويدعوه إلى إخلاص النية لله سبحانه، وسؤاله توفيقه سؤالا مخلصا، والتسبيح له وقرع بابه بالإكثار من ذكره[1]، فيقول في ذلك[2]:

فَلَيْسَــتْ هذِهِ الدُّنيا بِشــــيءٍ	تَسَوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُـــرُّ وَقْتا
وَسَلْ مِنْ رَبِّــكَ التَّوفِيقَ فِيها	وَأَخْلِصْ فِي السُّؤالِ إِذا سَأَلْتا
ونادِ إِذا سَــجَدْتَ لَهُ اعْتِرافاً	بِما ناداهُ ذُو النُّونِ بْنُ مَتَّى
وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْباً	لِتُذْكَرَ فِي السَّماءِ إِذا ذَكَرْتَا

(الوافر)

نلاحظ من خلال هذه المقطوعة تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، حيث أخذ من ما يعظ به ابنه، ويدعوه للزهد في الدنيا، وألا يترك ذكر الله فيها، وأن يدعو في سجوده دعاء يونس –عليه السلام– حين التقمه الحوت، فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون، هكذا يريد من ابنه أن يتسلح بسلاح الإيمان وبإخلاص النية لله سبحانه، فاستخدم النفي والأمر في ذلك، فالدنيا لا تساوي شيئا، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء، ثم أفعال الأمر "سل، ناد، أكثر، أخلص"، وذلك لشدة حرصه على صلاح ابنه من بعده.

وليس هناك من شك أن الإلبيري كان شأنه شأن الزهاد والمتصوفين الذين يستعظمون ما أتوه من ذنوب ويجدون أنهم قد أتوا ذنوباً كثيرة، وإن كانت في الحقيقة قليلة، إذ هي من الأخلاق التي دأبوا على التخلق بها زجرا لأنفسهم من الزلل[3]، فقد ورد في الحديث الشريف: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار"[4].

(1) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الاسلامي في الشعر الأندلسي**، ص 216.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 23–25.

(3) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي**، ص 217.

(4) ابن حنبل: **مســـند الإمام أحمد**، ط1، 1416هـ – 1999مـ، مؤسسة الرسالة: ج6، ص 131.

وهو بدافع الحرص يحاول أن يبقي ولده من غير عيب، طاهرا غير مدنّس، ثم يطلب منه أن يكون حذرا من أبناء جنسه، يخالطهم ويزاملهم بحذر، وأن يعرض عنهم إن جهلوا عليه، ولا يقيم على ضيم في بلد، وسيكون بعدها أميرا، لأنه سلم بنفسه، فيقول[1]:

فَلا تَرْضَ المَعايبَ فهـــيَ عارٌ	عَظيمٌ يُورِثُ الإنْســانَ مَقْتا
وَخَفْ أَبْناءَ جِنْسِكَ واخْشَ مِنْهُم	كَما تَخْشَى الضَّراغِمَ والسَّبَنْتى[2]
وَخالِطْهُم وَزَايلْهُم حِـــذاراً	وَكُنْ كالــسَّامِرِيِّ[3] إذا لَمَسْــتا
وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَــلاماً	لَعلَّكَ سَــوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَــعَلْتا
وَلا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فيهِ ضَــيْمٌ	يُميــتُ القَلْبَ إلا إِنْ كُــبِلْتا

(الوافر)

لقد تنوع أسلوب أبي إسحاق الإلبيري في هذه المقطوعة، فاستهلها بالنهي من المعايب "فلا ترض المعايب"، ثم الأمر بفعل الأمر "خف"، ولكن هذا الخوف من أبناء جنسه، ثم الفعل "اخش"، فالخشية منهم كالخوف من الأسود والنمور، ثم مخالطتهم والحذر منهم، وأن يكون كـــسامري بني إســرائيل الذي عوقب بألا يمـــسه أحد، ثم الصفح عن جاهلهم، وفي الختام ينهي هــذه المقطوعة بالنهي عــن المكوث بالمكان الذي يشيع بين أهله الظلم، فيخرج إلى أرض الســـلام، ليـــسلم فيها بنفــسه.

وتحمل بعض قصائده روح الوعظ والتحذير والتذكير بما ينتظر المرء من مصير، والدعوة إلى ترويض النفس ومحاسبتها[4] من مثل قوله[5]:

لا تَبْكِ ثَوْبَكَ إنْ أَبْلَيْتَ جِدَّته	وابكِ الذي أبْلَتِ الأيامُ من بَدَنكْ
وَلا تكوَنَنَّ مُختالاً بجـــدَّتهِ	فربُّما كانَ هذا الثوبُ مِنْ كَفَنكْ
ولا تَعْفه إذا أبْصَرتهُ دَنِــساً	فإنَّما اكْتسبَ الأوساخَ مِنْ دَرَنِكْ

(البسيط)

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 28-29.

(2) السبنتى: النمر، ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد6، ص 142.

(3) الـــسامري عظيم في بني إسرائيل وقبل هو منهم وقيل دخل فيهم- دعاهم إلى الضلالة وعبادة العجل، قال الحسن: جعل الله عقوبة لسامري ألا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة، وكأن الله عز وجل شدد عليه المحنة بأن جعله لا يماس أحدا ولا يمكن أن يمــسه أحد، انظر الإلبيري:أبو اسحاق، ديوانه، ص29.

(4) عيسى، فوزي: **في الأدب الأندلسي**، ص 89.

(5) المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 225.

لقد استخدم في هذه الأبيات أسلوب النهي "لا تبك"، "لا تكون"، "لا تعفه"، وذلك ليتلاءم مع التحذير، فهو يطلب من الإنسان أن يبكي على أيامه التي مضت دون عودة، وكل جديد في هذه الدنيا ســـوف يبلى، فحاســـب نفـــسك أيها الإنـــسان قبل أن تُحاســـب وزِنّ أعمالك قبل أن توزن عليك.

بعد أن عرضنا موضوع الوعظ والنصح عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري نجد أن أبا العتاهية تعرض للمعاني الآتية: عدم اللعب واللهو في الدنيا لأن الموت يقف للإنسان بالمرصاد، وينكر على الإنسان أن يعمّر في الدنيا ومصير ذلك إلى الخراب، والاستعداد للنجاة من العذاب، والتجرد من الدنيا والعودة منها كما جاء إليها، التفكر ومحاسبة النفس، وتصوير الموت وسكرته والتفاف الساق بالساق، والحذر لأن فيه النجاة من الهلاك.

أما المعاني التي تعرض لها أبو إسحاق الإلبيري فهي: الأيام تهدم جسم الإنسان وتفتت قلبه، والتمسك بالعلم وليس أي علم، إنما العلم المقترن بالتقوى، والعلم الذي يعمل به صاحبه، العلم أهم من المال، وعدم التمسك بالدنيا فهي متقلبة وأحزانها أكثر من مسراتها، وتعمير الدنيا بذكر الله وبالدعاء والسجود، الحذر من أبناء جنسه أكثر من الأسود والنمور، وعدم المكوث في بلد يشيع بين أهله الظلم والرحيل إلى بلد أكثر أمنا وسلامة.

نلاحظ من خلال هذا العرض تأثر أبي إسحاق الإلبيري بأبي العتاهية، فهناك تشابه في بعض المعاني المطروقة، فنجد مثلاً الزهد في الدنيا وعدم التمسك بها، والزمن يهلك الإنسان ويقربه من أجله، وعدم تعمير الدنيا؛ لأن مصيرها إلى الخراب، والحذر لأن فيه النجاة والسلامة، وهناك خلاف بسيط بينهما، فأبو العتاهية يرفض التعمير في الدنيا مهما كان نوعه، وأبو إسحاق الإلبيري يطلب تعمير الدنيا بذكر الله والدعاء والصلاة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأبو العتاهية يدعو إلى التفكر ومحاسبة النفس، وأبو إسحاق الإلبيري يدعو إلى التمسك بالعلم والتفكر في خلق الله؛ لأن العلم الذي يريده هو العلم الشرعي.

فالمعاني عند الـــشاعرين مختارة ومنتقاة ومناســبة للغرض الذي قيلت فيه، ألا وهو الزهد، وهـــي مؤثرة في نفـــس قارئها وســـامعها، فهي تزلزل القلوب بقوتها وتأثيرها، "لا تأمن الموت في طرف ولا نفس"، "ســهام الموت قاصدة"، "تجرّد من الدنيا"، "التفت الساق بالساق"، "وقيل من راق"، "تفت فؤادك"، "تنحت جــسمك"، "تدعوك المنون"، "لا ترض المعايب"، "خف أبناء جنسك"، "أخــشاهم".

أما من ناحية الأسلوب فأسلوب الشاعرين يتناسب مع موضوع النصح والوعظ، لقد تنوع أسلوب الشاعر أبي العتاهية بين الخبري والإنشائي وشمل: الاستفهام" أتلهو"، "أيلهو"، والأمر مثل: "واعلم"، "تجرد من الدنيا"، والنهي مثل: "لا تأمن".

والملاحظ أنه أكثر من تكرار كلمة "تعجب" في نصحه ووعظه، فقد تكررت هذه الكلمة أكثر من مرة، فنجد مثلا: "عجبت لذي لعب"، "ومالي لا أعجب"، "يا عجبا للناس"، "يا عجبا كلنا يحين عند الحين".وما ذلك إلا لشدة حرصه على سماع النصائح والمواعظ، ولقد كان في أسلوبه أكثر تقريعا وتخويفا حين يصور سكرة الموت، والتفاف الساق بالساق، ثم يصل به الأمر إلى عدم اللعب واللهو، حتى التجرد من كل شيء في هذه الدنيا.

أما الألفاظ فقد جاءت واضحة وســـهلة بعيدة عن الغريب، تناســـب جميع طبقات الشعب ليفهمها المتعلم وغير المتعلم.

وأما أبو إسحاق الإلبيري فقد اقتصر في وعظه ونصحه على القصيدة التي يخاطب بها ابنه معتمدا على الحجج المنطقية والإقناع، فنراه أولا اعتمد الأسلوب الخبري وبجمل فعلية فعلها مضارع ليكون النصح أكثر استمرارا وثبوتا، مثل: "تفت"، "تنحت"، "تدعوك"، "أريد"، وأول نصيحة له كانت هي التمسك بالعلم، وقد عدّد فوائده الكثيرة، وحتى يُقبل ولده على العلم، أخذ يصور له العلم بصور كثيرة، على سبيل المثال: العلم هو العضب المهند، أي السيف القاطع، وأنه فضّل العلم على المال وجاء بالأدلة من القرآن الكريم.

والنصيحة الثانية كانت عن معاملته لأبناء جنسه، فهذه المعاملة تبنى على الخوف والحذر والمسامحة وإنكار الظلم، واعتمد في ذلك على أفعال الأمر، وذلك لأن مخالطة الناس تحتاج إلى صبر وتحمل، وحتى تكون حياة ولده سليمة من الأذى والشر.

والنصيحة الثالثة هـــي الزهــد في الدنيا، وعدم التمـــــسك بها، والإكثار فيها مـــن ذكر الله والعمل الصالح.

لقد اختار أبو إســـــحاق الإلبيري الكلمات المناســـــبة المقنعة والأدلة الواضـــحة مثل: "ذقت مـــن حلواه طعما"، "لم يـــــشغلك عن هوى مطاع"، "فقل سلاما"، "لواء علمك قد جلست"، "لتذكر في الـــــسماء".

واختيار الشاعر لقافية التاء له دلالة صوتية، فهو صوت مهموس،وكان الشاعر يريد أن يهمس بهذه النصائح في أذن ولده لكي لا تغيب عن ذهنه أبدا، وجاءت الألفاظ سهلة واضحة قريبة من العامة، كما نلحظ أنه يقتبس من القرآن الكريم والقصص الدينية، كقصة السامري.

من ذلك نرى أن أبا إسحاق الإلبيري كان في وعظه ونصحه أكثر واقعية من أبي العتاهية.

رابعاً: ذم حياة الملوك:

إن منبت أبي العتاهية المتواضع، جعله يهاجم الطبقات العليا كالملوك والخلفاء وذوي المكانة والجاه وأصحاب المال، فيقول في ذلك[1]:

وكَمْ مِنْ عَظيمِ الشَّأْنِ في قَعْرِ حُفْرَةٍ تَلَحَّفَ فَيها بِالثَّرى وَتَسَرْبَلا

(الطويل)

لقد بدأ أبو العتاهية باستخدام "كم" الخبرية التي تفيد التكثير، أي إن هناك كثيرا من أصحاب الجاه والسلطان، عندما وضعوا في حفرة القبر، لم ينزل معهم من حطام الدنيا شيء،

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 305.

فأصبح التراب هو لباسهم وفراشهم، وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى:"وَلَقدْ جِئْتمُونا فُرادَى كَمَا خَلَقْناكُم أَوَّل مَرَّةٍ وَتَرْكتُم مَّا خَوَّلْناكُمْ وَرَاءَ ظُهورِكُم "[1].

وقد تأثر المعتصم عند سماع شعره فلما أحس بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هرون، لله در أبي العتاهية حيث يقول[2]:

المَوْتُ بَيْنَ الخَلْقِ مُشْتَرِكٌ   لا سُوقَةٌ يَبْقى وَلا مَلِكُ

(السريع)

في هذا البيت جعل المعتصم يشعر بالخوف من الموت لأنه لم يفرق بين الملك وعامة الناس، وأحس المعتصم أن هذا العرش والملك الذي يتربّع عليه سوف يزول.

لقد كان أهل عصر أبي العتاهية واثقين من نقمته على الفروق الطبقية والأوضاع الاجتماعية الجائرة، وتلك حقيقة لم يكن يحاول هو نفسه إخفاءها، وكان منظر المواكب الضخمة يؤذيه أشد إيذاء، فلا يملك الصبر على ما يرى، ومن ذلك ما رواه صاحب الأغاني من أن حميد الطوسي مر في موكبه، وبين يديه الفرسان والرجالة، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه، والناس ينظرون إليه ويعجبون منه، وهو يلتفت تيها،فقال أبو العتاهية[3]:

لِلْمَوْتِ أَبْناءٌ بِهِمْ   ما شِئْتَ مِنْ صَلَفٍ وَتيهِ
وكَأَنَّنِي بِالْمَوْتِ قَدْ   دَارَتْ رَحاهُ على بَنِيهِ

(مجزوء الكامل)

(1) سورة الأنعام، الآية 94.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 267.

- انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 175.

(3) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 670.

- انظر: الكفراوي، محمد عبد العزيز: **تاريخ الشعر العربي في العصرين الأول والثاني من خلافة بني العباس**، ج2، ص 157.
- انظر: الأصفهاني، أبو فرج: **الأغاني**، ج3، ص173.

فهو يصور الموت بالرحى إذا دارت لم تفرّق بين أحد إلا من تخطئ فيعمّر ويهرم. وقال أيضا يثبت حقيقة زوال ملك الملوك وكأن هذا المُلك أصبح خيالا[1]:

كَمْ مِنْ مُلوكٍ زَالَ عَنْهُــمْ مُلْكُهُمْ   فَكَأَنَّ ذَاكَ المُلْكَ كانَ خَيالا"

(الكامل)

ويؤيد هذا أيضاً بقوله[2]:

وكَمْ مِنْ مُلوكٍ قَدْ رَأَيْنا تَحَصّنَتْ   فَعَطّلتِ الأَيَّامُ مِنْها حُصُونَها

(الطويل)

فنراه في هذا البيت يستعمل "كم" الخبرية التي تفيد التكثير، فالحصون والقلاع لا تفيد أمام عجلة التاريخ والزمان، فسرعان ما تتعطل هذه الحصون وتصبح أطلالا.

أما أبو إسحاق الإلبيري فهو يذم حياة الملوك وما جمعوه من ذهب ومتاع، فإن ذلك مصيره إلى الزوال، وأنهم في حياتهم كانوا كالأسود ولكن الموت جاء فأصابهم بسهمه فأرداهم قتلى فيقول[3]:

أَيْنَ المُلوكُ وَأَيْنَ مَا جَمَعوا وَمَــا   ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهَبِ المَتاعِ الذاهِبِ
كانُوا لُيوثَ خَفِيَّـــةٍ لكِنَّهُــــمْ   سَكَنُوا غِياضَ أَسِنَّةٍ وَقَواضِــبِ
قَصَفَتْهُمْ رِيــــحُ الرَّدَى ورَمَتْهُمْ   كَفُّ المَنونِ بِكُلِّ سَهْمٍ صائِــبِ

(الكامل)

بدأ أبو إسحاق الإلبيري هذه الأبيات بالاستفهام عن مكان الملوك وما جمعوه في الدنيا من ذهب ومتاع زائل، وصفهم بالأسود التي لا تظهر، ولكن الموت لهم بالمرصاد، فجاءتهم ريح الموت العاتية تقصفهم وتقتلعهم من جذورهم، ثم سدّد عليهم الموت بكفه فأصابهم بسهمه القاتل. لقد امتلأت هذه الأبيات بالصور البلاغية مثل: قصفتهم ريح الردى، رمتهم كفّ المنون، وكان هو السائل و المجيب.

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص307

(2) المصدر نفسه، ص 405.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 115.

ثم ننتقل إلى مقطوعة أخرى فيها مقارنة حياة الملوك في الدنيا وحياتهم في القبر، مخلفين وراءهم كل متع الدنيا، فلا أنيس فيها ولا جلبيس[1]:

وَمِنْ مَلِكٍ كانَ السُّـــرورُ مِـــهادُهُ	مَـــعَ الآنِساتِ الخُرَّدِ الخَفِراتِ[2]
غَداً لا يذُودُ الدُّودَ عَنْ حَرِّ وَجْهِـــهِ	وكانَ يَذودُ الأُسْـدَ في الأجَماتِ
وَعوّدَ أُنْساً مِنْ ظِباءِ كِناسِــــــهِ	وآرامِهِ[3] بالرُّقْــشِ والحَشَراتِ
وصارَ بِبَطْنِ الأرْضِ يَلْتَحِفُ الثَّرى	وكَانَ يَجُرُّ الوَشْـــيَ والحَبَراتِ

(الطويل)

فحياة الملوك في الدنيا فرح وسرور مع الفتيات الأبكار الجميلات، أقوياء شجعان يقاومون الأسود، أما اليوم فهم يعيشون مع الدود الذي لا يستطيعون دفعه عن وجوههم وأجسامهم، وأصبح أنيسهم في وحشة القبر الحيات والحشرات، وأصبح فراشهم وغطاؤهم من التراب بعد أن كانوا يجرون وراءهم الثياب المزركشة، هذه حال الملوك ولكن من يعتبر!

بعد أن تعرضنا لموضوع ذم حياة الملوك عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري نجد أن أبا العتاهية تعرض للمعاني الآتية: الملوك وعامة الناس متساوون أمام الموت، مسكن الملوك القبر وفراشهم ولباسهم التراب.

وأن ابا إسحاق الإلبيري تعرض للمعاني الآتية: مسكن الملوك القبر ولباسهم وفراشهم التراب، وأنيسهم الحيات الرقش والحشرات، لا يذودون الدود عن أنفسهم.

نلاحظ التشابه في المعاني بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، وهذا ما يعكس تأثر الإلبيري بأبي العتاهية، لقد كرر أبو العتاهية"كم" الخبرية في أبياته، فنجد مثلا: "كم من عظيم

---

(1) المصدرنفسه، ص 53.

(2) الخرد:خردت الفتاة: ظلت عذراء.

- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة خرد، ص 348.

الخفرات: جمع الخفرة: وهي الفتاة التي اشتد حياؤها.

- انظر: المصدر نفسه، مادة خفر، ص 269.

(3) آرام: جمع رئم: وهو الظبي الخاص البياض.

- انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة رئم، ص 83.

الشأن"، "كم من ملوك زال"، "كم من ملوك قد رأينا"، وهذا التكرار يدل على كثرة الملوك الذين كانوا يتنعمون في الدنيا، ونسوا ما ينتظرهم في القبر من وحشة وعذاب.

لقد نجح أبو العتاهية وأبو إسحاق الإلبيري في قرع أسماع الملوك، بتخويفهم أولا وقبل كل شيء بالموت الذي لا تخطئ سهامه أحدا، فمن ذلك "الموت بين الخلق مشترك"، "وكأني بالموت قد دارت رحاه"، " للموت أبناء"، "قصفتهم ريح الردى"، "رمتهم كف المنون".

ثم بعد ذلك عرضا لحياة الملوك في الدنيا وحياتهم في القبور حيث لا أنيس ولا جليس.

خامساً: عواقب الموت: "بعث وحـــــساب وجنة ونار":

وقال أبو العتاهية في عواقب الموت موضحا أن موت الإنسان لا يعني راحته من العناء، ولكن ما بعد الموت أشد، فبعد الموت يأتي البعث ثم الحساب، فيقول[1]:

فَلَوْ أَنَّا إِذا مِـــــتْنا تُرِكْنا   لَكَـــــانَ المَوْتُ راحَةَ كُلِّ حيٍّ
ولَكِنَّا إِذا مِـــــتْنا بُعِــثْنا   ونُـُــسألُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَــيٍّ

(الوافر)

وقال أيضا يذكّر الرشيد بالحساب والبعث لمّا أمر بحبسه والتضييق عليه[2]:

أَلا يا أَيُّها المَلِكُ المُرَجّـــى   عَلَيْــــهِ نَواهِضُ الدُّنْيا تَحومُ
أَقِلْني زَلَّةً لَمْ أَجْرِ مِنْهـــــا   إِلى لَوْمٍ وَمَــــا مِثْلي مَلُــومُ
وَخَلِّصْني تُخَلَّصْ يَوْمَ بَعْثٍ   إِذا للنَّاسِ بُرِّزَتِ الجَحيــــمُ

(الوافر)

فهو يطلب من الرشيد أن يخلصه من السجن الذي وضع فيه عسى الله أن يخلصه من العذاب يوم البعث حين يحكم الله بين الناس، فريق في الجنة وفريق في السعير.

نجد أبا العتاهية يستهل هذه الأبيات بأداة العرض "ألا" وهو الطلب بلين لا شدّة فيه، ثم تليها أداة النداء"يا"، وفي البيت الثاني جاء الطلب وهو الخلاص من السجن، فبدأ البيت بفعل

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 435.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص161– الأبيات لم ترد في الديوان.

الأمر "أقلني"، ثم البيت الثالث بالفعل "خلّصني"، مع أن هذه الأبيات كانت لغرض شخصي هو الخلاص من السجن، إلاأنه استغل هذا الظرف وذكّر الرشيد بالبعث والحساب.

قال يذكّر الإنسان بيوم القيامة، وأنه يأتي ربه فردا كما خلقه أول مرة[1]:

ما أَقْرَبَ المَوْتَ جَدّا   أَتاكَ يَشْـــتَدُّ شَـــــدّا
تَموتُ فَرْداً وَتَأْتـــي   يَوْمَ القِيامَـــةِ فَـــــرْدا
طُوبَى لِعَبْدٍ تَقِـــيٍّ   لَمْ يَأْلُ في الخَيْـــرِ جُهْدا

(المجتث)

في الأبيات السابقة يتعجـب أبو العتاهية من قرب الموت للإنسان فهو أقرب للإنـسان من شـــراك نعله، وأن الإنـــسان يموت وحيدا ويبعث وحيدا، لا ينفعه ماله ولا ولده، فيتبع الإنـــسان ثلاثة: ماله وولده وعمله، يرجـع اثنان، ويبقى واحد، يرجـع ماله ولا ولده، ويبقى عمله، في هذا اليوم العصـيب لا ينفع الإنـــسان إلا التقوى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ونراه يصور الموت بباب يؤدي إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن عَمِل الإنسانُ بما يرضي الله فهو من أهل الجنة، وإن عمل بما يعصي الله فهو من أهل النار فيقول[2]:

المَوْتُ بابٌ وكُلُّ النَّاسِ داخِلُهُ   فَلَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ البابِ ما الدَّارُ؟
الدَّارُ جَنَّةُ خُلْدٍ إِنْ عَمِلْتَ بِـما   يُرْضي الإلهَ وإِنْ قَصّرْتَ فالنّارُ

(البسيط)

أما أبو إسحاق الإلبيري، فكان يخرج على العرف الشعري المألوف في القافية، ويصنع قصائده على نحو من التسبيحة، فيبني القصيدة جميعها على قافية واحدة لا يغيرها[3]، وهذا يسمى المزدوج، والقصيدة بناها على لفظ الجلالة، بلغت ثلاثة وخمسين بيتا يقول فيها[4]:

يا أَيُّـــها المُغْتَـــــرُّ باللهِ   فِرَّ مِنَ اللهِ إِلـــى اللهِ
ولُذْ بهِ واسْــــأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ   فَقَدْ نَجا مَــنْ لاذَ بِاللهِ
وَصارَ مَنْ يُسْـــعَدُ فِي جَنّةٍ   عاليةٍ في رَحْـمَةِ اللهِ

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 125.

(2) المصدر نفسه، ص 141.

(3) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ص 137.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 65.

يَسْكُنُ في الفِرْدَوسِ في قُبَّةٍ مِنْ لُؤلُؤٍ في جِيرَةِ اللّهِ

(مجزوء البسيط)

فبدأ أبو إسحاق الإلبيري هذه الأبيات بنداء الإنسان المغتر في هذه الدنيا، تعوّذ بالله والجأ إليه واسأله من فضله، فالسعادة هي الفوز بالجنة، وبأعلى مراتب الجنة وهي الفردوس الأعلى، كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– قال: الجنة مائة درجة بين كل درجتين مسيرة مائة عام، والفردوس أعلى درجة، ومنها تخرج أنهار الجنة، والعرش من فوقها، وإذا سألتم الله تبارك وتعالى فاسألوه الفردوس"(1).

بدأ الأبيات بنداء إلى المغتر "يا أيها المغتر" ثم الأمر "فر"، "لذ"، "اسأله"، وهو بهذا يرغّب في الجنة، ويرهّب من النار والعذاب.

ونحن عندما نقرأ أو نسمع مثل هذه القصيدة نحس بأن أبا إسحاق الإلبيري كان في حالة انجذاب صوفي نحو الله عز وجل، يكرر اسمه تعالى في نهاية كل بيت وما عليه إذا خالف تعاليم العروضيين، إذا أعانته مخالفته هذه على الاستغراق الحبيب إلى نفسه(2).

فتكرار لفظ الجلالة في آخر الأبيات دليل على عظم الموقف، وأن الإنسان يجب أن تكون أعماله كلها خالصة لوجه الله.

وفي القصيدة الآتية التي بناها على الترهيب من النار، وكلها تنتهي بلفظ النار، حتى بلغت ثمانية وثلاثين بيتا، يقول(3):

وَيْلٌ لأهْلِ النّارِ فـــــي النَّارِ ماذَا يُقَاســـــونَ مِـــــنَ النَّارِ
يَهْوِي بِها الأَشْقى على رَأْسِهِ فالوَيْلُ للأشْقى مِـــــنَ النّار(4)

---

(1)الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص675.

(2)شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها على لاشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 59.

(3)الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 90.

(4)القطر: النحاس الذائب أو ضرب منه.

انظر: **المعجم الوسيط**، مادة قطر، ص 778.

وَلَو جِبالُ الأَرْضِ تَهْوي بِها ذابَتْ كَذَوْبِ القِطْرِ في النَّارِ
يا أَيُّها النَّاسُ خُذوا حِذْرَكُم وَحَصِّنوا الجَنَّـــــــــــةَ للنَّارِ
وَأَكْثِروا مِنْ ذِكْرِ مَـــــوْلاكُمُ فَذِكْرُهُ يُنْجي مِـــــــــــنَ النَّار

(السريع)

نلاحظ في المقطوعة السابقة بأ أبو إسحاق الألبيري بكلمة "ويل" ثم تكررت هذه الكلمة في الشطر الثاني من البيت الثاني "فالويل للأشقى"،فيها وعيد بالهلاك للإنسان الشقي، وهذا المعنى مستمد من القرآن الكريم لقوله سبحانه وتعالى: "لا يَصْلاها إلاّ الأَشقى"[1]، لقد اختار الشاعر الكلمات المناسبة للترهيب والوعيد مثل: "يقاسون"، "ويل"، "ذابت"، "خذوا حذركم"، حصنوا"، "ينجي"، ويظهر التاثر بمعاني القرآن الكريم كذلك في البيت الرابع "خذوا حذركم"، أخذت من قوله تعالى: " يَا أَيُّها الذينَ آمنوا خُذُوا حِذّرَكُم ".[2]

يصور الشاعر النار وما يقاسيه أهلها من الحر الشديد، فلو جبال الأرض وضعت بها فإنها تذوب كالنحاس، ثم يطلب من الناس أن يحذروا النار، وذلك بتحصين الجنة، وأن يكثروا من ذكر الله فهو الذي ينجي من عذاب النار.

فتكرار كلمة النار فـــي كـــل بيت دليـــل على عظـــم الأمـــر، فليست كنار الدنيا، حرها شـــــديد، وقعرها بعيد، وقودها الناس والحجارة، وهـــذا التكرار العمودي مـــن شـــأنه ترســـيخ المعنى في ذهن الــــسامع.

نلاحظ من الدراسة السابقة أن أبا العتاهية تطرق إلى المعاني الآتية: الموت ليس نهاية الإنسان بل هناك بعث وحساب وعقاب وجنة ونار، والاستعداد للخلاص من يوم البعث والمصير، ويوم القيامة يأتي الإنسان فيه فردا لا ينفعه ماله ولا ولده، بل عمله الصالح، وبالموت ينتقل الإنسان من دار إلى دار، ومصير الإنسان إما الجنة وإما النار.

(1) سورة الليل: آية 14- 15.

(2) سورة النساء: آية: 71.

وأما الإلبيري فقد تطرق إلى المعاني الآتية: اللجوء والاحتماء، والسؤال لله، والجنة هي دار السعادة لمن فاز برحمة الله، النار مصير العصاة المذنبين ولشدة حرها تذيب الجبال، والحذر من النار والإكثار من ذكر الله فهو الخلاص من النار.

وهذه المعاني وردت أيضا عند أبي العتاهية، لهذا السبب نقول: إن أبا العتاهية كان موفقا أكثر من الألبيري. كما نلاحظ تأثر أبي العتاهية بالمعاني القرآنية، فنراه يذكر صفة الخلد، وبرّزت الجحيم، وتموت فرداً، وقد تأثر الإلبيري كذلك بالمعاني القرآنية، فنراه يعرض للجنة ويعرض للنار، فذكر أسماء الجنة ومسكن أصحابها، ثم عرض للنار، وكرر لفظة النار في جميع أبيات القصيدة، ثم الويل والهلاك لأصحاب النار، هذه النار هي مصير الشقي، كما يطلب من الناس الحذر من النار والإكثار من ذكر الله، للخلاص والنجاة من النار.

نجد من خلال الأبيات تأثر أبي العتاهية والإلبيري بالقرآن الكريم، وأن معانيه مستمدة من آياته، وقد حفلت الأبيات بتكرار بعض الألفاظ في جميع أبيات القصيدة؛ وذلك ليستحوذ على اهتمام السامع ويجلب انتباهه، والألفاظ سهلة وبسيطة وتتناسب مع الموقف.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد استخدم ضمير الغائب مثل "اسأله"، "به"، "بها"، "رأسه"، "فذكره"، "فضله"، لذا فقد كان أبو العتاهية أكثر تأثيراً في نفوس السامعين؛ لأن حديثه كان بضمير الدال على الجماعة، والخطاب فيه مباشرة في التأثير والتلقي، بخلاف ضميرؤ الغائب الذي يبتعد ولو قليلا عن المباشرة المؤثرة.

وقد أكثر أبو إسحاق الإلبيري من استخدام فعل الأمر لحرصه الشديد على نجاة الناس من النار فقال: " فر من الله إلى الله"، "لذ به"، "خذوا حذركم"، "حصنوا الجنة"، أكثروا من ذكر الله"، وأما أبو العتاهية فقد نوّع بين الفعل الماضي والمضارع والأمر، وللتنوع دلالا ت مختلفة في نفس كل من المبدع والمتلقي.

أما أبو العتاهية فقد نوع في أسلوبه واستخدم أسلوب النداء " يا أيها الملك "، والأمر " أقلني، خلصني "، والتمني " فليت شعري"، وحاول من خلال أسلوب التذكير بالبعث والحساب استغلال عطف الرشيد ليخلي سبيله من السجن.

لقد خلت ابيات الشاعرين من الصور الفنية؛ وذلك لأنها تتحدث عن مواقف حقيقية مع أنها غيبية، فكانت الألفاظ سهلة وواضحة، ونتج عنها اقتراب الشعر من صورة النثر، كما نلمس في الأبيات صدق الشعور وحرارة الإيمان.

سادساً: الحِكَم والأمثال:

إذا ما ذكر الزهد ذكرت معه الحكمة التي جاءت في تضاعيف الشعر العربي الغنائي مستقلة حينا وغير مستقلة حينا آخر.

وفي هذا الشعر الحكمي يعبر الشاعر عن تجربته الشخصية والاجتماعية أو التاريخية والدينية، وهو شعر يتضمن أسمى القيم التي ترضي العقل والخلق والدين، حيث يقول أبو العتاهية[1]:

كَمْ غافِلٍ عَنْ حِياضِ الموْتِ في لَعبٍ   يُمْسي ويُصْبِحُ رَكّاباً لِما هَوِيا

(البسيط)

شعر تمتزج فيه الحكمة بوجدان الشاعر، وتصدر عنه ليعبر خلالها عن وجهة نظره إلى الموت والحياة والوجود، وقد تكون مجرد خاطرة، وقد تتجاوزها لتكون حكمة بكل ما في الكلمة من معنى؛ لأنها إذ ذاك تهم الإنسان في كل زمان ومكان[2]، فيقول أبو العتاهية[3]:

إذا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِياباً مِنَ التّقى   تَقَلَّبَ عُرْياناً وَإِنْ كانَ كاسِيا

(الطويل)

ومن الشعر المستمد من الواقع، وهو يدخل في صميم الشعر الحكمي ما قاله أبو العتاهية[4]:

لا تَسْأَلَنَّ المَرْءَ ذاتَ يَدَيْـــهِ[5]   فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَـــنْ رَغِبْتَ إِلَيْهِ

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص433.

(2) شامي، يحيى: **أروع ما قيل في الشعر العربي**، دار الفكر العربي – بيروت،ط1، 200م،ج1 ص 9.

(3) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 434.

(4) المبرد، الكامل، ج3، ص699، والأبيات غير موجودة في الديوان ولا في التكملة.

(5) ذات يديه: ما في يديه من مال وغيره.

انظر: **المعجم الوسيط**، مادة ذات، ص 331.

المَرْءُ ما لَمْ تَرْزَهُ[1]لَكَ مُكْرِمٌ   فإِذا رَزَأْتَ المَــرْءَ هُنْتَ عَلَيْهِ

(الكامل)

فأبو العتاهية يدعو في هــذين البيتين إلى الزهــد لما في أيــدي الناس، انـــــسجاماً مع حديث الرســـــول صلى الله عليه وســـلم:" أزهــد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما في أيدي الناس يحبوك". رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة [2]، فيبدأ الحكمة بالنهي عما في أيدي الناس من مال ومتاع وإلا فيحتقره الناس، ثم أن يتجنب أن يسبب للناس ما يضرهم؛ لأن ذلك يسبب له الهوان والذل عندهم.

ولأبي العتاهية مكانة عالية في الحكم، فهو يعقد جوامع الحكمة في أبيات شعرية جميلة، مـــــن ذلك قوله[3]:

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلى الغِنَى   وَكُلُّ غَنِيٍّ في العُيونِ جَليلُ
ولَيْسَ الغِنَى إلا غِنَىً زَيَّنَ الفَتَى   عَشِـــيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَداةَ يُنيلُ

(الطويل)

حكمة جامعة بالغة، فالناس اليوم يجلّون ويحترمون الغنِيَّ مالا، أما الفقير فلا مكانة له ولا احترام، والغنى الذي يزين صاحبه، هو حين يكرم الضيف ويتصدق على الآخرين.

ونرى أبا العتاهــية يذيـــع حكماً وأمــثالاً كثيرة مقتبـــسا لها من الآداب الفارسية، ومما يروى عـــن حكماء العرب مـــثل لقمـــان، وأفرد لها قصـــيدته ذات الأمـــثال، التي يقال إنها انتدت إلى أربعة آلاف بيت.

---

(1) ترزه: تصيلبه مصيبة.

انظر: المعجم الوسيط، مادة ترز، ص 365

(2) ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله بن يزيد القزويني،، حقق وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث،ج2، ص1373.

(2) أبو العتاهية، أخباره وأشعاره، ص318

وانظر شامي، يحيى: **أروع ما قيل في الشعر العربي**، 2000م، دار الفكر العربي–بيروت،ط1، ج1، ص 9.

" وكانت عامة بغداد تتعلق بحكمه ووعظياته وزهدياته، وفي أخباره أن بعض الملاحين غنوا الرشيد في إحدى نزهاته على صفحات دجلة بعظة من عظاته، وفي ذلك ما يدل على ما كان لأشعاره الزاهدة من صدى عميق في نفوس الطبقة العامة التي لم تكن تعرف ترفاً ولا نعيماً، إنما كانت تعرف الكدح وشظف العيش، وكأنما أحست عنده أنه يتغنى آلامها وبؤسها "[1]، فيقول[2]:

للهِ دُنـيْا أُناسٍ دائِـبينَ لَها	قَدِ ارْتَعَوْا فِي رياضِ الغِيِّ والفِتَنِ
كَسـائِماتٍ رَواعٍ تَبْتَغي سِمَناً	وَحَتْفُها لَوْ دَرَتْ في ذَلِك السِّمَنِ

(البسيط)

فهو يحذر الناس من الغرق في الفتن والضلال، فمن يسعى دائبا في ذلك فهو كالأنعام السائمة[3]، التي ترعى وتريد المزيد وهي لا تدري أن هلاكها وموتها يكمن في السمن، فهؤلاء الذين يريدون المزيد من الضلال والانحراف عن الصواب، وهم لا يدرون أن موتهم وهلاكهم في هذه الطريق التي سلكوها، فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً.

هذه الحكمة صورة فنية رائعة، يشبه فيها من يرتعون في الضلال، بالإبل التي ترعى وتبتغي المزيد، ووجه الشبه أن هلاكهم وفناءهم في هذا، ويصور من وقعوا في هذه البساتين كالأنعام والبهائم التي ترتع، فاستخدم الفعل "ارتعوا".

" وحِكَمه منتزعة من سياق مواعظه، ومما يلفتنا في حكمه العناية المركزة في الكلام عن الصديق، مما يدل على أنه كان يعاني قلة الأصدقاء، ويشتهي توافر الصداقة الحقة فيمن يصادقهم "[4]، وهو القائل للمعنى الشهير بيننا[5]:

---

(1) ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، ص 251.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 398.

- انظر المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص 150.

(3) السائمة: كل إبل أو ماشية ترسل للرعي ولا تعلف.

- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: سام، ص491.

(4) ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، ص 251.

(5) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 274.

- انظر: المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص 150.

إِنَّ أَخاكَ الصِّدْقَ مَنْ كَانَ مَعَكْ   وَمَنْ ضَرَّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذا رَيْبُ الزَّمانِ صَدَّعَكْ   شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

(الرجز)

وقال المسعودي: " ولو لم يكن لأبي العتاهية إلا هذه الأبيات التي أبان فيها صدق الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزا على غيره ممن كان في عصره[1] "[1].

فأبو العتاهية يبين من خلال البتين صفة الصديق الحق، فهو الذي يساعدك دائما، وتجده إلى جانبك وقـــد تصل به بعض الأحيان أن يضر نفـــسه لينفع صاحبه، ومن صفاته أنه إذا تعرّض صـــديقه لمصـــائب الزمـــان، وفرّقـــهم عـــن بعضهم فإنك تجده يفعل كل شيء ليجتمع به ويبقى قريبا منه.

لقد استخدم الشاعر كاف المخاطب ليكون الكلام أبلغ وأكثر تأثيرا في نفس السامع، ومع أن أصدقاء اليوم قلما نجد منهم من يلتزم بهذه الصفات، فهو في هذا المعنى يقترب من المثل الذي يقول:" الصديق وقت الضيق".

الناس كلهم وكأنهم في قالب واحد، لا تجد في الدنيا أحدا يمدح غيره، بل جميع الناس يذمون غيرهم، ويمدحون أنفسهم، يقول أبو العتاهية[2] [2]:

فَتَّشْتُ ذِي الدُّنْيا فَلَيْسَ بها   أَحَدٌ أَرَاهُ لِآخَرَ حامِـــدْ
حَتَّى كَـــأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ   قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالبٍ واحِدْ

(الكامل)

ومما يؤكد الحقيقة السابقة أن الناس كلهم قالب واحد، يرى أن الناس لو جاءهم نبي من الأنبياء عليهم السلام يطلب عوناً ومساعدة، ما قدموا له شيئاً، وإن صاحبك وصديقك هو من لم تطلب منه شيئا فإذا احتجت إليه، فسرعان ما تجده تخلى عنك، وأصبح يتكلم بحقك، فيقول[3]:

لَـــوْ رَأَى النَّاسُ نَبِـــيَّاً   ســـائِلاً ما وَصَـــلُوهُ

---

(1)المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص 319.

(2)أبو العتاهية، **أشعاره وأخباره**، ص107. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 163.

انظر:النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 81.

(3)أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص423.

أَنْتَ مَا اسْـتَغْنَيْتَ عَنْ صا   حِبِكَ الدَّهْـــرَ أَخُـــوهُ
فِـــإذا احْتَجْـــــتَ إِلَيْهِ   ســـــاعَةً مَجَّكَ فُـــوهُ

(مجزوء الرمل)

التمس لأخيك عذراً، فالصديق الحقيقي من يلتمس لأخيه عذرا في حال زلت قدمه، فالإنسان ليس معصوما من الخطأ، وإذا عاتب الإنسان صديقه في كل خطأ، وزلة فإنه يأتي يوم لا يجد فيه صديقا، وأبو العتاهية في الأبيات الآتية يبين صفات الصديق الذي يحبه، فيقول[1]:

أُحِبُّ الفَتى يَنْفي الفَواحِشَ سَمْعُهُ   كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فاحِشَـــةٍ وَقْرا
سَلِيمَ دَواعي الصَّدْرِ لا باسِطاً يَداً   ولا مانِعاً خَيْراً ولا قائِلاً هُجْرا
إِذا ما بَدَتْ مِنْ صاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ   فَكُنْ أَنْتَ مُحْتالاً لِزَلَّتِهِ عُــذْرا

(الطويل)

والــشاعر يبين في هذه الأبيات صفات الإنــسان الذي يحبه، فهو من لا يسمع إلا الخير، لأن الله ســــبحانه وتعالى ســيحاســبه عن ســمعه وعــن بصره، ثم إنه يتمتع بقلب ســـــليم مـــن الضغائن والأحقاد، ليـــس مبذراً ولا بخيلاً، ولا يدعو إلى قطيعة، وأخيراً هو من يلتمس لأخيه عذراً عن زلته.

نجد أن الشاعر تأثر بالمعاني القرآنية في هذه الأبيات مثل "نفي الفواحش، وقراً، سليم دواعي الصدر، لا باسطا يدا، ولا مانعا خيرا"، وكلمة "وقر" استخدمت في القرآن الكريم لعدم سماع الحق والخير، إلا أن الشاعر استخدمها في موضع الخير أي عدم سماع المنكر.

ومهّد الشاعر الكلام بالفعل المضارع "أحب" ليدل على الثبوت والاستمرار بحب الفتى الذي يتصف بالصفات المذكورة، ثم في البيت الأخير وجّه الخطاب لإنسان يخاطبه، فاستخدم ضمير المخاطب ثم أكد في شطر البيت الثاني بالضمير المنفصل "أنت"، فلم يقل "فكن محتالا لزلته" بل قال: "فكن أنت محتالا لزلته"، للتاكيد على حقيقة التماس العذر للصاحب والصديق.

" أما بالنسبة للأمثال، فعندما يطالع القارئ شعر أبي العتاهية فإنه يجد نفسه أمام إنسان شاعر يعيش عصره، ويعرف ما يدور فيه، فينقل ذلك شعرا مؤثرا في النفوس، لا يلبث عند

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص159.

فهمه لشعر أبي العتاهية إلا أن يقر بزهده وحكمته، ويبعده عن مواطن الريب، ويعترف بسعة اطلاعه وقوة شاعريته، فهو في قصيدته ذات الأمثال، يودع فيها كل المعاني الشعرية المؤثرة في النفس الإنسانية، والتي ترد العصاة والغواة عن طريق الغي والضلال إلى طريق الهداية، أضف إلى ذلك، إنها قصيدة تعليمية ترسم دستوراً للعلاقات بين الناس، وبينهم وبين خالقهم، وتبين طرق الخير الموصلة إلى الجنة، إلى جانب الكثير من المعاملات المستمدة من المعاني الكريمة، والقصيدة طويلة تبلغ ثمانية وأربعين بيتاً "(1)، ومطلعها(2):

حَسْبُكَ مِمّا تَبْتَغيهِ القوتُ ... ما أَكْثَرَ القوتَ لِمَنْ يموتُ

(الرجز)

ذكر يوما شعر أبي العاتاهية بحضرة الجاحظ، إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها "ذات الأمثال" فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:(3)

يا لِلشَّبابِ المَرِحِ التَّصابي ... رَوائِحُ الجَنَّةِ في الــشَّبابِ

(الرجز)

فقال الجاحظ للمنشد:" قف، ثم قال: انظروا إلى قوله: روائح الجنة في الشباب، فإن هذا له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه" (1)، وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال إن فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله(2):

لِكُلِّ ما يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَــمْ ... ما أَطْوَلَ اللَّيلَ عَلى مَنْ لَمْ يَنَمْ (الرجز)
إِنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ للمَرْءِ أَيُّ مَفْسَــــــدهْ(3)
ما زَالَتِ الدُّنْيا لَنا دارَ أَذى ... مَمْزوجَةَ الصَّفْوِ بأَلْوانِ الــقَذَى (الرجز)

لقد أودع أبو العتاهية قصيدته ذات الأمثال معاني وأهدافاً نبيلة، صدرت عن إنسان مجرب واعٍ لما يدور في العصر العباسي من خير وشر، وخالط أراذل الناس وعلية القوم، فمثل هذه الأبيات مشعل من مشاعل الشعر العربي، التي يمكن الاستدلال بها في ظلمات العيش،

(1) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصرالعباسي**، ص 182.
(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 446.
– انظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص 196.
(3) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص448.

المعاملات مع النفس الإنسانية والناس عامة، ولم تكن لتصدر عن أبي العتاهية لولا خبرته في وكثرة مخالطته للناس، ومعرفة ما يدور بينهم، فهو قد جمع من عادات الناس وتصرفاتهم مع بعضهم بعض مادة أدبية، صاغها شعرا حالما، ذا رنة موسيقية لها علوق بالنفس، كما يمكن الاستشهاد بها فيما يناسبها واستعمالها مثلا يعين على الثبوت في عمل معين، أو تعين في الابتعاد عن شيء فيه ضر وبلاء[1].

وقوله[2]:

لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فاسِدُ　　　هَيْهاتَ ما أَبْعَدَ ما تُكابِدْ

(الرجز)

وهو معنى في غاية الجمال يريد بذلك أن المجتمع لا يصلح ما لم يصلح كل فرد ذاته، فهو ينفي نفيا قاطعا صلاح الناس إذا لم يبدأ الإنسان بصلاح نفسه، ثم بعد ذلك يدعو غيره مصداقا لقوله تعالى: " أَتَأْمُرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الِكتَابَ أفَلا تَعْقِلُونَ"[3].

ومـــن أجمل معانيه قوله[4]:

يُوسِّعُ الضِّيقَ الرِّضا بالضِّيقِ　　　وإِنَّما الرُّشْدُ مِنَ التَّوْفيقِ

(الرجز)

فالإنسان العاقل هو الذي يرضى بالقليل وبما قسمه الله له من الرزق.

وقال أبو العتاهية[5]:

ولَمْ أَر ما يَدومُ لَهُ اجْـــتِماعٌ　　　سَيَفْتَرِقُ اجْتِماعُ الفَرْقَدْينِ

(الوافر)

(1) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصرالعباسي**، ص 182.

(2) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص446.

(3) سورة البقرة، الآية 44.

(4) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص447.

(5) الصدر السابق نفسه، ص 659.

أنظر: المبرد، الكامل، مجلد 3، ص1444.

وهو مثل يضرب لأي اجتماع، فلا بد مصيره الافتراق، مهما طال الزمن كاجتماع نجمي الفرقدين في السماء، فهما سيفترقان بالرغم من اجتماعهما.

لقد تطرق أبو العتاهية في حكمه وأمثاله إلى المعاني الآتية: الزهد لما في أيدي الناس كي تحبه الناس، والناس تجل وتحترم الغني في ماله ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس والكرم، والمتكالبون على الدنيا والمهتمون بها كالإبل السائمة التي ليس لها همّ سوى الشبع، الصديق الوفي المخلص هو الذي يضحي بنفسه من أجل صديقه، الناس كلهم في قالب واحد، الناس أصدقاؤك ما دمت لم تطلب منهم مساعدة وهم بخلاء حتى على الفقراء، والإنسان المحبوب هو الذي يبتعد عن الفواحش والمنكرات، وقلبه سليم من الحقد والضغينة، ومن يلتمس لأخيه عذرا، ومن الأمثال ما يوضح المعاني الآتية: يكفي الإنسان من هذه الدنيا هو الحصول على القوت، الأذى مهما قلّ فهو مؤلم كالليل يشعر صاحبه بطوله؛ لأنه لم يذق طعم النوم، ليس الإفساد كالإصلاح، وإن المزاح قد يجر إلى الفساد فهو شر ومكروه، القوة والفراغ والغنى تلك هي أمور تدعو إلى فساد الإنسان، الدنيا لا تدوم على حال، فلا سرور دائم ولا حزن دائم، وحتى سرورها ففيه نوع من الألم، الإصلاح يبدأ بالنفس ثم الآخرين، الإنسان الذي يرضى بالقليل فإنه يحس بالمتعة والراحة، كل اجتماع مصيره الافتراق مهما طال الزمن.

وحكم أبي إسحاق الإلبيري، فلم تكن مستقلة بغرض عن غيرها وإنما نلحظها في أشعاره، يقول الإلبيري:[(1)]

فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوى اللهِ حَقّاً وَلَيْسَ بِأَنْ يُقالَ لَقَدْ رَأَسْتا

(الوافر)

ففي هذا البيت يبين أبو إسحاق الإلبيري أهمية العلم الشرعي، فهو العلم الرئيس حقاً، وليس العلم هو الحصول على الشهادة والمنصب، وليُقال بأن فلاناً عالم، فهذا ليس له من علمه إلا السمعة والرياء.

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 22.

هذه حكمة صدرت عن شاعر حكيم، قرنت العلم بإخلاص النية – لله سبحانه– لا للحصول على الألقاب والمراكز، فقد استخدم الإلبيري الأسلوب الخبري التقريري ليقرر هذه الحقيقة العظيمة.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري محذراً الإنسان من قبول المعايب والمخازي؛ لأنها عار عظيم عليه، ولا يجني منها إلا المقت والعذاب:[1]

فَلا تَرْضَ المَعايبَ فَهيَ عارٌ   عَظيمٌ يورِثُ الإِنْسانَ مَقْتا

(الوافر)

نجد الشاعر في هذا البيت قد استخدم أسلوب النهي، ينهى عن أمر عظيم وخطير، وهو عدم الرضى أو القبول بالمعايب، ووضع النتائج التي تترتب على القبول بهذه المعايب، وأشد هذه النتائج أنها عار على صاحبها لا يفارقه طول حياته، ثم إنها تسبب الهمّ والمقت له في حياته.

إن التجارب التي مرّ بها الإلبيري صقلت حياته، وجعلته يخاف من أبناء جنسه كما يخاف الأسود والنمور، فنراه يقول: [2]

وَخَفْ أَبْناءَ جِنْسِكَ واخْشَ مِنْهُمْ   كَما تَخْشَ الضّراغِمَ والسَّبَنْتى

(الوافر)

إنه بدأ هذه الحكمة بفعل الأمر "خف"، ولكن هذا الخوف ليس من الأعداء ولا من الحيوانات المفترسة، إنما هو من أبناء جنسه، الذين يخالطهم ويعيش معهم، ولكنه عاد وكرّر هذا الخوف بفعل الأمر "اخش" وما ذلك إلا للتأكيد على هذا الأمر لخطورته.

فالشاعر الفقيه الإلبيري لم ينفك في شعره وحِكمه متأثراً بالقرآن الكريم، فهو يدعو الغنسان إلى التوبة الصادقة، التي يمحو بها ذنوبه كما يمحو سجود السهو غفلة من سها في صلاته، فيقول:[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص 28.

(2) المصدر نفسه، ص 29.

(3) المصدر نفسه، ص 49.

إنَّ الذُّنوبَ بِتَوْبَةٍ تُمْحَى كَما   يَمْحُو سُجودُ السَّهْوِ غَفْلَةَ مَنْ سَها

(الكامل)

التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإن باب التوبة مفتوح حتى قيام الساعة، فالشاعر يدعو في هذه الحكمة إلى الإسراع في التوبة، ففيها تزول الذنوب عن ابن آدم، ويؤكد ذلك باستخدام "إنّ"، كما انه ذهب إلى أكثر من ذلك، إلى تشبيه هذه الحالة بسجود السهود الذي يمحو غفلة المصلي "تشبيه تمثيلي"، وهذه رحمة من الله سبحانه بعباده.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري محذراً من النفس الامارة، وموضحاً هوان الدنيا على الإنسان العاقل:[(1)]

مَا أَميلَ النَّفْسَ إِلى البَاطِلِ   وَأَهْوَنَ الدُّنيا عَلى العاقِلِ

(السريع)

لقد بدأ البيت بأسلوب التعجب من حرص النفس على الميل إلى الباطل، ثم تعجب كذلك من هوان الدنيا على الإنسان العاقل الذي يعرف بعقله أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها لهوانها ودناءتها سميت بالدنيا، فهو كرّر أسلوب التعجب في هذه الحكمة من هذين الأمرين الباطل والدنيا.

بعد أن عرضنا لموضوع الحكمة عند أبي إسحاق الإلبيري نجده قد تطرق إلى المعاني الآتية: العلم الحقيقي: هو العلم المقرون بإخلاص النية لله سبحانه، وليس من أجل الشهادة والألقاب، وتجنب المعايب والمخازي؛ لأنها تسبب الهمّ والمقت لصاحبها، والخوف الشديد والحذر من بعض الناس الذين تخالطهم، والمسارعة إلى التوبة من الذنوب قبل فوات الأوان، والتحذير من النفس الأمارة بالسوء، والشيب أكبر نذير للإنسان، وعدم الثقة بالغنى لأن صروف الدهر متقلبة ومتغيرة.

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 59.

ونلاحظ من خلال المعاني التي تعرّض لها الشاعران أن ظاهرة الزهد جليّة واضحة، فكلاهما يذم الغنى والحذر من الناس، وحسن اختيار الصديق، وتجنب الفواحش والمنكرات والمعايب، وعدم التكالب على الدنيا والقناعة منها بالقليل.

سابعاً: الشـــيب والسخرية من الشيخ المتصابي:

الشعر حركة نفسية يثيرها ما يحيط بالشاعر من أحوال، فأبو العتاهية استطاع أن يرسم طريقه بوضوح من خلال أشعاره حين تبدلت به الأحوال، فالذي يتفحص أشعاره يحسّ أن الشاعر قد داخلت نفسه مشاعر الخوف والقلق من المصير، فجاء الموت في أشعاره نغمة حزينة يتخللها القلق والخوف.

ومن مظاهر الخوف من المصير عند أبي العتاهية الإحساس بالزمن، فقد راح يتتبع تلك السنين الماضية ليظهر من خلالها ندمه على الأيام التي خلت من عمره، فالزمن لا يبقى على حداثته، بل يتقلب بأهله؛ لذا فإن فرحة الولادة، يمحوها حزن الموت، فيرصد أبو العتاهية حركات الزمن بدقة، ويـــــستعرض تلك الأيام التي عاشـــــها بكل معطياتها، فيتألم على ماضيه، ويحنُّ إلى أيام الشباب، فيقول:[(1)]

كَبِرْنا أَيُّ الأَتْـــــــــرابُ حَتَّى ... كَأَنّا لَمْ نَكُنْ حيْناً شـــــَبابا
وَكُنَّـــا كالغُصـــونِ إذا تَثَنَّـــتْ ... مِنَ الَّريْحانِ مونِقَةً رِطـــابا
ألا ما للكُهولِ ولِلتَّصـــــــــابي ... إذا ما اغترَّ مُكتهلٌ تَصَابى
مَضَى عنّي الشبابُ بغيرِ وُدِّي ... فعِنْـــدَ اللهِ أحْتَسِبُ الشَّبابا
وما مِنْ غايةٍ إلا المنايـــــــــا ... لِمَنْ خَلِقَتْ شَبِيَبتُه وشـــابا

(الوافر)

ومن مظاهر إحساسه بالزمن، شعوره أن الزمن هو الذي بدّل حياته، وأفقده متعه، وملذاته وشبابه، فينعى الشباب على مسامع البشر قائلاً:[(2)]

سَأَنْعي إِلى النَّاسِ الشَّبابَ الذي قَضَى ... تَخَرَّمَتِ الدُّنْيا الشَّبابَ وَشَيـــَّبَتْ

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 20 – 21.

(2) المصدر نفسه، ص 77.

وَلِي غايَةٌ يَجْرِي إِلَيْها تَنَفُّســـــــــي إِذا ما انْقَضَتْ تَنْفيسَةٌ لي تَقَرَّبَتْ

(الطويل)

فمن خلال الأبيات نجد أن أبا العتاهية يصارع الزمن ويناصبه العداء، فالزمن سبب ضياعه وحرمانه، ونراه يتمنى عودة الشباب، ولكن هيهات، ثم نجده يحتسب شبابه عند الله، وإنه يبكي على شبابه الذي مضى، لعلّه يجد في البكاء ما يواسيه عند شيبته، وهذا هو حال الإنسان عندما يبلغ من الكبر عتيا، تصبح أيام شبابه كشريط سينمائي يستعرضه كل حين.

ومن معاني الشيب التي طرقها أبو العتاهية هي: كبرنا، وبكيت على الشباب، وأسفت على شباب، ونعاه الشيب، والرأس الخضيب، وعريت من الشباب، وسأنعي إلى الناس الشباب.

نلاحظ أن أبا العتاهية أكثر في هذه الأبيات من الأسلوب الخبري، ولم يتعرض إلا لقليل من الأساليب الإنشائية كالتمني والنداء، وما هذا إلا لشعوره بدنو الأجل، وإن الزمن قد أخذ عصارة شبابه، ونراه كذلك يكثر من التشبيهات والاستعارة، فهو يصور حاله عندما كان شباباً وقد أخذ الشباب يتحول عنه، كاللباس الذي يخلعه عن بدنه، بحال عود الشجر الغض الطري عندما يذبل؛ فتتساقط عنه الأوراق "تشبيه تمثيلي"، ويصور الشباب بإنسان ينعى، اكالإنسان الذي ينعي ميتاً "الاستعارة مكنية".

وهي فكرة مطروقة وشائعة إلى حد كبير في الشرق والغرب على السواء، فيقول متعجبا من الشيخ الكبير الغافل الذي ناداه المشيب بالرحيل، وبإدراك ما فاته من حياته قبل أن يفاجئه الموت، إلا أنه يتأمل آمال الفتى الشاب،" إنما جمال الشيخ هو في تقواه ومحو السيء من أعماله بالإكثار من الحسنات "[1]، فيقول أبو إسحاق الإلبيري يذم الشيخ المتصابي[2]:

يا عَجَباً مِنْ غَفْلَتي بَعْدَ أَنْ نادَانِيَ الشَّيْبُ أَلا فارْحَلَـــــنْ
وَأَدْرِكِ الفائتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْجَأَكَ المَوْتُ فَـــــلا تُنْظَرَنْ
أَقْبَحُ مَنْ تَرْمُقُهُ مُقْلَـــــــةٌ مُبْصِرَةٌ شَــيْخٌ خَليعُ الرَّسَنْ[3]

---

(1) غومث، إميليو غرسية: **مع شعراءالأندلس والمتنبي**، ص 100

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 103 – 104.

(3) خليع الرسن: كناية عن الاستهتا، أو ترك الحياء وركب هواه، أنظر: المعجم الوسيط مادة: خلع، ص277.

تَقْتَادُهُ الدَّهْرَ دَواعي الهَوى إلى الصِّــبَا مِثْلَ اقْتِيادِ البُدُنْ[1]
يَأْمُلُ آمالَ فتىً يافِـــــعٍ كَأَنَّهُ لَيْــسَ بِشَـــــيْخٍ يَفَنْ[2]
لَيْسَ جَمالُ الشَّيْخِ إلا التُّقَى والمَحْوُ للسُّــوءِ بِفِعْــلٍ حَسَنْ

(السريع)

أول نذير للإنسان الشيب، فيتعجب الشاعر من الإنسان الغافل المستهتر الذي جاءه نذير الشيب ولكنه بقي على غيه وغفلته، لقد صوره الشاعر بأبشع الصور، فمرة صوره بالدابة التي خلعت رسنها للدلالة على رفضها الانقياد والخضوع وما أقبحها من صورة! ومرة يصوره بالإبل أو البقر التي تسمّن لتنقاد إلى الذبح في مكة يوم النحر، إن هذا الشيخ مثله مثل الشاب المراهق الذي يتأمل آمالا كبيرة في الحياة، ثم بعد ذلك يبين الشاعر أبو إسحاق الإلبيري أن جمال الشيخ هو في التقوى وفعل الخيرات؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

لقد زخرت الأبيات بالتشابيه والاستعارات والكنايات والصور الفنية والبلاغية الرائعة، وما ذلك إلا لحرصه على مستقبل الناس الذين يعيش بينهم، ويراهم في غفلتهم واستهتارهم، فيقول مثلا: "ناداني الشيب"، استعارة مكنية فهو شبه المشيب بإنسان ينادي، " خليع الرسن" كناية عن الاستهتار، "تفتاده دواعي الهوى" شبه دواعي الهوى بإنسان يقود إنسانا آخر فهي استعارة مكنية، ثم صورة الإنسان الذي تقتاده دواعي الهوى بصورة البدن التي تقتاد إلى الذبح، وهذا تشبيه مؤكد مجمل " بليغ".

وقال أبو إسحاق الإلبيري مقبحا الشيخ المتصابي الجاهل عن الله والبعيد عن الدين وهو في أواخر عمره، أما آن له أن يستحي من الله بعد ظهور الشيب؟ مثل هذا الشيخ قد طبع على قلبه فصار بعيدا من رحمة الله، فيقول[3]:

ما أَقْبَحَ الشَّيْخَ إِذا ما صَــبا وعاقَهُ الجَهْلُ عَــنِ اللهِ

---

(1) البُدَن: جمع البدنة، وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة، ســميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها.ا
- انظر ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد1، مادة بدن، ص 346.

(2) اليفن الشيخ الكبير أو الفاني.
- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: يفن، ص 110.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 68.

وهوَ مِنَ العُمْرِ عَلى بازِلٍ[1] يَحْمِلُهُ حَثَّاً إِلـــــــى اللهِ
هَلّا إِذا أَشْفَى[2] رَأَى شَــيْبَهُ يَنْعاهُ فاسْتَحْيَى مِــنَ اللهِ
كَأَنَّما رِيَن[3] عَلى قَلْبِــــــــهِ فَصارَ مَحْجُوباً عَنِ اللهِ

(السريع)

لقد بدأ الشاعر الأبيات بصيغة التعجب من الشيخ المتصابي، وهذه الصفة تحمل معنى القبح والإهانة، ثم صوره بعد ذلك لكبر سنه بالجمل أو الناقة التي بلغت من العمر عتيا، ثم استعمل أداة التحضيض "هلا" وهي تفيد الطلب بعنف وشدة، فهو يطلب منه أن يرى الشيب وهوينعي له موته، ثم ينهي الأبيات بوصفه لهذا الشيخ فهو ممن طبع على قلبوهم ولا مجال للهداية وسماع العظات، وأصبح مطرودا من رحمة الله.

وقال أبو إسحاق الإلبيري مقبحا الشيخ الجاهل الذي لا يعتبر من ضعف جسمه وقوته وفقد أصحابه[4]:

والشَّيْبُ نَبَّهَ ذَا النُّهَى فَــتَنَبَّها وَنَهى الجَهُولَ فَما اسْتَفاقَ ولا انْتَهى
ما حُسْنُهُ إلا التُّقى لا أَنْ يُرَى صَبًّاً بِأَلْحاظِ الجَآذِرِ[5] والمَــــــــها
أَنَّى يُقاتِلُ وهو مَغْلولُ الشَّبا[6] كابِي الجَوادَ[7] إذا اسْــــــتَقَلَّ تَأَوَّها
مَحَقَ الزَّمانُ هِلالَهُ فكأَنَّمـــــا أَبْقَى لَهُ مِــنْهُ عَلى قَدْرِ السُّـــــهَا[8]

---

(1) بازل: يقال جمل وناقة بازل، وذلك في تاسع سنيه وليس بعده سن تسمى.
- انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد 1، مادة: بزل، ص400.
(2) أشفى: أشرف واقترب منه.
- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: شفّ، ص 513.
(3) الرين والران: ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب.
- انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد5، ص 395.
(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 48.
- انظر: نيكل، آزر: **مختارات من لاشعر الأندلسي**، ص 140.
(5) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية، وهي كلمة فارسية، انظر: المعجم الوسيط، ص 124.
(6) الشباة :حد السيف والرمح.
- انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: شبا، ص 497.
(7) كابي الجواد: عاثر الجواد.
- انظر: المصدر نفسه، مادة: كبا، ص 809.
(8) السُّها: كوكب خفي لا يظهر جيدا للعين، يمتحن به الناس أبصارهم.
- انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد 6، مادة: سها،ص416.

لَيْسَتْ تُنَهْنِهُهُ العِظَاتُ ومِثْلُــــهُ فِي سِــنِّهِ قَدْ آنَ أَنْ يَتَنَهْنَهَـــــــا[1]

(الكامل)

لقد أكثر الشاعر أبو إسحاق الألبيري من كلمة " الشيب" في مقطوعاته الشعرية، وهذا دليل على أن الشيب أكبر نذير للإنسان على دنو أجله، وأن –الله سبحانه – وتعالى يستحي أن يعذب شيبة شابت في الإسلام، فالشيخ الذي لاح له الشيب ولم يتنبه ولم يفق من غفلته وجهله، لا تؤثر به العظات ولا النصائح، وهو يصفه في هذه الأبيات بأروع الأوصاف، فهو مكسور السيف لا يستطيع القتال، وهو كابي الجواد أي عاثره لا يستطيع خوض المعارك، ضَعُفَ بصره فأصبح لا يستطيع رؤية الأشياء الدقيقة والبعيدة، مثل هذا الشيخ يكفيه نذير الشيب أن يردعه ويرده عن ضلاله، فحــــسن الشــــيخ في تنبهه للشـــــيب وفي التقوى، لا أن يبقى مغــرماً بالنظر إلى الجميلات والحسناوات.

إنها كلمات مضيئة رادعة لكل إنسان كبير السن لم يتعظ ولم يعد إلى رشده ولم يهتم بحسن خاتمته، فعليه أ يعلم أن الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك.

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن الشاعر جاء بألفاظ تناسب الغرض، وهو السخرية من الشيخ المتصابي، فقال مثلاً: "شيخ خليع الرسن"، "اقتياد البدن"، شيخ يفن"، "ما أقبح الشيخ إذا ما صبا"، "من العمر بازل"، "ران على قلبه"، "مغلول الشبا"، "كابي الجاد"، "محق الزمان هلاله".

لقد بدا تأثر الشاعر أبي إسحاق الإلبيري بالمعاني القرآنية مثل " يفجأك الموت"، "ليس جمال الـــــشيخ إلا التقى"، "والمحو للـــــسوء بفعل حــــــسن"، "فاســـتحيى من الله"، "محجوباً عن الله"، "ذا النهى"، مما جعله يودعها في أشعاره.

لقد تنوع أسلوب الشاعر فبدأه بالنداء "يا عجبا" والأمر، والنفي، والتعجب "ما أقبح"، والاستفهام "أنى يقاتل"، وهذا يدل على خطورة الأمر، أن شيخا قد قارب عمره على الانتهاء

---

(1) يتنهنه: يكفُّ.

– انظر: **المعجم الوسيط**، مادة: نهنه، ص 100.

يفعل أفعال الشباب والصبيان، ما أقبحه من منظر، إن مثل هذا الشيخ الكبير عليه أن يلتزم التقوى والعفاف، وأن يستعد لآخرته، ويتقرب بأعماله من الله، ويكفيه نذيرا الشيب وانحناء ظهره وفقدان بصره.

لقد اختار الشاعر القافية المناسبة للموقف، فقافية النون الساكنة ثم الهاء المكسورة، والهاء صوت هوائي ثم الهاء بعدها ألف ساكنة، هذه الأصوات الساكنة، والسهلة البسيطة في المخرج، تناسب سكون الشيخ في آخر عمره، فهو يستحي من عمل السوء، ويقتصر وقته على قراءة القرآن الكريم، والعمل الصالح، والاستعداد للآخرة؛ لأن الأعمال بخواتيمها.

إذن المعاني التي تطرق لها أبو إسحاق الإلبيري تركز على ظاهرة الشيب كنذير للإنسان كبير السن وما زال غارقا في الغي والضلال، جمال الشيخ في التقوى، ونجده استخدم في سبيل ذلك أسلوب السخرية والتعجب، لكي يردع هذا الشيخ المتصابي، فوصفه بعدة صفات منها: إنه خليع الرسن، بلغ من العمر عتياً، طُبع على قلبه، جهول لا يستخدم عقله، مكسور السيف، عاثر الجواد، وضعيف البصر.

وهكذا فإننا نجد ظاهرة الزهد جلية واضحة في أشعار أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، وخاصة الموضوعات التي تطرقنا إليها، كما نجد كثيرا من المعاني متأثرة بالقرآن الكريم وبتعاليم الإسلام الحنيف، والعاطفة الصادقة، والإحساس والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، فجاءت الألفاظ سهلة وبسيطة وواضحة، قريبة من لغة النثر ولغة الحياة، وخالية من المحسنات اللفظية والبديعية، إلا من بعض الصور البلاغية والاستعارات والكنايات المحدودة.

وقد جاءت هذه الأشعار على شكل مقطوعات وليست قصائد طويلة، وذلك حتى تتناسب مع مواقف الحياة اليومية.

ونلاحظ أيضا مدى تأثر الشاعر أبي إسحاق الإلبيري بالشاعر المشرقي أبي العتاهية في موضوعات الزهد، وخاصة في موضوع الموت والدنيا، والوعظ والنصح، وعواقب الموت وذم حياة الملوك.

ومن أهم المعاني التي تطرق لها الشاعران هي: الاستعداد للموت، ونسيان الناس للميت بعد دفنه، فناء الدنيا وعدم خلودها، وعدم التمسك بالدنيا فهي غدّارة وخدّاعة، والزمن يهلك الإنسان ويقرّبه من أجله، وتعمير الدنيا بذكر الله والعمل الصالح، ومسكن الملوك المقابر فلا جليس ولا ونيس، والاستعداد للجنة والخوف من النار، والحرص على الصداقة الحقّة والإصلاح والسخرية من الشيخ المتصابي.

الفصل الثالث

السمات الفنية لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري

أولاً: اللغـــــة.

1. شكل القصيدة وأسلوبها.
2. قرب المعنى وسهولة اللفظ.
3. التأثر بالمعاني الإسلامية والأجنبية.
4. الجمل الخبرية والإنشائية.
5. الشعبية الشعرية.
6. الطباق.
7. الترادف.

ثانياً: الصورة الفنية.

ثالثاً: الموسيقا.

أولا: اللغة:-

" فاق أبو العتاهية أدباء عصره بتميزه بخصائص ينفرد بها بين طبقة الشعراء المحدثين، فالمسائل التي تناولها الأدباء والنقاد له في عصره تدور حول سهولة كلامه، حيث برئ من الخشونة والنقص، وأنه مجدد في أوزان العروض، وأنه شاعر الطبع والرقة، وأنه يتناول أشعاره من كمه لأنه قريب المأخذ، وهو شاعر البديهة والارتجال، والمعنى يجتمع لديه دون أن يكلف نفسه الدوران حوله، وشعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب ".[1]

(1) شكل القصيدة وأسلوبها:

إن شعر أبي العتاهية في الزهد تألف من قصائد ومقطوعات كثيرة زادت على أربعمئة وخمسين قصيدة ومقطوعة، ويندر أن تخلو قصيدة من حديث الموت والتذكير به، للتأكيد أن الحياة الدنيا ليست بدار بقاء، وأنها لا تستحق الاهتمام بها أو الانغماس في ملذاتها.

ونلاحظ من خلال الدراسة السابقة لأشعار أبي العتاهية استفاضة شكل المقطوعة الشعرية، وهذا إطار محدود وضيق، يعبر فيه الشاعر أحيانا عن خاطر راوده، أو معنى طريف جال في نفسه، فاقتنصه ثم يتوسع فيه أو يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة.

ونلاحظ أيضا سيطرة المعجم القرآني على أشعار أبي العتاهية، ونستدل من خلال هذه الظاهرة على نزعة التدين، ودليل على جانب من جوانب ثقافة الشعراء في ذلك العصر، وقد كان حفظ القرآن لدى الأكثرية منهم أول مرحلة من مراحل التحصيل.

وكثرة المقطوعات في شعر أبي العتاهية يعود إلى الغرض الزهدي الذي قيلت فيه، لأن المقطوعة أكثر استيعابا لهذا الغرض، فهي لا تتطلب التحضير المسبق والعناية والمراجعة كما هو الحال في القصيدة، وإنما يرتجلها الشاعر مع الطبع والبديهة، فتكون ملازمة للموقف والمقام، وما أكثر المواقف التي يحتاجها الشاعر في مثل هذا الغرض لتذكير العامة والخاصة

---

(1) أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية**، ص 276.

بالدين الحنيف وحسن الخلق، والتذكير بالموت والزهد في الدنيا، والترغيب بالجنة، والترهيب من النار، والوعظ والنصح والحكم والأمثال.

وموضوعه الزهدي جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة، يحدثهم بالأسلوب الذي يفهمونه ويستخدم فيه الألفاظ والصور التي يألفونها، وهذا يجعل الموضوع وسيلة لتحديد الأسلوب، وقد حرص أبو العتاهية على أن يقترب في لغته من لغة الحياة اليومية، لكي يعبر عن تلك القيم الدينية التي دعا إليها في شعره الزهدي.

فاقتربت أشعاره من الصياغة النثرية، وهي قريبة الشبه في أسلوبها بالخطبة الوعظية، فانطبعت أشعاره بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد.

أما فيما يتعلق بالمحسنات البديعية فهي محدودة في شعر أبي العتاهية باستثناء بعض المقابلات اللفظية والتي تأتي عفوا الخاطر، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تأكيد الفكرة عن طريق المقابلة كما في قوله:[1]

أَمِنْتُ الزَّمانَ والزّمانُ خَؤُونُ ... لَهُ حَرَكاتٌ بالبِلَى وسُكونُ

(الطويل)

وقد أكثر في شعره من الأسلوب الإنشائي مراوحاً فيه بين الاستفهام والنداء والتعجب والأمر، حيث يقول[2]:

هَلْ عِنْدَ أَهْلِ القُبورِ مِنْ خَبَرٍ ... هَيْهَاتَ ما مِنْ عَيْنٍ وَلا أَثَرِ
ما أَقْطَعَ المَوْتَ للصَّديق وَما ... أَقْربَ صَفْوَ الدُّنيا مِنَ الكَدَرِ
يا صاحبَ التِّيه مُنذُ قرَّبَهُ ... السُّلْطانُ هذا مِنْ قِلَّةِ الفِكَرِ
يا أَقْدَرَ اللهَ أنْ يُغيِّر ما ... أَصْبحَتَ فيهِ فَكُنْ عَلى حَذَرِ
واعْلَمُ بأَنّ الأَيَامَ يلْعَبْنَ بالمَرْءِ ... وَأَنَّ الزَّمانَ ذو عُبَرِ

(المنسرح)

(1) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص378.

(2) المصدر السابق، ص167-168.

وقد اعتمد في قصائده أسلوب التكرار، لأن الواعظ بطبعه ملّح علـى إيصـال فكرتـه وتوضيحها؛ ولأن شعر الزهد يقصد به جماهير الناس بعامة، ولم يكن يُقصد به الخلفاء والأمراء وعلية القوم وأثرياؤهم. "فالزهد فن شعبي بصفة أساسية، يصنع للقطاعات العريضة من ضعاف ومتوسطي الحال بلسما لمعاناتهم وضيق أحوالهم".[1]

وهذا واضح في قوله[2]:

هِـيَ الآجـالُ والأَقْـدارُ تَجْـري	بِقَـدْرِ الـدَّرِّ تُحتْلَـبُ الضُّـروعُ
هـي الأعْـراقُ بـالأَخلاقِ تَمْنـي	بِقَـدْرِ أُصـولِها تَزْكـو الفُـروعُ
هـي الأَيَّـامُ تحْصِـدُ كُـلَّ زَرْعٍ	لِيَـوْمِ حَصـادِها زُرِعَ الـزُّروعُ

(الوافر)

فقد لجأ إلى تكرار كلمة واحدة في القصيدة استثارة للقارئ كي يستهويه هـذا التكـرار ويواصل تدبّره للمعاني الواردة فيها.

"أما بالنسبة للقصيدة الأندلسية، فقد شاعت القصائد الطويلة، والمقطوعات القصيرة لدى شعراء الأندلس، ومن البدهي أن التجربة الشعرية الجيدة لا تتعلق–بشـكل مباشـر– بالقصـر والطول، ولكن السمة الغالبة أن أكثر أشعار الزهد جاءت قطعا قصيرة لا تتجاوز عشرة أبيات، بل كثيرا ما تقتصر أشعارهم على البيتين والثلاثة أبيات"[3]

أما أبو إسحاق الإلبيري فإن كثيرا من زهدياته تمتاز بأنها مطولات تهدف أساسا إلـى الزهد في الحياة والتطلع إلى الآخرة[4]، وهناك مطولات وصفت بأنها قصائد، حيث بلغت إحداها ثلاثة وخمسين بيتا، وتنتهي بلفظ الجلالة "الله"، وقصيدة أخرى بلغت ثمانية وثلاثين بيتا، يختـتم كل بيت منها بكلمة "النار"، وتمتاز هذه القصائد بأنها تقف بين فني النثر والشعر.

وقصائده في الديوان تدل على مشاركته في الحياة الاجتماعية، فهناك قصيدته الزهديـة التي أولها،:[5]

---

(1) إسماعيل، عز الدين: **في الشعر العباسي، الرؤية والفن**، ص 439.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 222.

(3) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ص 474.

(4) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 508.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 19.

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيَّامُ فَتّا وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ الأَيَّامُ نَحْتا

(الوافر)

وقد بلغت مئة وستة أبيات، كما في قوله:[1]

وَقَدْ أَرْدَفْتُها سِتّاً حِساناً وَكَانَتْ قَبْلَ ذا مِئَةً وَسِتّا

(الوافر)

وبلغت القصيدة بمجملها مئة واثني عشر بيتا، فكانت في الأصل مئة وستة أبيات وزاد فيها ستة أبيات، عدا البيت الأخير الذي ذكر فيه عددها.

إن هذه القصيدة هي أطول قصيدة في ديوان أبي إسحاق الإلبيري، وقد وصلت كاملة، وتعد من القصائد القليلة في الشعر الأندلسي، لا بل الشعر العربي كله، وقد عالجت موضوعات كثيرة مما له صلة مباشرة بحياة الأبناء، فلذة الأكباد، وهي في مجملها تعكس صورة للآداب والأخلاق الإسلامية التي يسعى الإسلام لغرسها في نفوس أبنائه، ويمكننا أن نعدها دستورا متكاملاً في بابها.

وفيه القصيدة المشهورة التي أثارت صنهاجة على يهود غرناطة، والتي بلغت القصيدة في الديوان ثمانية وأربعين بيتا، ومطلعها:[2]

أَلا قُلْ لِصَنْهاجَةٍ أَجْمَعِينْ بُدورِ النَّدِيِّ وَأُسْدِ العَرِينْ

(المتقارب)

"وقد اتبع الفقيه الزاهد أبو إسحاق الإلبيري في هذه القصيدة الأسلوب النثري السهل ليبلغ كلامه الأفهام".[3]

"وقد سخّر أبو إسحاق الإلبيري أصنافا كثيرة من الصور في إبراز المعاني الزهدية".[4] وله قصائد طويلة كثيرة في ديوانه، تبلغ نصف قصائد الديوان، وديوانه يحوي اثنتين وثلاثين

---

(1) المصدر نفسه، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص 96.

(3) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ص 148.

(4) المصدر نفسه، ص 138.

بين مقطوعة وقصيدة. وقد وجدت له مقطوعات أخرى لم يحوها ديوانه، مما يدل على أنـــه لا يمثل جميع ما خلّفه الإلبيري من نتاج شعري.

لقد نوع الإلبيري في قصائده أسلوب الخطاب، ففي قصيدته الوعظية اعتمد في أســـلوب الخطاب على قافية تاء المخاطب في جميع أبيات القصيدة، وهي أكبر قصيدة في الديوان؛ لأنـــه يريد أن يقدم لابنه من خلالها نصائح ومواعظ تعتمد على الحجج المنطقية؛ ولتكون أوقـــع فـــي النفس وأبلغ في التأثير.

ثم نوّع في أسلوبه بين المخاطب إلى المتكلم إلى الغائب، وقد استخدم ضـــمير المـــتكلم؛ ليبين لمجتمعه وأصحابه، موقفه من الدنيا الزائلة، ومن الموت الذي يقطع آمال الناس في هـــذه الدنيا الفانية الخداعة.

وقد استخدم ضمير الغائب لينتقل إلى ذم حياة الملوك المترفة، وذم العلماء الذين همّهـــم من علمهم جمع المال، وذم الشيخ المتصابي الجاهل والغافل عن مصـــيره ومســـتقبله، ثـــم ذم الأغنياء الذين توهمهم آمالهم أن الغنى دائم.

نجد من خلال الدراسة السابقة مدى تأثر الإلبيري بأبي العتاهية في أسلوبه، فقد اعتمد على المقطوعات الشعرية والمطولات، وأحيانا القصائد، وتنوع الأسلوب بين الخبري والإنشائي، والإكثار من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم التكرار في بعض الألفاظ والمعاني، واعتمادهما على السهولة في اللفظ والابتعاد عن الغريب والجزالة، ومخاطبة العامة والخاصة في أسلوبهما، واعتمدا كذلك أسلوب الحوار والمناقشة، واقتربت قصائدهما من النثر لسهولتها وترابط معانيها.

(2) قرب المعنى وسهولة اللفظ:

قال ابن أبي الأبيض:" أتيت أبا العتاهية، فقلت له: إني رجل أقول الشعر في الزهد ولي فيه أشعار كثيرة، وهو مذهب استحسنته لأني أرجو أن لا آثم فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحب أن تنشدني من جديد ما قلت، فقال: اعلم أن ما قلته

رديء، قلت: وكيف؟ قال: لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين، أو مثل شعر بشار وابن هرمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزهد، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء، وأصحاب الرياء والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه"،[(1)] وكان أحد المطبوعين، وممن يكاد كلامه كله شعرا.[(2)]

قال سلم الخاسر في المعنى نفسه: " صار إليّ أبو العتاهية فقال: جئتك زائرا، فقلت: مقبول منك ومشكور أنت عليه، فأقم، فقال: إن هذا مما يشتد علي، قلت: ولمِ يَشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب: فقال: لمعرفتي بضيق صدرك، فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته: رمتني بدائها وانسلت، فقال: دعني من هذا واسمع مني أبياتا، فقلت: هاتٍ، فأنشدني[(3)]:

نَغَّصَ المَوْتُ كُلَّ لَذّةِ عَيْـــشٍ	يا لَقَوْمِي للموْتِ ما أَوْحـــاهُ
عَجَباً أَنَّهُ إِذا ماتَ مَيْـــــتٌ	صَدّ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَجَـــــفاهُ
إِنَما الشَّيْبُ لابْـــــنِ آدمَ ناعٍ	قامَ في عارِضَيْهِ ثُمَّ نَعـــاهُ
مَنْ تَمَنَّى المُنى فَأَغْــرَقَ فِيها	مات مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنالَ مُــناهُ

(الخفيف)

ثم قال: كيف رأيتها؟ فقلت له: لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية، فقال: والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها".[(4)]

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، مجلد3، ص 161.
- انظر: المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي،ص 166.

(2) ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص 675.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 414 – 415.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**ج3، ص 173.

" وقد ذُكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسن بن الضحاك اجتمعوا يوما، فقال أبو نواس: لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه من غير مدح ولا هجاء، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة:[1]

يا إِخْوَتي إِنَّ الهوَى قاتــِلي	فَسيِّروا الأَكْفانَ مِنْ عاجِلِ
وَلا تَلُوموا في اتّباعِ الهَوى	فَإِنَّني في شُغُلٍ شـــاغِلِ
عَيْني عَلى عُتْبَةَ مُـــنْهَلّةٌ	بِدَمْعِها المُنْسَكِبِ الســائِلِ

(السريع)

فسلّما له وامتنعا عن الإنشاد بعده، وقالا: أما مع سهولة هذه الألفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئا ".[2]

"حدّث أحمد بن زهير قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعر الناس، فقلت له: بأي شيء استحق ذلك عندك؟ [3]

فقال: بقوله: [4]

تمسَّكْتَ بِآمـــــالٍ	طِوالٍ بَعْدَ آمــــالِ
وَأَقْبَلْتَ عَلى الدُّنْيا	بِعَزْمٍ أَيَّ إِقْبـــالِ
فيا هَذا تَجَهّزْ لِفـــر	اقِ الأَهْلِ وَالمـــالِ
فَلا بُدَّ مِنَ المَـــوْتِ	عَلى حَالٍ مِنَ الحَالِ

(الهزج)

ثم قال مصعب: هذا الكلام سهل حتى لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل، ويقر به الجاهل".[5]

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 616 – 617.

– انظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، ج1، ص 229.

(2) المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص 166.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 305– 306.

(4) المصدر نفسه، ص305– 306.

(5) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 130.

" فشاعرية أبي العتاهية كانت في جملتها على هذا النمط الشعري البعيد عن الحشو والإغراق، قريب التناول، سهل الألفاظ، يقترب به صاحبه إلى درجة الشعبية أحيانا، كما كان يسمو به أحيانا إلى درجة السهل الممتنع ".(1)

" ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها، واغتفر له فيها الركاكة واللين المفرط، كأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف، ومن تابعهما".(2)

ومن الحق أن السهولة ظلت في أسلوب شعره منذ فاتحة حياته، حتى إذا أخذ في الزهد ضاعفها وأكدها تأكيدا شديدا، حتى لتكاد تسقط منه بعض مقطوعات لما يجري فيها من ضعف.

وأبو العتاهية شاعر الفطرة والموهبة، ويبدو أن طاقته الفنية تنبع من موهبته في الإحساس بسعة وتنوع التشكيل الموسيقي في مفردات اللغة وتراكيبها، فهو بعبقرية فطرية اكتشف خصوبة اللغة في تشكيلاتها الموسيقية، ودلالاتها الخصبة حتى فيما تيسر من شائع اللفظ.

يضاف إلى ذلك أنه لم يكن من طبقة اجتماعية ذات شأن، وكان يطوف بالجرار على رأسه، ومثله من الباعة يتوددون أذن المستمع لجذب انتباهه، وهم دائما على وعي بقاموسه الفني، وبينما كان يتردد في الطرقات يصادف الشعراء، ويجاذبهم أطراف الحديث وينشدهم من فيض موهبته الفطرية، ما يجعلهم يكتبون عنه، ويتحلقون حوله، ولا تدل أخباره على أنه كان يلازم شاعرا أو يجلس إلى عالم أو أديب، كما انه لم يذهب إلى البادية كما فعل بشار، وأبو نواس.

"وفي بيان قرب المعنى وسهولة اللفظ عند أبي العتاهية يقول صاحب الأغاني: " أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته، وكان

---

(1) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 179.

(2) القيرواني، أبو الحسن بن رشيق: **العمدة**، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط3، 1383هـ - 1963م، ج1، ص 126.

غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنه كثير الساقط المرذول مـــع ذلك، وأكثر شــــعره هو الزهــد والأمــثال [1]".

" وأبو العتاهية من مقدمي المولدين من طبقة بشار وأبي نواس، وهو من الشعراء المكثرين الذين لا تكاد أشعارهم تحصى لكثرتها، حتى قيل: إنه كان ينظم في اليوم الواحد مئة بيت أو أكثر، لذلك كثرت في أشعاره المعاني المكررة والأقوال المعادة، فصار يدور في إطار محدود من الأفكار والأقوال، ولذلك أيضا صار شعره سهل الألفاظ قريب المعاني، فجرى على ألسنة العامة وسار بينهم، وتحولت تلك السهولة إلى ضعف وركّة أحيانا ".[2]

ويمتاز أبو العتاهية بقلة تكلفه وسهولة ألفاظه، وحجته في ذلك أنه يرمي إلى العظة والزهد، فينبغي أن يكون شعره مفهوما لدى الناس على السواء، وهو الذي نهج للشعراء مناهج الزهد والعظات فاقتفوا أثره فيها، فهو يقول:[3]

وَإِذا ابْتُلِيتَ بِبَذْلِ وَجْهِكَ ســـائِلاً فابْذُلْهُ للمُتَكرِّمِ المفْضَـــــالِ
وإِذا خَشِيتَ تَعَذُّراً فـــي بَلْــدَةٍ فاشْدُدْ يَدَيْكَ بعاجِلِ التِّرحالِ
واصْبِرْ على نَكَدِ الزَّمانِ فإنَّما فَرَجُ الشَّدائدِ مِثْلُ حلِّ عِقالِ

فنراه يطلب من الإنسان المحتاج أن يسأل حاجته إنساناً ذا كرم وفضل، وإن تعذّرت الإجابة، فالرحيل العاجل إلى بلد أخرى، كما أنه يطلب الإنسان أن يصبر على مصائب الزمن، لأن مع العسر يسراً ومع الضيق الفرج.

" وكان أبو العتاهية من أسهل الناس لفظا، وأقدرهم على وزن الكلام، وكان حلو الألفاظ، حتى إنه يتكلم بالشعر في جميع حالاته، ويخاطب به جميع أصناف الناس".[4]

---

(1) الأصفهاني، أبو فرج، الأغاني، ج4، ص3-ص4.

(2) الأسعد، عمر: **نصوص من الشعر العباسي**، ص 50.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 284.

(4) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج3، ص 317.

" اجتمع أبو نواس وجماعة، فدعا أحدهم بماء فشرب، ثم قال: عذب الماء وطابا، ثم قال: أجيزوا، فترددوا، فلم يحضر أحد ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه، وجاء أبو العتاهية فقال: فيم أنتم؟ فأعلموه وأنشدوه القسم، فقال: حبّذا الماء شرابا.

ولسهولة ألفاظه كان أقدر الناس على الارتجال، صحب رفقه فسمع زُقاء الديوك، فقال لرفيقه: هل رأيت الصبح صاحا؟

قال: نعم. قال: وسمعت الديك صاحا؟

قال: نعم. قال: إنما بكى على المغتر بالدنيا وناحا.

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر، فرواه، فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال "[1].

"وشعر أبي العتاهية لطيف المعنى سهل الألفاظ قليل التكليف، قريب المتناول حتى على الذين لا إلمام لهم باللغة والأدب، وأكثره في الزهد والأمثال[2]، وكان يقول:" أكثر الناس يتكلمون بالشعر، وهم لا يعلمون، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء، إذ قال رجل لآخر عليه مسح:

يا صاحب المسح تبيع المسحا.

فقال أبو العتاهية: قد قال شعرا وهو لا يعلم.

ثم قال الرجل: تعال إن كنت تريد الربحا.

فقال أبو العتاهية: قد أجاز المصراع بمصراع آخر" [3].

وقال عنه الخطيب البغدادي[4]: "وأكثر شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيدا عن التكلف متقدما في الطبع".

---

(1) ابن رشيق القيرواني، أبو الحسن: العمدة، ج1، ص192

(2)عطاالله، رشيد يوسف،" ساروفيم فيكتور": تاريخ الآداب العربية، تحقيق: دكتور علي نجيب عطوي، عز الدين- لبنان، مجلد1، ط1، 1985م، ص244.

(3) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 145.

(4) الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ص251.

أما أبو إسحاق الإلبيري:

فالأندلسيون في عصر الطوائف لايزالون يستخدمون روافدهم الثقافية المشرقية، وكانت عقدة المنافسة التي خلفها الأمويون لا تفتأ تحولهم نحو المشرق، يحاكون روائعه حينا، ويتحدونه حينا، ويفيدون منها بين حين وحين.

"واقتضت مراحل النمو الفني من جهة، والمحاكاة للشعر المشرقي من جهة أخرى، أن يبعد الشعر الأندلسي في العصر الطائفي، عن السطحية المعتمدة على الحواس، وأن يشيع فيه الحس والفكر والعاطفة جميعا".[1]

"ولقد كان أبو إسحاق الإلبيري هو الشاعر الأندلسي، الذي خرج بالشعر من حيّز الكلام الخالي من الرصيد، إلى حيّز الكلام الذي لا يقدر بثمن".[2]

" واستطاع بسهولة شعره أن يجعل البربر يفهمون الشعر العربي، فهم لا يستطيعون التقاط معاني كل الكلمات تفصيلاً، لكنّهم على الأقل يفهمون الفكرة العامة التي يريد الشاعر أن يعبر عنها، ومن الحق أن نقرر أنه قد عبر ببراعة مدهشة عما أراد أن يقوله، بأبيات قصيرة، ذات إيقاع سهل، ومن خلال كلمات يفهمها أي مسلم حفظ القرآن أو درسه[3]،

يقول:[4]

فَعَزَّ اليَهودُ بِهِ وانْتَخْــــــوا	وتاهُوا وكانُوا مِنَ الأَرْذَلِينْ
وَنالُوا مُنَاهُمْ وَجَازُوا المَدى	فَحانَ الهَلاكُ وَما يَشْعُرونْ
وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي وَحْيِــــهِ	يُحَذِّرُ عَن صُحْبَةِ الفاسِقِينْ

(المتقارب)

(1) شلبي، سعيد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 384.
(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 5.
(3) بيريس، هنري: **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ص 246.
(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 96 – 98.

ومما قاله في اقناع مستخدما وقائع محددة تمس الحياة المادية، الأكثر التصاقا بفكر الشعب البربري، في كفاحه اليومي من أجل لقمة العيش:[1]

وَقَدْ قَسَّموها وَأَعْمالَهـــا فَمِنْهُمْ بُكلِّ مَكانٍ لَعِيـــــــــنْ
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جِباياتِهـــا وَهُمْ يخصمُونَ وَهُمْ يَقْضِمونْ
وَهُمْ يَلْبَسونَ رَفيعَ الكُسَا وَأَنْتُمْ لأَوْضَعِها لابِســــــونْ
ورَخَّمَ قِرْدَهُـــــمْ دارَهُ وَأَجْرى إِليْها نَمِيرَ العُيــــونْ
وَيَضْحَكُ مِنّا وَمِنْ دِينِنا فإِنّا إِلى رَبِّنا راجِعُــــــــونْ

(المتقارب)

فقد تحدث عن تقسيم الأعمال بين اليهود، وجباية الأموال ثم تقسيمها بينهم، واستئثارهم بخيرات البلاد، فكانوا يلبسون أحسن الملابس، ويبنون أحسن البيوت، ووصل الأمر بابن النغريلة اليهودي أن يستهزئ بالمسلمين وبدينهم.

وقد انتشرت قصيدته في التحريض ضد اليهود بين الناس وحفظت، فهجموا على دار اليهودي، فأخرجوه، وقتلوه، وفتكوا بقومه وجعلوهم بين قتيل وشريد.

وقرب المعنى وسهولته من أبرز خصائص الشعر الأندلسي، ونلمس ذلك من خلال مقطوعات أبي إسحاق الإلبيري وقصائده، فنجده في حديثه عن الموت يبين عدم اهتمام الناس بالموت وبالشخص الذي يدفنونه، يقول[2]:

تَمُرُّ لِدَاتي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدِ وَأَعْلَمْ أَنيِّ بَعْدَهُمْ غيْرُ خالِدِ
وَأَحْمِلُ مَوْتاهُمْ وَاشْهَدُ دَفْنَهُمْ كَأَنّي بَعِيدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ شاهِدِ

(الطويل)

فجاءت الكلمات سهلة بسيطة قريبة من لغة العامة، والتراكيب سلسة بسيطة، والمعنى مترابط، حيث بدأ بموت أصحابه وعلمه بأنه سيلحق بهم، ويحمل جنازاتهم ويشهد دفنهم، هذا

(1) المصدر نفسه، ص 98 – 99.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 105. انظر: المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص 250.

الترابط ســـــاعد في فهم المعنى أيضاً. وها هو يؤكد هذا المعنى وأنه ســـــيلحق بأصحابه في الأبيات الآتية(1):

فَيا إِخْوَتي مَهْمَا شَهْدتُمْ جَنَازَتِـــــي   فَقُومُوا لِرَبيِّ واسْأَلُوهُ نَجاتِـــــــي
وَجِدُّوا ابْتِهالاً في الدُّعاءِ وأَخْلِصُوا   لَعلَّ إلهي يقْبَلُ الدَّعَـــــــــــواتِ
وَقُولَوا جَميلاً إنْ عَلِمْتُمْ خِلافَـــــهُ   وأغْضُوا على مَا كَانَ مِنْ هَفَواتِي
(الطويل)

فالألفاظ سهلة بسيطة، ومختاره ومنتقاة، وبعيدة عن الألفاظ الغريبة والصعبة، مثل "فقوموا"، " وجدّوا"، "وأخلصوا"، "وقولوا"، " وأغضوا"، مـــما يثير انتباه القارئ والـــــسامع لمتابعة الكلام حتى نهايته.

بعد أن عرضنا لسمة السهولة وقرب المعنى لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، نجد أن شاعرية أبي العتاهية كانت بعيدة عن الحشو والإغراق، سهلة الألفاظ تصل أحيانا إلى درجة الشعبية، وتسمو أحيانا لتصل إلى درجة السهل الممتنع.

والسهولة لدى أبي العتاهية بدأت معه منذ فاتحة حياته، حيث إنه لم يجلس إلى عالم أو أديب، كما إنه لم يذهب إلى البادية ليتعلم اللغة، إضافة إلى أنه لم يكن من طبقة اجتماعية ذات شأن، كما أن شعر الزهد يرمي في معظمه إلى العظة والنصح، فينبغي أن يكون شعره مفهوما لدى الناس على السواء؛ لأن الزهد ليس من مذاهب الملوك، ولا من مذاهب رواة الشعر، ولا طلاب الغريب.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد ظهرت سهولة اللفظ عنده حين مخاطبته شعوبا غير عربية، لا تستطيع فهم الكلام تفصيلا، بل تركز على فهم المعنى العام والفكرة العامة التي يريدها الشاعر، كذلك جاءت سهولة اللفظ من الأفكار التي استمدها أبو إسحاق الإلبيري من الدين، وحتى يقنع سامعيه استخدم وقائع محدّدة تمسّ الحياة المادية الأكثر التصاقا بالشعب البربري.

---

(1) المصدر نفسه، ص 56.

فكلاهما جاءت السهولة وقرب المعنى في شعره من رغبته في التأثير في العامة، وهم القاعدة الأساسية التي يستطيع من خلالها التاثير على الحكام والمنحرفين، فاستطاع أبو العتاهية التأثير في خلفاء بني العباس بأشعاره السهلة القريبة من الجميع، واستطاع أبو إسحاق الإلبيري التأثير على بربر صنهاجة ضد اليهود الذين قربهم حاكم غرناطة.

(3) التأثر بالمعاني الإسلامية والأجنبية:

ورد أن أبا العتاهية قال ذات مرة:" قرأت البارحة سورة "عمّ يتساءلون"[(1)]، وفي شعره قصيدة تتأثر بالألفاظ والكلمات التي وردت في هذه السورة الكريمة، فلعل مقولته السابقة كانت تقدمة بين يدي خبر هذه القصيدة ليوضح للمستمع بأنه صاحب موهبة فنية تستطيع الاهتداء نوعا ما بألفاظ من النظم القرآني المعجز، وما كان له أن يزيد في دعواه عن ذلك، والظاهرة من الناحية الفنية تقف عند حدود استخدامه لفواصل ومفردات ورد بعضها– أو ما يذكّر به– في هذه السورة المباركة[(2)]، والقصيدة التي نعنيها منها قوله[(3)]:

أذَلَّ الحِرْصُ وَالطَّمَعُ الرِّقَابا	وَقَدْ يَعْفو الْكَريمُ إذا اسْـتَرابا
وَإنَّ لِكُلّ حادِثَةٍ لَوَقْتـــــــــاً	وإنَّ لِكُلّ ذِي عَمَلٍ حِسَــــابا
وَكُلُّ ســــــلامة تعد المنايا	وكل عمارة تعد الخــــــرابا
وَكُلُّ مُمَلَّكٍ سَــيَصيرُ يَوْماً	وَمَا مَلَكَتْ يَداهُ مَــــعاً تَبابا
فَيا عَجَباً تَمــوتُ وَأَنْتَ تَبْني	وتَتَّخذُ المَصانِعَ وَالقِــــبابا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ كُــلّ صباحَ يَومٍ	يَزيُدكَ مِنْ مَنِيتِّكَ اقْتِــرابا
يُدَبِّرُ مَا تَرَى مَــلِكٌ عَزيزٌ	بهِ شَهِدَتْ حَوادِثُهُ وَغَــابا

(الوافر)

" والقصيدة تقع في ثلاثين بيتا، والسمة الفنية تقف عند حدود نظره اللفظي في ألفاظ وردت في سورة "عمّ يتساءلون"، وأبو العتاهية فيما يبدو كأنما يريد أن يلفت النظر إلى أنه في نسيجه اللفظي لقصائده، كان يستطيع الاهتداء بالوقوف عند ألفاظ وفواصل وردت في سورة

---

(1) سورة النبأ، ص582.

(2) أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية**، ص 285.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 19– 21.

معيّنة، وهذا النوع من الاقتباس اللفظي من شأنه أن يرفع منزلته الفنية في نظر مستمعيه، وكأنما كان أبو العتاهية يدافع عن السهولة التي اتهم بها لدى بعض الشعراء والنقاد، وكأنما يقول هذه سهولة عصيّة عليكم، وهي في إبدعها الفني تضع أمام ناظريها ألفاظا عذابا وردت في آي القرآن الكريم وسوره، لا سيما المكية منها لما تتميز به من جرس إيقاعي خاص بها".(1)

فأبو العتاهية في زهدياته، يطيل الحديث عن الحياة والموت والفناء ومصير الإنسان، ويتحول بجانب ذلك إلى ما يشبه واعظا، وهو في عظاته يستمد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووعظ الوعاظ من أمثال الحسن البصري، كما يستمد من أشعار سابقيه، وقد وقف المبرد عند موعظة له يستهلها بقوله(2):

يَا عَجَباً للنَّاسِ لَوْ فَكَّــــــروا   أَوْ حاسَبوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرْوا
وَعَبَروا الدُّنْيا إِلى غَيْرِهـــــا   فَإِنَّما الدُّنْيا لَهُمْ معْبَــــــرُ
والخَيْرُ ما لَيْسَ بخافٍ هو الــ   مَعْرُوفُ والشَّرُّ هُوَ المُنْكَرُ
لِيَعلَمنّ النَّاسُ أَنَّ التُّقـــــــى   والبِرَّ كانَا خَيْرَ ما يُذْخَــرُ

(السريع)

يا عَجَباً للنَّاسِ لَوْ فَــــــكَّرُوا   أَوْ حاسَــــــبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَروا

ربما هذا المعنى أخذه أبو العتاهية من قولهم: الفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك، ومن قول لقمان لابنه:" يا بني، لا ينبغي لعاقل أن يخلي نفسه من أربعة أوقات: فوقت منها يناجي فيه ربه، ووقت يحاسب فيه نفسه، ووقت ليكـــسب فيه معاشـــه، ووقت يخلي فيه بين نفـــسه ولذّاتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات".(3)

وقولــــه:

وَعَبَروا الُّدنْيا إِلى غَيْرِها   فإِنَّما الدُّنْيا لَهُمْ مَـــعْبَرُ

---

(1) أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية**، ص 286.
(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 151- 152.
- انظر: المبرّد: **الكامل**، ج2 ص 521-522.
(3) المبرد: **الكامل**، مجلد2، ص 522.

ربما أخذه من قول الحسن: اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها.

وقوله:

وَالخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ بِخافٍ هُو الــ مَعْـــروفُ والشَّرُّ هُوَالمُنْكَرُ

(السريع)

ربما هذا المعنى يتناسب مع حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله كيف بك إذا بقيت في حثالة(1) من الناس مرجت(2) عهودهم وأماناتهم، وصار الناس هكذا، وشبّك بين أصابعه، فقلت: مرني يا رسول الله، فقال: خذ ما عرفت، ودع ما انكرت، وعليك بخويصة نفسك، وإياك وعوامها"(3).

وطبيعي أن يطبع أسلوبه في الزهد بطوابع الأسلوب الوعظي من التكرار وكثرة النداء والاستفهام والأمر(4) وقال أبو العتاهية(5):

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيراثاً لِوارِثِهِ فَلَيْتَ شَعْرِيَ مَا أَبْقَى لَكَ المــالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ في حالٍ تَسُرُّهُمُ فَكيْفَ بَعَدَهُمُ دَارَتْ بِكَ الحـــالُ
ملّوا البُكاءَ فَما يَبْكيكَ مِنْ أَحدٍ واسْتَحْكَمَ القِيلُ في المِيراثِ والقالُ

(البسيط)

ربما أخذ أبو العتاهية هذا المعنى من كلام الحسن البصري: يا ابن آدم، أنت أسير في الدنيا، رضيت من لذتها بما ينقضي، ومن نعيمها بما يمضي، ومن ملكها بما ينفذ، فلا تجمع الأوزار لنفسك، ولأهلك الأموال، وإذا متّ حملت الأوزار إلى قبرك، وتركت أموالك لأهلك"(6).

---

(1)حثالة من الناس: رذالهم وشرارهم، انظر: المعجم الوسيط، مادة: حثل، ص177.

(2)مرج الأمر فهو مارج ومريج: التبس واختلط.. انظر : المصدر نفسه، مادة: مرج،ص 898.

(3)أبن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مجلد2، ص 163.

(4)ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، ص 251

(5)أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 310.

(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص212.

ولا يفوتنا أن نلاحظ دوران قدر غير يسير من المعجم القرآني في أشـــعار العباســـيين، والأمر لا يعدو أن يكون دليلا على جانب من جوانب ثقافة الشعراء في ذلك العصر،" وقد كان حِفْظُ القرآن لدى الأكثرية منهم أول مرحلة من مراحل التحصيل"[1].

وربما كان أبو العتاهية أكثر الشعراء استخداما لهذا المعجم، يقول: [2]

وَأُحْضِرَتِ الشُّحُّ النُّفوسُ فَكَلُّها   إِذا هِيَ هَمّتْ بالسَّماحِ تَجَنَّبَتْ

(الطويل)

فهو هنا يلتفت إلى قوله تعالى: " وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ "[3].

ويقول:[4]

أرَى المَوْتَ دَيْناً لَهُ عِلَّةٌ   فَتِلْكَ التَّي كُنْتَ مِنها تَحيدُ

(المتقارب)

يشير هنا إلى قوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد".[5]

ويقول:([6]

لَيْتَ شِعْرِي وكَيْفَ حَالُك يا نَفْـــ   سُ غَداً بَيْنَ سائِقٍ وشَهِيدِ

(الخفيف)

ومن إشارة إلى قوله تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ"[7].

---

(1)اسماعيل، عز الدين: في الشعر العباسي الرؤية والفن، ص 430.
(2)أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص77.
(3)سورة النساء، الآية 128.
(4) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص106.
(5) سورة ق، الآية 19.
(6) أبوالعتاهية، أشعاره وأخباره، ص123.
(7) سورة ق، آية 21.

وقال ثمامة بن اشرس أنشدني أبو العتاهية:[1]

أَلا إِنَّما مَالي الذِي أَنا مُنْفِـــــقٌ ... وَلَيْسَ لِيَ المالُ الذِي أَنَا تارِكُهْ
إِذا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَبادِرْ بِهِ الــــذِي ... يَحِقُّ وَإِلاّ اسْتَهْلَكَهُ مَهالِكُــــهْ

(الطويل)

فقلت له: من أين قضيت بهذا؟ فقال: من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " يقول ابن آدم مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، ولبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت".[2] ومن مظاهر تأثره بالحديث الشريف، ما ورد في الفصل الثاني عند الحديث عن موضوعات شعر الزهد لديه.

"أما شعراء الأندلس فقد تأثروا بالمعاني الإسلامية نتيجة إجلالهم لرجالات الإسلام والصحابة الكرام، وفي مقدمة الشخصيات التي أكثروا الوقوف عندها وجعلوها منارا يهدي، ويستلهمون منها المثال الرفيع لحياتهم، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد بالغ شعراء الزهد في احتقار الدنيا، وضربوا عنها صفحا، وتعلقت أفئدتهم تعلقا شديدا بحب الله ورسوله، وكانا هما الفكرة الرئيسة التي تنظم أشعارهم".[3]

ومن مظاهر هذا التأثر:

كان للأندلسيين عناية بالغة بالقرآن الكريم وعلومه، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك ورأسه، ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلا في التعليم".[4]

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره واخباره، ص276. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 132.

(2) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج23، ص276.

(3) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين**، ص 447.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن محــمد: **مقدمة ابن خلدون**، ج3، الطبعة الثالثة، تحقيق الدكتور عبد الواحــد واقــي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة–القاهرة، 1979م، فصل 40، ص 1249.

"لقد كان القرآن الكريم هو الصورة المثالية في مبانيه ومعانيه، ولهذا تأثر الشعراء بمعانيه وأفكاره العالية من ناحية، وبأسلوبه وتركيبه البليغ من ناحية أخرى. وأما الاقتباس[1] من آياته الكريمة، الاقتباس المباشر أو غير المباشر، فكان ذا حظ كبير في أشعارهم".[2]

ولعل كثرة الاقتباس من القرآن الكريم كانت عنوانا على البلاغة والبراعة، وأكثر ما وقفنا عليه في هذا الباب موجود في شعر أبي إسحاق الإلبيري، الشاعر الزاهد الذي جاء ديوانه بشكل إجمالي في شعر الزهد.

ومن أمثلته قوله [3]:

وَعنَتْ لِقَيّومِ السَّماواتِ العُلا رَبِّ الجَميعِ وقاهِرِ الأَمْلاكِ

(الكامل)

وهو من قوله تعالى: "وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً".[4]

أي خضعت وذلّت الوجوه لله وخاب وخسر من أشرك بالله.

وقولـــــه[5]:

فَهَلْ مِنْ تَوْبَةٍ فِيها نَصُوحٍ تُطَيّرُني وَتَأْخُذَ لِي سَرَاحي

(الوافر)

---

(1) الاقتباس: هو أن يضمّن الكـلام نثرا أو شعرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، لا على أن المقتبس جـزء منهما، ويجوز أن يغيّرالمقتبس في الآية أو الحديث قليلا.

- انظر: وهبة: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب الهمزة، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان – بيروت، 1984م، ص 56.

أو هو أن يأخذ كلمة من آية توشيحا لكلامه، وتزيينا لنظامه، وهو أحسن الوجوه في هذه الصنعة.

- انظر: الزنجاني، عبد الوهاب بن إبراهيم ابن عبد الوهاب الخزرجي: **كتاب معيار النظام في علوم الأشعار**، تحقيق: الدكتور محمد غلي رزق الحفاجي، دا ر المعارف، 1991م، ج2 ص 109.

(2) بهجت، منجد مصطفى: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ص481.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 36.

(4) سورة طه، الآية 111.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 42.

أي توبوا إلى الله توبة صادقة، لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه، وهو من قوله تعالى: "يَا أَيُّها الذِينَ آمنوا تُوبُوا إِلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً".[1]

وقولـــــه:[2]

مَنْ لاَ يُراقِبُ رَبَّهُ وَيَخافُهُ   تَبّتْ يَداهُ وَمَا لَهُ مِنْ والِ

(البسيط)

من قوله تعالى: "تَبّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ".[3] أي أهلكه الله، وقد هلك وعبر عن ذلك باليدين لأن أكثر الأعمال تزاول بهما.

ومن قوله تعالى: "وَإِذا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سَوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ".[4] أي إذا أراد الله بقوم عذابا فلا أحد يستطيع أن يمنعه عنهم غير الله.

وقولـــــه:[5]

وَنادي إِذْ سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرافاً   بِما نَاداهُ ذُو النوُّنِ بْنُ مَتّى

(الوافر)

ذو النون هو يونس –عليه السلام– إذ غضب على قومه مما قاسى منهم، ولم يؤذن له ذلك، وظن أن الله لن يقدر عليه بما قضى عليه من حبسه في بطن الحوت، فنادى في الظلمات، أي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، أنه كان ظالما لنفسه إذ ذهب من بين بني قومه بلا إذن.

---

(1) سورة التحريم، الآية 8.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 42.

(3) سورة المسد الآية 1.

(4) سورة الرعد، الآية 11.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 25.

وهو يشير هنا إلى قوله تعالى: "وذا النُّون إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانْكَ إِنيِّ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ".[1]

وقولـــــه:[2]

وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأباً   لُتْذكَرَ فِي السَّماءِ إِذا ذَكَرْتا

(الوافر)

من قوله تعالى: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون".[3] يطلب الله سبحانه وتعالى من المسلمين ذكر الله بالصلاة والتسبيح وغيره، فإن الله سبحانه مقابل هذا الذكر سيجازيهم الجزاء الحسن، ويطلب الله من المسلمين كذلك شكر الله على نعمته وعدم معصيته.

وقولـــه:[4]

وَما يَعْرِفُ الإِنُسانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ   أَفِي البَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِفَلاةِ

(الطويل)

من قوله تعالى: "وَمَا تَدرِي نَفْس بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ".[5] أي أن الإنسان لا يدري مكان موته، ولكن الله سبحانه وحده هو الذي يعلم ذلك.

وقولـــه:[6]

فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ مِنْ بَنَانِكَ واعْتَبِرْ   إِتْقَانَ صَنْعَتِهِ فَثَمَّ الشَّانُ

(الكامل)

---

(1) سورة الأنبياء، الآية 87.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 25.

(3) سورة البقرة، الآية 152.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 56.

(5) سورة لقمان، الآية 34.

(6) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 61.

من قوله تعالى: "أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهَ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوّيَ بَنَانَهُ".[1] أي إن الله سبحانه وتعالى قادر على بعث الإنسان وإحيائه وجمع عظام أصابعه مع صغرها فكيف بالعظام الكبيرة.

وقولـــــه:[2]

كَأَنمَّا رِينَ عَلَى قَلْبِهِ   فَصَارَ مَحْجُوباً عَنِ اللهِ

(مجزوء البسيط)

من قوله تعالى: "كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلوبِلَهْم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون".[3] أي إن هذا الشيخ الكبير الذي يتصابى، ويفعل فعل الجهال، ولا يأخذ العبرة من الشيب، وضعف جسمه كمن غطي قلبه بالمعاصي، فإنى له أن يتعظ؟، وابتعد بذلك عن رحمة الله.

وقولـــــه:[4]

يا أيها الناس خذوا حذركم   وحصنوا الجنة للنار

(السريع)

أي يا أيها الذيـــن آمــنوا احذروا عدوكـــــم وتيقظوا له، مـــــن قوله تعالـــى: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم".[5]

وقولـــــه:[6]

وَرَاقِبْ إِلهكَ فِي حِزْبِهِ   فَحِزْبُ الإِلهِ هُمُ الغَالِبونْ

(المتقارب)

---

(1) سورة القيامة، الآية 4.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 68.

(3) سورة المطففين، الآية 14.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 91.

(5) سورة النساء، الاية 71.

(6) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 100.

أي أن الله ينصر أتباعه ويعينهم لأنهم من حزبه، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: "وَمن يَتَولَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَالذينَ آمنوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الغَالِبوُنَ".(1)

ب- التأثر بالحديث الشريف:

وقد كان للحديث النبوي الشريف أثر واضح في شعر أبي إسحاق الإلبيري، فيقول(2):

فَلاَ تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ   بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتا؟

(الوافر)

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع اشياء: شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به".(3)

ويقول أبو إسحاق الإلبيري:(4)

ولَمْ تُخْلَقْ لِتَعمرهَا ولِكنْ   لِتَعْبَرَهَا فَجِدَّ لِما خُلِقْتا

(الوافر)

فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاء، فقال: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها".(5)

ويقـــــول الإلبيري(6):

وَلاَ تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ مَجالٌ   وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتا

(الوافر)

---

(1) سورة المائدة، الآية 56.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 21.

(3) الترمذي: **صحيح الترمذي**، ج378/2.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 24.

(5) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، مج6، ط1، ص 241.

(6) الإلبيري، أبو إسحاق، ديوانه، ص25.

وهذا مأخوذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك".[1]

ويقول أبو إسحاق الإلبيري:[2]

وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُون ذَنْبٍ   وَنَاقَشكَ الِحسابَ إذاً هَلَكتَا

(الوافر)

من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن عائشة رضي الله عنها: "من حوسب يوم القيامة عُذِّب، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل "فسوف يحاسب حسابا يسيرا". فقال" ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض، ومن نوقش الحساب يوم القيامة عذِّب".[3]

ويقول الإلبيري[4]:

فَخُذِ الْكفَافَ وَلا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ   فَالفَضْلُ تُسْأَلُ عَنْهُ أَيَّ سُؤالِ

(الكامل)

ومعناه مأخوذ من حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبي –صلى الله عليه وسلم– إذ جاءه رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له" فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقّ لأحد منا في فضل".[5]

ويقول الشاعر الزاهد أبو إسحاق الإلبيري[6]:

---

(1) البيهقي، الإمام أبو بكر، أحمد بن الحسين، تحقيق: أبو هاجر، محمد السعيد، دار الكتب العلميـة: بيـروت – لبنـان، مج7، ط1، 1421هـ–200م، ص 263.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 27.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، ج4/ ص 1204.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص40.

(5) المصدر نفسه، ص80.

(6) المصدر نفسه، ص 44.

وَيَحْمِلُني إِلى الأَجْداثِ صَحْبي   إِلى ضِيقٍ هُنَاكَ أَوِ انْفِساحِ

(الوافر)

وهو يتناسب مع حديث الرسـول صلى الله عليه وسـلم:" القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار".[1]

ويقول الإلبيري[2]:

لِكنْ رَأَيْتُ نَبِيَّنا قَدْ عابَهُ   مِنْ كُلِّ ثَرْثارٍ وَأَشْدَقَ شاعِرِ

(الكامل)

ربما أخذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون" قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون".[3]

ج: التأثر بالقصص القرآني.

لقد اعتمد أبو إسحاق الإلبيري على القصص القرآني، وقد أشار إلى قصة السامري من قوله:[4]

وَخَالِطْهُمْ وَزايِلْهُمْ حِذاراً   وَكُنْ كالسَّامِرِيِّ إِذا لَمَسْتا

(الوافر)

وهذا مأخوذ عن قصة السامري،[5] "كان السامري عظيما في بني إسرائيل ودعاهم إلى الضلالة وعبادة العجل، وجعل الله عقوبة السامري ألا يماسّ الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن

---

(1) الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، مؤسسة المعارف، بيروت، باب خطـاب القبر، ج3، ص49.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 80.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي، أبواب البر والصلة**، ج3، ص 249 – 250.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص29.

(5) المصدر نفسه، ص29.

كان معه إلى يوم القيامة، وكان الله عز وجل شدّد عليه المحنة بأن جعله لا يماس أحدا ولا يمكن من أن يمسه أحد"، وذلك في قوله تعالى: "قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرَ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وكَذَلِكَ سولّتْ لِي نَفْسي، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لكَ فِي الحَيَاةِ أَنْ تَقَوُلَ لاَ مِسَاسَ".[1]

بعد أن عرضنا لسمة التاثر بالمعاني الإسلامية لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، نجد أن سبب هذا التأثر هو أن أبا العتاهية يريد أن يوضح للمستمع، أنه صاحب موهبة فنية يستطيع أن يهتدي بألفاظ من النظم القرآني المعجز، وبحكم دفاعه عن السهولة التي اتهمه بها الشعراء والنقاد وكأنه يريد أن يثبت لهم أن هذه السهولة عصيّة عليكم، ثم إن أبا العتاهية كان في زهدياته يتحول إلى ما يشبه واعظا، وهو في عظاته يستمد، من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووعظ الوعاظ، ثم إنه يريد من هذا الاقتباس أخذ العبر من الأمم السابقة والقرون الخالية، وتصوير الموت وسكراته، ثم لا يفوتنا أن نذكر ظاهرة دوران قدر غير يسير من المعجم القرآني في أشعار العباسيين لتكون دليلا على ثقافة الشاعر في ذلك العصر.

أما أبو إسحاق الإلبيري، فكان التأثر بالمعاني الإسلامية نتيجة إجلال شعراء الزهد في الأندلس لرجالات الإسلام والصحابة الكرام، وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولمبالغتهم في احتقار الدنيا جعلهم أكثر تعلقا بحب الله ورسوله، ولأن أهل الأندلس جعلوا القرآن أصـــــلاً في التعليم، كما أن كثرة الاقتباس مـــن القرآن الكريـــم كانت عنواناً على البلاغة والبراعة.

د- التأثر بالثقافات الأجنبية:

إن المتأمل لأشعار أبي العتاهية الزهدية يجد تأثره بالثقافات الأجنبية ومنها: الفارسية والهندسية واليونانية، ومن معالم تأثره بحكمة الفرس قوله: [2]:

مَنْ ســــــــابَقَ الدَّهْرَ كبا كَبْوَةً	لَمْ يَسْتَغْلْها من خُطى الدَّهْرِ
فَاخْطُ مَعَ الدَّهْر على ما خطا	واجْرِ معَ الدَّهْرِ كما يجْري

(السريع)

(1) سورة طه، الآيات 95 – 97.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص144.

فالاتجاه الذي سلكه أبو العتاهية في وصيته، لا يخرج عن إطار كثير من حكم الفرس وآدابهم، التي تميل إلى اللين والمداهنة، وتؤثر الانحناء في الزعازع والأعاصير، ومن ذلك قول أحد حكمائهم: "أضعت الحيلة أنفع من أقوى الشدة"[(1)] وقول أحدهم في وصية له: "خرّجوا عقولكم بآدب كل زمان واجروا مع أهله على مناهجهم، يقلُّ من يناوئكم وتسلم أعراضكم"[(2)] وقول أنو شروان: "إذا لم يكن ما تريد فأردْ ما يكون"[(3)].

أما فيما يتعلق بالثقافة اليونانية، فإن أبا العتاهية تمثل قول بعض حكماء اليونان عندما وقفوا على قبر الإسكندر، وعبروا عن ذلك المشهد بخلاصة حكمهم الموجزة البليغة، وقد تمثل أبو العتاهية ذلك عندما وقف على قبر صديقه على بن ثابت وقال: [(4)]

يا شَريكي في الخَيْرِ يَرْحمُكَ اللـــ ... ـهُ فنعْمَ الشريكُ الخيْرُ كُنْتا
قَدْ لَعْمري حَكَيْتَ ليَ غُصصَ المَوْ ... تِ وحَرّكْتني لها وَسَكَنْتا

(الخفيف)

ويقول أبو الفرج في الأغاني "وهذه المعاني أخذها كلها من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج للدفن قال بعضهم: "كان الملك بالأمس أهيب منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس"[(5)].

أما المتأمل في أشعار أبي إسحاق الإلبيري فإنه لا يجد هذا التأثر بالثقافات الأجنبية.

---

(1) ابن مسكوبة، أبو علي، أحمد بن محمد: **الحكمة الخالدة**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1952م،ط1، ص85.

(2) المصدر نفسه، ص 9.

(3) المصدر نفسه، ص 9.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 70.

(5) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني،ج4، ص35. انظر: البيان والتبين، ج1، ص407.

(4) الجمل الخبرية والإنشائية:

أولا: الجمل الخبرية:

الخبر كما اصطلح البلاغيون على تسميته هو:" ما يصح ان يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً".(1)

والخبر كما قسّمه البلاغيون بالنظر إلى صاحبه ثلاثة أضرب: ابتدائي، وطلبي وإنكاري.

والابتدائي: هو أن يلقى الخبر خاليا من أدوات التوكيد؛ لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم.

والطلبي: هو ان يلقى الخبر مؤكدا بمؤكد واحد؛ لأن المخاطب متردد في الحكم شاك فيه.

والإنكاري: هو أن يلقى الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد؛ لأن المخاطب منكر لحكم الخبر.(2)

إن من يطالع أشعار أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري يجد أشعارا كثيرة مؤكدة بمختلف أدوات التوكيد؛ وذلك من أجل التأثير والإقناع في نفوس الناس، ونقلهم من جو المتع والملذات إلى جو الزهد، وخاصة في المجتمع العباسي والأندلسي، الذي كان أهله غارقين في متع الدنيا وملذاتها، فنجد أبا العتاهية يؤكد موت الإنسان ولو عمّر ما عمّر نوح عليه السلام، فيقول،:(3) لتَموتَنَّ ولَوْ عُمّرْت مَا عُمّرِّ نوحُ.

(مجزوء الرمل)

فاستخدم اللام الموطئة للقسم ونون التوكيد الثقيلة في قوله "لتموتنّ".

ويقول – أيضاً – في الموت مؤكدا قربه من الإنسان وأنه يطارد الإنسان، في كل مكان يقول:(4)

كَأَنهُ قَدْ سَــــــقانَا بِكَأْسِــــهِ حَيْثُ كُنّا

(المجتث)

فقد استخدم "قد" ليؤكد المعنى.

---

(1) عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**، دار النهضة العربية – بيروت، 1405هـ–1985م، ص 46.

(2) المصدر نفسه، ص 52 – 53.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 98.

(4) المصدر نفسه، ص 396.

ويقول أبو العتاهية في زوال الدنيا مؤكدا على تقلبها وعدم استقرارها:(1)

وَإنّكَ يا زَمانُ لَذو صُروفٍ   وَإنّكَ يا زَمانُ لَذو انْقِلابِ

(الوافر)

فهو يؤكد صدر البيت وعجزه بمؤكدين هما: "إنّ"، و"اللام المزحلقة".

وقال أبو العتاهية مؤكدا زوال الدنيا وفنائها:(2)

سَتَخْلُقُ جِدَّةٌ وَتجودُ حالُ   وَعِنْدَ الحَقِّ تُخْتَبَرُ الرِّجالُ

(الوافر)

فهو يؤكد زوال الدنيا بحرف "السين".

أما أبو إسحاق الإلبيري، فقال مؤكدا أهمية العلم، والتحذير من العجز والكسل والجهل:(3)

سَتَجني مِنْ ثِمارِ العَجْزِ جَهْلاً   وَتصْغَرُ في العُيونِ إذا كَبرْتا
لَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ ندمٍ عَلَيهْا   وَما تُغْني النَّدامَةُ إنْ نَدِمْتا

(الوافر)

فهو يؤكد في البيت الأول "بالسين"، وفي البيت الثاني يؤكد"باللام الموطئة للقسم" مع "سوف". ونراه يؤكد بأن الموت حق وأن الدنيا معبر للآخرة، فيقول:(4)

كَأَنيِّ بِنَفْسي وَهيَ فِي السَّكَراتِ   تُعالجُ أَنْ تَرْقى إلى اللَّهواتِ
وَقَدْ زُمّ رَحْلي واسْتَقَلَّتْ رِكَائِبي   وَقَدْ آَذَنَتْني بالرَّحيلِ حُداتي

(الطويل)

فهو يؤكد البيت الأول باستخدام "أنّ" وفي صدر البيت الثاني وعجزه استخدم الحرف "قد".

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص33.
(2) المصدر نفسه، ص 309.
(3) المصدر نفسه، ص 22.
(4)المصدر نفسه، ص 52.

ثانيا: الجمل الإنشائية.

لقد كثر استخدام الجمل الإنشائية في شعر أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، ولا سيما الجمل الطلبية. والإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو عدة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء.[1]

1- الأمر: والأمر يخرج إلى معان كثيرة، ولكن في أشعار الزهد، فكثيرا ما يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، فيقول أبو العتاهية:[2]

فَكُنْ مُسْتَعَّداً لِداعِي المَنونِ ⠀⠀⠀ فَكُلُّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ

(المتقارب)

فالأمر هنا يخرج إلى معنى النصح والإرشاد وبالاستعداد للموت؛ لأنه قريب.

وقال أبو العتاهية يعظ الرشيد:[3]

وَاعْلَمْ بِأنَّ سِهامَ المَوْتِ قاصِدةٌ ⠀⠀⠀ لِكُلِّ مُدَّرَّعٍ مِنّا وَمُتَرَّسِ

(البسيط)

فالأمر هنا خرج لمعنى الوعظ.

وقال مخيرّاً النفس الإنسانية في إطالة العمر أو تقصيره:[4]

يا نَفْسُ لا بُدّ مِنْ فَناءٍ ⠀⠀⠀ فَقَصِّري العُمْرَ أَوْ أَطِيلي

(المنسرح)

أما أبو إسحاق الإلبيري فقال يرجو إخوته بعد موته بأن يذكروه بالخير وأن يتجاوزوا عن هفواته:[5]

---

(1) عبد الجليل، محمد بدري: **تصوير المقام في البلاغة العربية**، دار المعرفة الجامعية-مصر، 2003م، ص 66.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 681.

(3) المصدر نفسه، ص 194.

(4) المصدر نفسه، ص 301.

(5) المصدر نفسه، ص 56.

وَقُولوا جَميلاً إِنْ عَلِمْتُمْ خِلافَهُ   وأَغْضُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ هَفَواتِي

(الطويل)

ويطلب الإلبيري من الإنسان المغتر بالله أن يلجأ إلى الله ويدعوه ويسأله من فضله فيقول:[1]

وَلُذْ بِهِ واسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ   فَقَدْ نَجَا مَنَ لاذَ بِاللهِ

(السريع)

2- النهي: لقد خرج النهي في شعر أبي العتاهية إلى النصح والوعظ، كما في قوله يعظ الرشيد:[2]

لا تأْمَنِ المَوْتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ   وَإِنْ تَمنَّعْتَ بالحُجاّبِ والحرَسِ

(البسيط)

وقال محذرا من سؤال الإنسان لغيره من مال أو أي شيء آخر:[3]

لاَ تَسْأَلنَّ الَمَرْءَ ذَاتَ يَدَيْهِ   فَلْيَحْقَرِنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إِليهِ

(الكامل)

وقال في معنى الدعاء والاعتراف بالذنب:[4]

إِلهي لا تُعذِّبْني فَإِنيِّ   مُقِرٌّ بِالّذي قَدْ كانْ مِنِيِّ

(الوافر)

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد خرج النهي عنده لمعنى النصح والوعظ فقال:[5]

وَلا تَقُلْ الصِّبا فِيهِ مَجَالٌ   وَفَكّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتا

(الوافر)

وقال محذرا الشيخ كبير السن من نذير الشيب:[6]

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 65.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 194.

(3) المصدر نفسه، ص 710.

(4)المصدر نفسه، ص 375.

(5) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 25.

(6) المصدر نفسه، ص 94.

وَلا تَحْقِرْ بِنَذْرِ الشَّيْبِ واعْلَمْ   بِأَنَّ القَطْرَ يَبْعَثُ بِالسُّيولِ

(الوافر)

3- النداء: لقد أكثر أبو العتاهية وأبو إسحاق الإلبيري من أسلوب النداء؛ وذلك من أجل إثارة السامع، وتنبيهه إلى أمور كثيرة في حياته، ثم اعتمادها على اسلوب الحوار.

فيقول أبو العتاهية معترفا ومقرا بالموت، وأنه حق على الجميع:(1)

أَلا يَا مَوْتُ لَمْ أَرَ مِنْكَ بُدٌّ   أَتَيْتَ فَلا تَحِيفُ وَلا تُحابِي

(الوافر)

وقال في الاستعداد للقبر والنصح والوعظ بالتزود بالخير لذلك المسكن:(2)

يَا ساكِنَ القَبْرِ عَنْ قَليلٍ   مَاذَا تَزَوَّدْتَ لِلرَّحيلِ

(المنسرح)

أما أبو إسحاق الإلبيري فقال محذرا الإنسان من عمارة الدنيا لأنها زائلة:(3)

يَا عَامِرَ الدَّنيا لِيَسْكُنَها وَمَا   هِيَ بالّتِي يَبْقَى بِها سُكَّانُ

(الكامل)

وقال محذرا الإنسان المغتر بالله بأن يلجأ إلى الله فلا مفرّ من الرجوع إليه:(4)

يَا أَيُّها المُغْتَرُّ باللهِ   فِرْ مِنَ اللهِ إِلى اللهِ

(السريع)

4- الاستفهام: كثيرا ما يستخدم الشعراء الاستفهام في أشعارهم وخاصة في أشعار الزهد وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، وأدوات الاستفهام اثنتا عشرة، وهي: "الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنّى، ومتى، وإيّان".(5)

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 33.

(2) المصدر نفسه، ص 301.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 119.

(4) المصدر نفسه، ص 65.

(5) السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر، محمد بن علي: **مفتاح العلوم**،ا، تحقيق: الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1983م،ج2، ص 308.

قال أبو العتاهية منكرا على الناس انشغالهم بالدنيا:[1]

لِمَنْ نبْني وَنَحْنُ إِلى تُرابٍ نَصِيرُ كَما خُلِقْنا مِنْ تُرابِ

(الوافر)

وقال مهاجما الأغنياء ومتحاملا عليهم، ومحذرا لهم من الخـداع ومـن جمـع الـدنيا؛ لأنهـم سيتركونها وراءهم:[2]

ألاَ أيُّهـــا المُخَـــادِعُ نَفْسَـــهُ رُوَيْـدَكَ أَتـدْري مَـنْ أَراكَ تُخـادِعُ

وَيـا جَـامِعَ الـدُّنْيا لِغَيْـرِ بَلاغَـةٍ سَـتَتْرُكُها فـانْظُرْ لِمَـنْ أَنْـتَ جـامِعُ

(الطويل)

وقال في ذم جمع المال ومتعجبا من جمعه، هل هو لنفسه أم لأهله والولد:[3]

لِمَنِ المَالُ الَّذِي أَجْمَعُهُ أَلِنَفْسِي أَمْ لأِهْلي وَالوَلَدْ

(الرمل)

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد استخدم الاستفهام متعجبا من الإنسان الذي يفرح في الدنيا بانقضـاء عمره وهو لا يدري أن هذا يعجل في أجله:[4]

أَأُسَرُّ فِي الدُّنْيا بِكُلِّ زِيادَةٍ وَزِيادَتي فِيها هِيَ النُقصانُ

(الكامل)

وقال مقبّحا الشيخ الذي لا يعتبر من ضعف جسمه وقوته:[5]

أنّى يقاتل وهو مغلول الشبا كابي الجواد إذا استقل تأوّها

(الكامل)

لقد خرج الأمر والاستفهام والنداء عن معناه الأصلي لإفادة معان أخرى يحتملها السياق.

---

(1) المصدر نفسه، ص 33.

(2) المصدر نفسه، ص 216.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 180.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 119.

(5) المصدر نفسه، ص 47.

(5) الشعبية الشعرية:

"إن أثر النزعة الشعبية في الشعر العباسي أدى إلى الميل إلى السهولة في الأداء، على نحو يقترب كثيراً من لغة العامة في تركيبها" (1).

وإننا نلمس الشعبية في شعر أبي العتاهية، وهذا مما قوى شاعرية الرجل لوفرة المادة التي ينسج حولها شعره، فهو عندما يرى غلاء الأسعار الفاحش قد عمّ المجتمع البغدادي، ويلمس الشكوى والتذمر من الناس، فإنه لم يجد بدا من حسن التعبير عن ذلك، وينصّب نفسه محاميا ومدافعا عنهم، ومطالبا أولي الأمر بمراجعة الأمر، والنظر بعين العطف إلى حالة الناس، والتدخل لحل هذا الإشكال الطارئ، تماما كما يحدث في مجتمعاتنا الحالية، فقد رفع شكوى إلى أحد خلفاء العصر العباسي في زمانه، مترجما بذلك ما يعتمل في نفوس الناس(2) بقوله:(3)

إنيِّ أَرىَ الأَسْعَارَ أَسْا	عارَ الرَّعيَّةِ غَاليــــه
وَأَرَىَ المَكَاسِبَ نَزْرَةً	وَأَرَىَ الضَّرُورَةَ فَاشِيه

(مجزوء الكامل)

إن أبا العتاهية يُعتبر شاعرا شعبيا في موضوع شعره وأسلوبه، فالزهد والتذكير بالقيامة إنما هو موضوع يمسّ عواطف الشعب قبل كل شيء(4).

وشعبية أبي العتاهية تظهر في اللفظ والمعنى جيدا، وهذا مما زاد في قوة شاعريته وفي سرعة انتشار شعره وحفظه، ثم وصول أكبر قدر من شعره سليما إلينا.

وكل من يتأمل في ديوان أبي العتاهية يدرك أنه في كثير من الأحيان لا يستمع إلى شاعر، بل إلى رجل يتحدث بلغة العامة، فمثلاً عندما يقال في التعبير العامي: "حد الله بيني وبيك"، نجد أبا العتاهية يحاول أن يسجل هذا المعنى في شعره فيقول: (5)

---

(1) إسماعيل، عز الدين: في الشعر العباسي الرؤية والفن، ص433.

(2) نوفل، محمد محمود قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 184.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 439 – 440.

(4) هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ص 188.

(5) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 505.

اللهُ بَيْني وَبَيْنَ مَوْلاتِي أَبْدَتْ لِيَ الصَّدَّ والمَلاَلاتِ

(المنسرح)

ونقول أيضا عن الشيء الذي لا قيمة له "ما يسوى"، ويقول أبو العاتهية:[1]

وَلَرُبَّما سُئِلَ البخَيـــلُ الشَّيْءَ لا يَسْوَى فَتِيلا

(مجزوء الكامل)

ولو تحرى الفصاحة لقال: لا يساوي.

وكثيرا ما كان أبو العتاهية يقول الشعر وكأنه يتكلم، وقد حكى بعض أصحابه أن رجلا جاء فهمس في أذنه بشيء، فبكى، وحين سأله الحاضرون عن سبب بكائه قال وهــو لا يقــول شعرا: مات والله سعيد بن وهب، رحم الله سعيد بن وهب! يا أبا عثمان أبكيت عيني! يــا أبــا عثمان أوجعت قلبي!

فعجب الناس من طبعه، "وأنه تحدث فكان حديثه شعرا موزونا"، ووضع هذا الكلام في صورة الكتابة الشعرية هكذا:[2]

مَاتَ واللهِ سَعيدُ بْنُ وَهْبِ[3] رَحِمَ اللهُ سَعَــيدَ بْنَ وَهْبِ
يَا أَبا عُثْمانَ أَبْكَيْتَ عَيْني يَا أَبا عُثْمانَ أَوْجَعْتَ قَلبِي

(المديد)

فقوله: عبارة فصيحة "اوجعت قلبي"، قريب من "حاجة توجع القلب". كمــا قــال عنــه الخطيب البغدادي:" وهو أحد من سار قوله، وانتشر شعره، وشاع ذكره، وإن أحدا لم يجتمع لــه ديوانه بكماله لعظمه".[4]

---

(1) المصدر نفسه، ص 313.

(2)المصدر نفسه، ص 495.

(3) ســعيد بن وهب أبو عثمان: ولد ونشأ بالبصرة، ثم صار إلى بغداد فأقام بها، وكان شاعرا مطبوعا، كــان مشــغوفا بالغلمان والشراب، ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فرثاه.

- انظر: المصدر نفسه، ص 495.

(4) الخطيب البغدادي، للحافظ أبو بكر أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، ج6، ص 250.

"أما شعر أبي إسحاق الإلبيري فقد كان صدى لما يتردد في نفوس الشعب الأندلسي من آمال وآلام".[1] فقد كان المجتمع الأندلسي في فترة ملوك الطوائف مجتمعا مترفا، أسرف فيه الحكام في بناء القصور ومالوا إلى المجون واللهو، وبجانب هذه الطبقة المترفة الغنية عاشت طبقة أخرى، مكافحة مثقلة بالضرائب الباهظة، فاستطاع أبو إسحاق الإلبيري بشعره الزهدي أن يؤثر في الملوك والخلفاء ويخوفهم، ويحذرهم الموت وزوال الدنيا والحياة، وذم الغنى، والعمل لما بعد الموت، والاستعداد للحساب للفوز بالجنة والنجاة من النار.

وقد رزق الإلبيري حظا في نفوس العامة بقصائده التي تقف بين فنّي الشعر والنثر، فهو يكرر اسم الله تعالى في إحدى قصائده وفي قصيدة أخرى يكرر لفظ النار.

ولأبي إسحاق الإلبيري عدة قصائد تدل على مشاركته في الحياة الاجتماعية، والدليل على ذلك قصيدته التي قالها في خراب إلبيرة، فيقول:[2]

وَمَا كَانَ فِيها غَيْرُ بُشْرى وَأَنْعُمُ   فَلَمْ يَبْقَ فِيها الآنَ إِلاَّ المَصائِبُ

(الطويل)

ومما زاد في شعبيته أنك لا تجد حادي جنازة، ولا مذكّر مأدبة، ولا واعظا، إلا وهو مكثر من شعره.

وقد اهتم أبو إسحاق الإلبيري بأحوال بلده وأمته، وكان له رأي في ظروفها السياسية والاجتماعية، فقصيدته التي ألهبت بربر صنهاجة ضد ابن النغريلة اليهودي كانت ذات طابع شعبي، وأفكارها بسيطة مستمدة من الدين، واستخدم فيها وقائع محددة مستمدة من حياة البربر العادية.

فالشعبية ظاهرة في شعر أبي العتاهية وابي إسحاق الإلبيري، ونلحظها من خلال السهولة اللفظية، والفكرة البسيطة، والمعاني المطروحة في طرقات العامة، وكثيرا ما كان الشاعران يجنحان إلى الركاكة والاقتراب من لغة العامة.

---

(1) شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، ص 57.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 73.

كما أن وفرة شعرهما وكثرة الأغراض التي قيل فيها تدل على شاعريتهما وقبولهما من قبل المجتمع الذي يعيشان فيه؛ لأن غرض الزهد هو الموضوع الذي يمسّ عواطف الشعب ويذكّر بالقيامة والموت والحساب والعقاب والجنة والنار.

(6) الطباق والمقابلة:

الطباق: هو الجمع بين الشيء ومقابله، أو الشيء وضده، وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين.[1] ويعرف الطباق على أنه الجمع بين الضدين، أو المعنيين المتقابلين في الجملة، وهما إما اسمان أو فعلان أو حرفان، وإما نوعان مختلفان، فإن اختلف الضدان إيجابا وسلبا كان طباق سلب، وإن لم يختلفا إيجابا وسلبا كان طباق إيجاب.[2]

وهو من الوسائل الفنية الخصبة التي تقيم علاقات جديدة بين مفردات اللغة، وتولد عنها نوع من المباغتة للمتلقي، فيحقق بذلك نوعا من التوازن الضروري للبقاء.[3]

وكثيرا ما يلجأ الشاعر إلى التضاد بوصفه نشاطا لاشعوريا يعكس به واقعه ونفسيته المضطربة القلقة، فيعبر عن عالم الثنائيات والمتناقضات الذي يعيشه الشاعر، والطباق مستخدم بكثرة في أشعار أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر أبي العتاهية:[4]

أَنْساكَ مَحْياكَ المَماتا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيا الثَّباتا

(مجزوء الكامل)

---

(1) عباس، فضل حسن: **البلاغة: فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع**، دار الفرقان، 1419هـ-1998م، ط3، ص 275.
- انظر: الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، الدار السودانية، الخرطوم، 1970م، ط2، ج2، ص 664 - 677.

(2) وهبة، مجدي، وكامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب**، باب الطاء، ص 232.

(3) مصطفى، محمود راشد يوسف: **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث (رسالة ماجستير غير منشورة)**،جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 1425هـ-2004م، ص 91.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 74.

فهو يستخدم الطباق في كلمتي " محياك، مماتا" لتخويف الإنسان وزجره ولكي يزلــزل قلوب العصاة، فالموت هو المصير المحتوم للإنسان.

ولكي يثير الخوف أكثر يؤكد على معنى الموت، وأن الإنسان إذا أمسى فقد لا ينتظــر الصباح، فيقول في ذلك:[1]

وما أدري إذا أمسيت حيا لعلي لا أعيش إلى الصباح

(الوافر)

فهو يستخدم الطباق بين كلمتي "أمسيت، الصباح"، فجاء بالطباق هنــا لتقويــة الفكــرة والمعنى بشأن الموت، وجعلها أكثر توضيحا ودلالة، وأشد قرعا للآذان والقلوب.

ويحتقر أبو العتاهية الدنيا ويعظّم الآخرة، وأن الدنيا زائلة وفانية، ولكن هناك أمورا في هذه الدنيا تساعد في القطيعة والوصال بين الناس، فيقول أبو العتاهية:[2]

ولِلدُّنْيا وَدَائِعُ فِي قُلوبٍ بِها جَرَتِ القَطِيعَةُ والوِصالُ

(الوافر)

فاستخدم الطباق بين كلمتي "القطيعة، الوصال" ليبين أثر الدنيا في قلوب الناس، فــبعض الناس يضع الدنيا في قلبه، فتراها تؤثر في علاقاته بين الناس من قطيعة ووصال، ومنهم مــن يضعها في يده فلا تؤثر في علاقته مع غيره.

لقد استخدم أبو العتاهية الطباق في جميع أغراض الزهد لديه، فنراه حتى فــي حكمــه وأمثاله يستخدم ذلك، ومن الحكمة البالغة في وجوب الصمت والكلام في حينه قوله:[3]

والصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالفَتى مِنْ مَنْطِقٍ في غَيْرِ حِينِهِ

(مجزوء الكامل)

(1) المصدر نفسه، ص 99.

(2) المصدر نفسه، ص 309.

(3) المصدر نفسه، ص 403.

فاستخدم الطباق بين كلمتي "الصمت، منطق"، ليتناسب مع معنى الحكمة، وهي أن الصمت أفضل من الكلام في غير وقته.

ويقول أيضاً:[1]

وَالخَيْرُ ما لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الـــ ـــمَعْرُوفُ والشَّــــــرُّ هُو المُنْكَرُ

(السريع)

فاستخدم أبو العتاهية الطباق في كلمتي "الخير، الشر- المعروف، المنكر"، ليضفي على هذه الحكمة شيئا من القداسة والمسحة الدينية؛ وللتناسب مع موضوع الزهد ذي الصبغة الدينية. ونراه في أمثاله يودع كل المعاني الشعرية المؤثرة في النفس الإنسانية، والتي ترد العصاة والغواة عن طريق الغي والضلال إلى طريق الهداية، فيقول:[2]

إِنّ الفَسَادَ ضِدّهُ الصَّلاحُ يا رُبَّ جِدٍّ جَرّهُ المِزاحُ

(الكامل)

فاستخدم الطباق بين الكلمات "الفساد، الصلاح، جدّ، مزاح"، وبضدها تتمايز الأشياء، فهو هنا يعكس واقعه المرير، حيث الترف والبذخ والفساد واللهو، ويعكس نفسيته المضطربة القلقة على المجتمع الذي يعيش فيه، فهو يريد من هذا التضاد أن يصلح مجتمعه ويجنبه المهالك.

ويقول أبو العتاهية:[3]

فَما يَعْرِفُ العَطْشَانَ مَنْ طَالَ رِيُّهُ وَما يَعْرِفُ الشَّبْعانَ مَنْ هُوَ جائِعُ

(الطويل)

فاستخدم الطباق في الكلمات "العطشان، طال ريّه- الشبعان، جائع"، لشدة تحامله على الأغنياء وعطفه على الفقراء؛ لأن هناك تناقضات في المجتمع الذي يعيشه أبو العتاهية، فهناك المترف الغني، وهناك الطبقة الكادحة الفقيرة، فهو هنا يهاجم الأغنياء بصراحة وعنف.

---

(1) المصدر نفسه،ص 151.

(2) المصدر نفسه، ص 659.

- انظر: المبرّد، محمد بن يزيد: **الكامل**، مج3، ص 1444.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص217.

أما أبو إسحاق الإلبيري فإن شعره الزهدي قد حفل بالمقابلة والطباق في معظم الموضوعات التي تناولها، فيقول في التوبة ويقرّع من لا يحسن التوبة:(1)

تَتوبُ مِنَ الذُّنوبِ إذا مَرِضْتا   وَتَرْجِعُ للذُّنوبِ إذا بَرِيتا

(الوافر)

فاستخدم المقابلة في كلمات "تتوب، ترجع- مرضت، برئت"، وهو بذلك يزاوج بين المعاني المتنافرة، ويوحّد واقع شقّي المقابلة، وهو يستخدم ذلك للدلالة على الشمولية، وليتناسب مع الغرض، وهو التوبة عن الذنوب.

ومن ذلك قوله:

وَتُفْقَدُ إنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ باقٍ   وُتوجَدُ إنْ عَلِمْتَ وَقَدْ فُقِدْتا

(الوافر)

فقد استخدم المقابلة في الكلمات "تفقد، توجد"، "جهلت، علمت"، "باق، فقدت"، ونلاحظ أن هذا البيت من الشعر يزخر بالأضداد، وما ذلك إلا لشدة حرص الشاعر على الاهتمام بالعلم، وهو بذلك يعقد مزاوجة بين الشطر الأول والشطر الثاني، وهو يريد من ذلك حشد الحجج والبراهين والأدلة المنطقية لولده وللناس كافة على تفضيل العلم على الجهل، وهذه الحجج والبراهين تجعل الكلام أكثر وقعا في النفس وأبلغ في التأثير.

ومن قوله زاجرا ولده عن التعلق بالدنيا:(2)

وَتَعْرى إنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِياباً   وَتُكْسى إنْ ملابِسَها خَلَعْتا

(الوافر)

فقد استخدم المقابلة في الكلمات "تكسى، تعرى"، "لبست، خلعت"، على عكس ما هو معروف بين الناس، فالعري في لبس الثياب والكسوة في خلع الثياب، وهو بهذا التناقض يريد أن يثبت لولده وللآخرين عدم التعلق بهذه الدنيا، لأن مشاهدها متقلبة، ولا تقرّ على قرار، فغنيها

(1) الإلبيري، أبو اسحاق، ديوانه، ص22..

(2) المصدر نفسه، ص 24.

فقير وصحيحها سقيم، وعزيزها ذليل، فهي سجن المؤمن وجنة الكافر، وهــذا الطبــاق جــاء ليتناسب مع الوضع العام للناس في هذه الدنيا.

الــــشيب نذير الموت ويذكّر بقربه، ومــــشهده المريع، فيقول أبو إسحاق الإلبيـــري عن نذير الشيب:[1]

وَبُدِّلْتُ التَّثَاقُلَ مِنْ نَشاطي   وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بالشُّحوبِ

(الوافر)

فقد استخدم الطباق في كلمات "التثاقل، نشاط"، "النضارة، الشحوب"، وذلك مــن أجــل وضع حد لهذا الإنسان المتجبر فوق هذه الأرض، هذا الإنسان الذي يغرق في بحــر الملــذات والمجون، قد جاءه النذير وهو الشيب الذي غزا مفرقيه، فقد بدّل حياته بالتثاقل بعــد النشــاط، وبالشحوب بعد النضارة، فهذه الكلمات المتضادة جاءت لتتناسب مع الفكرة العامة والمعنى العام للأبيات.

نلاحظ كثرة الطباق والمقابلة في أشعار أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، وذلك بسبب التناقضات التي كان يعيشها الإنسان في المجتمع العباسي والمجتمع الأندلسي، فالترف والبــذخ بجانب الكدّ والحرمان، والغنى والثراء بجانب الفقر وشظف العيش، والقصور واللهو والمجــون بجانب الزهد والتقشف.

(7) الترادف:

الترادف: "هو أن يكون للمعنى الواحد أكثر من لفظ يعبر به عنه، كالســيف والحســام والصيقل، ويرى بعض العلماء ان لا ترادف في العربية، بل للمعنى لفظ واحد، والباقي صــفات له جرت مجراه لكثرة الاستعمال، غير أن الترادف موجود فعلا، يفسره في أغلب الظن تــداخل اللهجات العربية، فبعض القبائل تسمّي بأسماء معينة، وبعضها تسمّي الأشــياء نفســها بأســماء أخرى، وتداخلت اللهجات، وكثرت مرادفات المعنى الواحد، ويحصل عكس هــذا فــي اللغــة

---

(1) المصدر نفسه، ص 31.

العربيــــة عندما يكــون للفظة الواحدة مــعنيان أو أكثر، كالعين، التي هي نبع الماء، وهـــي عين الإنسان يرى بها".[1]

وقد زخر شعر أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري بالترادف، من ذلك قول أبي العتاهية:[2]

وإنَّكَ يا زَمَانُ لَذُو صُروفٍ   وَإِنَّكَ يا زَمانُ لَذو انْقِلابِ

(الوافر)

فاستخدم الترادف في "صروف، انقلاب"، فالكلمتان تحملان نفس المعنى، وهو بذلك يؤكد المعنى، أي أن هذا الزمن لا يثبت على حال، وأن هذه الدنيا زائلة لا محالة، ومما يؤكـد ذلـك أيضا هو استخدام أداة التوكيد ثم التكرار في صدر البيت وعجزه.

ويقول أبو العتاهية في أهل القبور:[3]

أَهْلَ القُبـــــورِ أَحِبَّتي   بَــعْدَ الجَذالَةِ والسُّرورِ
بَعْدَ الغَضارَةِ والنَّضَــا   رَةِ والتَّنَعُّمِ والحُبُـــورِ

(مجزوء الكامل)

فالكلمات المترادفة "الجذالة والسرور" بتفس المعنى، وكــذلك "الغضـــارة والنضـــارة"، و"التنعم والحبور" تحمل معنى واحدا.

فاســـتخدم الشـــاعر هذه الكلمات المترادفة ليبين للناس حال أهل القبور وهم تحــت الثرى والتراب. وكيف كانوا في الدنيا فرحين مسرورين، فيريد من هذا الحشد مـــن التـــرادف، التأثير في نفوس الناس الذين جهلوا هذا المصير وهذا المكان المظلم حيث لا أنيس ولا ونيس.

---

(1) وافي، علي عبد الواحد: **فقه اللغة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشــــر، الفجالـــة – القـــاهرة، ط7، 1393هـــ – 1973مـــ، ص 172 – 175.

– انظر: إسبر، محمد سعيد وزميله: **معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**، باب التاء، دار العـــودة، ط1، بيروت، 1981م، ص 279.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 33.

(3) المصدر نفسه، ص 142.

وأبو العتاهية يدعو إلى الاكتفاء من الدنيا بالقليل، ويذم الحرص والجشع والطمع والإقبال على الدنيا والاستسلام للشهوات، فيقول:[(1)]

فَتَجَنَّبِ الشَّهَواتِ واحْذَرْ أَنْ تَكونَ لَها قَتيلا

(مجزوء الكامل)

فاستخدم الترادف في "تجنّب، احذر"؛ لأن المجتمع الذي عاش فيه الشاعر كان غارقا في الشهوات؛ ولذا فقد استخدم هذا الترادف ليؤكد ذلك؛ وليحذّر الناس من هذا الانغماس بهذه الشهوات التي تورث الحزن الطويل، ثم مما يزيد قبح هذه الشهوات، أن من ينغمس فيها فهو كالقتيل الذي لا حراك له.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد أكثر من الترادف في شعره، وذلك لأن جو الأندلس كان غارقا في الترف واللهو والبعد عن الدين والتمسك بالدنيا ومتاعها، فالترادف في مثل ذلك يفيد في تأكيد المعنى، وحشد المترادفات يفيد في التأثير على المتلقي وردعه، فيقول أبو إسحاق الإلبيري ينصح ولده ويحذره من أصحابه وأبناء جنسه:[(2)]

وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ واخْشَ مِنْهُمْ كَما تَخْشَى الضَّراغِمَ والسَّبَنتَى
وخَالِطْهُمْ وزَايِلْهُمْ حِذاراً وكُنْ كالسَّامِرِيِّ إذا لَمَسْتا

(الوافر)

فاستخدم الترادف في "خف، اخش"، "خالطهم، زايل"، من أجل تحذير ولده من عداوة الناس له، فهم كالأسود والنمور في شراستهم وعدوانهم، لا شفقة ولا رحمة، ثم إذا اضطر إلى مخالطتهم فليكن حذرا ولا يقترب منهم كثيرا، وقد استخدم هذا الترادف؛ ليتناسب مع الموقف والمجتمع الذي يعيش فيه ولده، فلا يتركه لهذه الأسود تنهش لحمه وتدمر مستقبله.

يقول أبو إسحاق الإلبيري مذكّرا الإنسان بضعفه وقرب أجله، ومحذرا إياه من الانغماس في الملذات:[(3)]

---

(1)المصدر نفسه، ص 312.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 29.

(3) المصدر نفسه، ص 31.

كذاكَ الشَّمْسُ يَعْلوها اصْفِرارٌ		إِذا جَنَحَتْ ومَالَتْ للْغُروبِ

(الوافر)

فاستخدم الشاعر الترادف في "جنحت، مالت"، ليدل على ضعف أشعة الشمس الساطعة؛ فيصبح لونها أصفر لا تاثير له، والجنوح والميل هو بنفس المعنى، ويفيد التحول والتغير والضعف بعد القوة، فهو يريد من هذا الترادف التذكير بالموت، والاستعداد له بعد ظهور علامات الضعف وشحوب اللون.

ويقول في توبة الإنسان المقصر في جنب الله، والغافل عن طاعته وأوامره، بعد أن عاد إلى رشده وصوابه:[1]

فإِنْ تُعاقِبْ فَأَهْلٌ لِلْعِقابِ وَإِنْ		تَغْفِرْ فَعَفْوُكَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظرُ

(البسيط)

فاستخدم الترادف في "مأمول، منتظر"، فالتأمل والانتظار بنفس المعنى للدلالة على تأكيد التوبة، وأن العفو مأمول ومنتظر من الله سبحانه الذي لا يظلم مثقال ذرة، فهو يخشى عقاب الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، فهو يدعو الله خوفا وطمعا، خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، والفوز بجنته. وله في ذم حياة الملوك قوله:[2]

أيْنَ المُلوكُ وأَيْنَ ما جَمَعوا ومَا		ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهبِ المَتاعِ الذَّاهبِ

(الكامل)

فاستخدم الترادف في "جمعوا، ذخروا"، ليبين للناس أن حياة الملوك في الدنيا تذهب هدرا، لا تنفعهم قصورهم ولا أموالهم ولا مناصبهم، فهم يخلّفون وراءهم كل ذلك، ويوضعون في هذه الحفر الضيقة، رجعوا من الدنيا بالقطن والكفن، فهنا استخدم الترادف للتخويف ولتحقير حياة الملوك مقارنة مع حياتهم في القبور. وهكذا نجد كثرة الترادف في شعر أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري؛ وذلك من أجل تأكيد المعنى؛ ولحشد الأدلة والحجج والبراهين، وخاصة في شعر الزهد.

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 117.

(2) المصدر نفسه، ص 115.

الصورة الفنية:

(أ) التشبيه المفرد.

(ب) التشبيه التمثيلي والضمني.

(ج) الاستعارة والمجاز المرسل والكناية.

أولا: الاستعارة.

ثانيا: المجاز المرسل.

ثالثا: الكناية.

الصورة الفنية:

الصورة الفنية هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته ويتفهمهـا؛ كـي يمنحها المعنى والنظام، والشاعر يتوسد بالصورة الفنية؛ ليعبّر بها عـن حـالات لا يمكـن أن يتفهمها أو يجسّدها بدون الصورة، وهي ليست شيئا ثانويا يمكن الاستغناء عنه، بل هي وسـيلة حتمية للتعبير والإدراك بشكل تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله.

والأنواع البلاغية للصورة الفنية عديدة ومتنوعة، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية.

فالتشبيه: "هو عقد مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صـفة أو حالـة، او مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشاعر حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة".[1]

وقد أكثر أبو العتاهية في شعره من التشبيه، وخاصة في تصويره للدنيا والموت فمن ذلك.

أ. التشبيه المفرد.

"وهو ما يكون فيه الوصف المشترك محققا في شيء واحد"[2]، "ويكثـر فـي صـورة المضاف والمضاف إليه، وهو ما يسمى بالبليغ، حيث تحذف فيه أداة التشبيه ويحذف فيه وجـه الشبه، ولا يتضمن إلا الطرفين فقط، المشبّه والمشبّه به".[3]

يقـــول أبو العتاهية:[4]

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**، تحقيق: هـ. ريتر، دار المسيرة، 1403هـ - 1983م، ص 88.

(2) أبو موسى، محمد: **التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان**، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1400هـ-1980م، ص26.

(3) عطية، مختار: **علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع**، دراسة بلاغية، دار الوفاء لـدنيا الطباعـة والنشـر، الإسكندرية، 2004م،
ص 43.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص381.

النَّاسُ فِي غَفَلاتِهِمْ وَرَحَى المَنِيِّةِ تَطْحَنُ

(مجزوء الكامل)

وهو هنا يشبه المنية بالرحى، فالمعنى مشترك بين المشبّه والمشبّه به، فكلاهما يحملان مدلول القتل والطحن، وهذا يعكس صورة نفسية لدى الشاعر، وهي أن الموت يأخذ من البشـــر الكثير وهم غافلون عن ذلك، ولكن الموت لا يغفل، فالموت في ذهن الشاعر كالرحى التي تدور دائما دون توقف، فمن وقع تحت هذه الرحى فإنها تقتله وتطحنه، ومن كان بعيدا فهو ينجو مـــن ذلك الموت.

ويقـــــول أبو العتاهية:[(1)]

المَوْتُ بابٌ وَكُلُّ النَّاسِ داخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الباب ما الدَّارُ؟

(البسيط)

فهو يشبه الموت بباب، وهذا الباب أن كل إنسان سوف يدخله، فهو جاء بالتشبيه لـــردع الناس، وتخويفهم من الموت، ولكنه أتبع هذا التشبيه بما يخيف أكثر، وهو الاستفهام: ماذا بعـــد هذا الباب؟ أي إلى أين سيؤدي هذا الباب؟ أهو إلى الجنة أم إلى النار؟

فالموت قنطرة يتجاوزها كل إنسان، ولكن أبا العتاهية في هذا البيت يخفف من بشـــاعة التصوير للموت، فهو باب يؤدي إلى دار، وهذه الدار مجهولة، فمن الذي يدخل هذا الباب طوعا ويمتلك الجرأة والشجاعة على دقّه؟

ويقـــــول أيضاً:[(2)]

هُوَ المَوْتُ فاصْنَعْ كُلَّما أَنْتَ صانِعُ وأَنْتَ لِكَأْسِ المَوْتِ لا بُدَّ جارِعُ

(الطويل)

فأبو العتاهية هنا يشبّه الموت بكأس، وكل الناس سوف يشرب من هذا الكـــأس، فهـــو يخوف الأغنياء ويهاجمهم بعنف، وأنهم يتجرعون الموت، ومهما صنعوا في هذه الدنيا فلا بـــد لهم من هذا المصير.

---

(1) المصدر نفسه، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 216.

أما بالنسبة للأندلسيين فقد برعوا في التصوير والخيال وأكثروا من أنــواع التشــبيه[1] المفرد والتمثيلي والضمني، وافتنوا في الاستعارات والكنايات، فهم تارة يعرضون التشبيه قضية بسيطة، وأخرى يعرضونه حجة وبرهانا على قضية سابقة، وقد يضــيفون إليــه ألوانــا مــن المحسنات البديعية. "واســـتطاع أبو إســحاق الإلبيري أن يــسخّر أصنافاً كثيرة من الصــور في إبراز المعاني الزهدية".[2]

يقول أبو إسحاق الإلبيري في وصف العِلْم وبيان أهميته لولده:[3]

هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبو   تُصيبُ بِهِ مَقاتِلَ مَنْ ضَرَبْتا

(الوافر)

فنراه يصور العلم بالسيف القاطع الذي يخترق القلوب من شدة مضائه، فهو يريد مــن هذه الصورة أن يؤكد لولده أهمية العلم في السلم والحرب، فهو سلاح ذو حدّين.

ونراه يصور المعنوي بالأمر الحسّي، وهذا جائز في عــرف البلاغيــين، إلا إن هــذا التشبيه لا يعني المشابهة الكليّة كالسيف، بل يقصد من ذلك، إنه بالعلم يستطيع أن يصــل إلــى قلوب الناس فيحكمها. ثم يؤكد أهمية العلم بصورة أخرى من التشبيه فيقول:[4]

وكَنْزَاً لا تَخافُ عَلَيْهِ لِصَّاً   خَفيفَ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنتا

(الوافر)

والإلبيري هنا يشبه العلم بالكنز، وهذا التشبيه يحتوي مشابهة أكثر من التشبيه الســابق، لأنه كلما زاد التشابه بين المشبه والمشبه به كان التشبيه أبلغ وأقوى، فهو يريد من هذا التشــبيه التأكيد لولده على أهمية العلم، فوصفه بالكنز الخفيف الذي لا يملّ منه حامله، ولذلك لا يخــاف عليه من اللصوص.

---

(1)التشبيه: هو الدلالة على مشاركة شيء أو صورة لشيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة بإحدى أدوات التشبيه لجامع بينهما.

(2) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ص 138.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 21.

(4)المصدر نفسه، ص 21.

ويقول:[1]

وَها أَنا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطايا كَما قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْـتا

(الوافر)

في هذا البيت ينقل كلام ابنه معترضا عليه، الخطايا لكثرتها وإحاطتها به مثل البحـر، وهذا تواضع من الشاعر حيث يصور نفسه غارقا ببحر الخطايا والذنوب ومفرطا في جنب الله، وهو بهذا التصوير يثبت لنا جدوى نصائحه ووعظه لولده حيث آتت أكلها.

وقال أيضاً:[2]

أَنْتِ السَّرابُ وَأَنْتِ دَاءٌ كامِنٌ بَيْنَ الضُّلوعِ فَما أعَزَّ دَواكِ!

(الكامل)

فهو في هذا البيت يذم الدنيا ويشبهها بالسراب الخادع، وبالمرض المخفي بين الأضلاع، وعلاجه صعب وغير موجود.

نلاحظ من خلال هذه الصورة المكررة، الهجوم الشديد على الدنيا محقّـرا إياهـا بهـذا الوصف وهو السراب الذي يخدع صاحبه بلمعانه موحيا له أنه ماء، ثم نراه يعطف تشبيها آخر وبالمرض الخطير المخفي داخل الأضلاع، بحيث يصعب اكتشافه والوصول إليه إلا بعد جهـد وعناء، وكأني بالشاعر يتحدث عن مرض السرطان الخبيث في عصرنا الحاضر.

ب. التشبيه التمثيلي والضمني:

يقول أبو إسحاق الإلبيري:[3]

فها أَنا في عِلْمي بِهِم وَجَهالَتي كمُسْتَيْقِظٍ يَرْنُو بِمُقْلَةِ رَاقِدِ

(الطويل)

(1) المصدر نفسه، ص 25.

(2) المصدر نفسه، ص 35.

(3) المصدر نفسه، ص 105.

فالشاعر في هذا البيت يصور حالة الناس النفسية، حين يحضرون الجنازات ويدفنون أصحابها، وبعد ذلك ينسون ما حدث، ولا يعتبرون، وهو يعبر عن هذه الصورة بضمير الأنا، فيصور نفسه وهو يشاهد أصحابه يموتون ويحمل جنازاتهم ويشهد دفنهم ثم لا يلبث أن ينسى هذا الموقف بعد الانتهاء من الدفن، هذه الصورة بصورة الإنسان المستيقظ الذي ينظر إلى المشهد بعين مفتوحة، ولكنه لا ينظر بها ولا يعرف حقيقة ما يحدث أمامه، "فهو بهذه الصورة يذم كل إنسان لا يتعظ بالموت، وكفى بالموت واعظا".(1)

ويقول أبو إسحاق الإلبيري:(2)

وَكَمْ عايَنْتَ خَيْطَ الصُّبْحِ يَجْلو سوادَ اللَّيْلِ كالسَّيْفِ الصَّقيلِ

(الوافر)

فالشاعر في هذا البيت أتى بهذه الصورة محذرا الشيح كبير السن الذي ناداه الشيب بالرحيل ولكنه يتغافل عن ذلك، فهو يتعجب من هذا الشيخ الكبير، ويريد أن يثبت له عدم الاستهتار بظهور الشيب، فهو أول نذير للإنسان بقرب الموت ودنو الأجل، ويؤكد ذلك من خلال هذه الصورة على نمط التشبيه التمثيلي، فيصور أهمية خيط الفجر حين يأتي ليخفي سواد الليل وظلمته، مع أن خيط الصبح ضعيف ودقيق، إلا أنه ينذر بقدوم الفجر والنهار ورحيل الليل وظلامه، وهذه الصورة كصورة السيف اللامع المصقول، الذي بلمعانه يشق غبار المعركة؛ لينذر بحلول الانتصار وزوال الظلم والعدوان.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري:(3)

وَلا تَحْقِرْ بِنَذْرِ الشَّيْبِ واعْلَمْ بِأَنَّ القَطْرَ يَبْعَثُ بالسُّيولِ

(الوافر)

---

(1) المقري: **نفح الطيب**، ج5، ص 250.
- انظر: الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص105.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 94.

(3) المصدر نفسه، ص 94.

فهو في هذا البيت يصور قلة الشيب في رأس الإنسان بالماء القليل الذي يأتي بعده السيل الجارف المدمر، وهو يريد من هذه الصورة أن يؤكد للإنسان بأن الموت حق، ويجب على الإنسان أن يأخذ الحيطة والحذر من قدوم الشيب ولو كان قليلا، فهذا الشيب الأبيض على صفائه ونقائه، إلا أنه سيأتي بعده الهلاك والموت، كما إن الإنسان يستبشر بقدوم قطرات المطر الخفيفة وهو لا يدري ما سيأتي بعدها إذا تواصلت واستمرت، إنه سيأتي بعد ذلك السيول الجارفة المهلكة التي لا يؤمن خطرها، ولا يستطيع الإنسان أن يتفاداها ويتجنب خطرها.

نلاحظ من الدراسة السابقة أن أبا العتاهية وأبا إسحاق الإلبيري، قد أكثرا من التشبيهات المفردة؛ وذلك لأن موضوع الزهد يخاطب به الشعراء العامة من الناس، ومثل هذه التشبيهات ليست عصية على كثير منهم، فهي أقرب للفهم وأسهل في معرفة المغزى منها.

ثم بعد ذلك التشبيه التمثيلي الذي أكثر كل منهما من وروده في أشعارها، ففي موضوع الدنيا والموت والبعث والحساب، لا بد من مقارنة أحوال الناس ونظرتهم إلى الدنيا وموقفهم من الموت، وأما التشبيه الضمني فقد ندرت أشعارهما من مثل هذا التشبيه؛ لأنه يحتاج إلى عرض صورة مركبة بصورة أخرى.

يقول أبو العتاهية:[1]

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ المَشِيبُ على شَبَابي

(الوافر)

فهو يصور هجوم الموت عليه عند كبر سنه هجوم الشيب على شبابه، وفي هذا تشخيص للموت والمشيب عندما يهاجمان الإنسان، فإنه لا يستطيع الإفلات ولا التأخير، ويقول أيضا مصورا زوال الدنيا وتقلبها بالحلم أو ظل السحاب، أو الأمس أو لمع السراب:[2]

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 33.

(2) المصدر نفسه، ص 33 – 34.

أراك وَإنْ طُلِبْتَ بِكُلِّ وَجْهٍ كَحُلْمِ النَّوْمِ أَوْ ظِلِّ السَّحابِ
أَوِ الأَمْسِ الذِي ولَّى ذَهاباً فَلَيْسَ يَعودُ أَوْ لَمْعِ السَّرابِ
(الوافر)

نلاحظ أن أبا العتاهية صور هذا الزمان المتقلب الذي لا يثبت على حال ولا يستقر له قرار، بعدة صور متكررة، وهذا يدل على شدة هجومه وبشاعة تصويره للزمن، فتقلبه كالإنسان الذي يحلم ويتقلب أثناء حلمه، أو ظل السحاب المتنقل الذي لا يثبت في مكان فهو متغير، أو الأمس الذي ذهب ولم يعد، أو صورة السراب الخادع الذي يلمع ويظنه الإنسان ماء، فإذا به ينتقل إلى مكان آخر ثم يلمع هناك وهكذا، فيخدع الإنسان بتنقله وعدم ثباته في مكان معين.

فكثرة هذه الصور جاءت لتؤكد زوال الدنيا وعدم استقرارها.

ويقول أبو العتاهية:(1)

للهِ دُنْيا أُناسٍ دائِبونَ لَهَا قَدِ ارْتَعَوْا فِي رِياضِ الغِيِّ والفِتَنِ
كسائِماتٍ رَوَاعٍ تبتغي سِمَناً وَحَتْفُها لَوْ دَرَتْ فِي ذلِك السِّمَنِ
(البسيط)

صورة مركبة، يصور فيها الشاعر الناس الذين يرتعون في الفتن والضلال، ويسعون في الأرض ضلالا بصورة الحيوانات التي ترعى منهمكة، وهي لا تدري أن مصيرها هو الموت، فلا فائدة من هذا الانهماك وهذا السعي، فكان هجومه عنيفا على كل من يجعل الدنيا أكبر همّه، فهو هنا يؤكد للناس أن الدنيا لا تستحق هذا الاهتمام العظيم ولو كانت تستحق هذا الاهتمام ما كانت عند الله لا تساوي جناح بعوضة.

ويقول أبو العتاهية:(2)

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 398.
(2) المصدر نفسه، ص 194.

تَرْجو النَّجَاةَ ولَمْ تَسْلُكْ مَسالِكَها   إِنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلى اليَبَسِ

(البسيط)

قال أبو العتاهية هذا البيت في وعظ الرشيد، فهو يصور حال الإنسان الـذي يريـد أن ينجو من الهلاك بعد الموت، ولم يستعد له بحال، من يجهز السفينة كي ينجو بها من الغرق، ولا يوجد مكان لاستخدامها، ألا وهو البحر، فالسفينة هنا لا تفيد شيئا ولا تفيد في النجاة، فهو فـي هذه الصورة يحذر الإنسان من عدم الاستعداد للآخرة. والخليفة يحتاج إلى هذه الصورة العظيمة التي تعد مثلا وحكمة تقال في عدة مناسبات إلى يومنا هذا.

فالتشبيه ضمني، لأن المشبّه وهو عدم تحقيق الغاية التي يريدها المـرء إذا لـم يسـلك الوسائل المؤدية إليها، والمشبّه به هو إخفاق من يريد تسيير السفينة علـى الأرض، فمـن أراد تحقيق هذه الغاية عليه أن يسيّرها في البحر.

ج. الاستعارة والمجاز المرسل والكناية.

أولا: الاستعارة:

يعرّف السكاكي الاستعاره هي: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبّه به".[(1)]

ويعرف الجرجاني الاستعارة:" واعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية".[(2)]

"وهي تنقسم إلى قسمين: تصريحية ومكنية، والمراد بالأول: هو أن يكون الطرف الأول المذكور من طرفي التشبيه هو المشبّه به، والمراد بالثاني: أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبّه".[(3)]

---

(1) السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمدبن علي: **مفتاح العلوم**، ص 369.

(2) الجرجاني، الإمام عبد القاهر: **أسرار البلاغة في علم البيان**، ص 22.

(3) السكاكي: **مفتاح العلوم**، ص 373.

وسميت تصريحية؛ لأنك صرحت بالمشبّه به، أي ذكرته بلفظه الصريح، والاستعارة المكنية أو الاستعارة بالكناية، او المكنّى عنها في عرف البلاغيين القدماء، وهي استعادة حذف منها المشبه به أو المستعار منه، وبقي في العباة شيء يدل عليه، أو يشير إليه، أو من لوازمه.[1]

يقول أبو العتاهية:[2]

كلنا في غفلة والـــ موت يغدو ويروح

(مجزوء الكامل)

فالشاعر يشبه الموت بالإنسان الذي يذهب ويروح، ويحذف المشبّه بـــه علـــى ســـبيل الاستعارة المكنية، ويؤكد غفلة الناس عن الموت وهم يشاهدونه يختطف الناس، وهكـــذا ولكـــن دون اعتبار.

ويقول أبو العتاهية:[3]

إِنَّ الأُصُـــــــولَ الطَّيِّبا تِ لَهَا فُروعٌ زاكِيَه

(مجزوء الكامل)

والشاعر في هذا البيت ينصح الإمام والخليفة، عندما رأى غـــلاء الأســـعار، والفقـــراء يشكون ذلك يريدون عطاء الأمير أن يشملهم، فهو يشبّه الإمام بالفرع الزاكي الطيب الذي أخـــذ من أصل طيب، فذكر المشبّه به وحذف المشبّه على سبيل الاستعارة التصريحية.

فذكر المشبّه وحذف المشبّه به على سبيل الاستعارة المكنية.

أما أبو إسحاق الإلبيري فيقول:[4]

يا عَجَباً مِنْ غَفْلَتي بَعْدَ أَنْ نادانِيَ الشَّيْبُ أَلا فارْحَلَنْ

(السريع)

فالشاعر يتعجب من هذا الشيخ كبير السن، كيف لا يسمع نداء الشيب لـــه منـــذرا إيـــاه بالرحيل، فيشبّه الشيب بإنسان ينادي الناس ويعلمهم بقرب رحيلهم عن الدنيا، فحذف المشبّه بـــه وذكر المشبّه على سبيل الاستعارة المكنية، والشيب إذا ظهر من مفرق الإنسان فكأنما ينادي أن الأجل قد حان.

---

(1) المصدر نفسه، ص 373 – 378.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 98.

(3) المصدر نفسه، ص440.

(4) الإلبيري، ابو إسحاق: **ديوانه**، ص 103.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري في وصف الموت: [1]

تُغازِلُني المَنِيّةُ مِنْ قَريبٍ   وَتَلْحَظُني مُلاحَظَةَ الرَّقيبِ

(الوافر)

فيشبه الشاعر المنية بفتاة تغازل الإنسان وتنظر إليه نظر محبة وشوق، وكأنها تريد منه شيئا، ثم تلاحقه من مكان إلى آخر، فذكر المشبّه وحذف المشبّه به على سبيل الاستعارة المكنية، فهو يعبر عن القلق والخوف الذي يساور الإنسان من مراقبة الموت وملاحظته له، مما يجعل الإنسان يكره هذه المغازلة وينفر منها؛ لأنها نظرات تقتل من وقعت عليه.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري [2]

تُحارِبُنا جُنودٌ لا تُجارَى   وَلا تُلْقى بِآسادِ الحُروبِ

(الوافر)

فهو يشبّه الملائكة بقوتها وعظمتها بالجنود التي تحارب الأعداء، فحذف المشبّه وصرّح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

فهو يريد بهذه الاستعارة أن يؤكد للناس أن الموت لا مفر منه، وأن ملائكة الموت لا يمكن محاربتها ولا الوقوف بوجهها، وذلك لإظهار عجز الإنسان أمام هذه القوة العظيمة من جند الله، ألا وهم الملائكة.

نلاحظ من خلال الدراسة السابقة كثرة الاستعارات المكنية لدى أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، وقلة الاستعارات التصريحية، وذلك لأن موضوعات الزهد وأحوال الناس فيها واقعية ومشاهدة.

---

(1) المصدر نفسه، ص 31.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 31.

ثانيا: المجاز المرسل.

تعريفه: "هو كلمة أو تركيب استعمل في غير معناه الحقيقي، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقد تكون العلاقة في المجاز المرسل السببية أو المسببة، أو الجزئية، أو الكلية، أو اعتبار ما كان، أو اعتبار ما سيكون، أو المحلية، أو الحالية".[1]

يقول أبو العتاهية:[2]

لِدوا لِلْمَوْتِ وابْنوا لِلْخَرابِ فَكُلُّكُمْ يَصيرُ إِلى ذَهابِ

(الوافر)

فالشاعر جعل في هذا البيت مجازا "لدوا للموت"، فهم يلدون أناسا أحياء باعتبار ما سيكون أمواتا في المستقبل، والمجاز الثاني في جملة "ابنوا للخراب"، فهم يبنون البيوت والقصور، وهذه ستكون مستقبلاً خراباً.

ويقول أبو العتاهية:[3]

كَأَنَّ حَيًّا قَدْ قَامَ نادِيَهُ والْتَّفَتِ السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ

(المنسرح)

ففي البيت مجاز مرسل علاقته المحلية، "قام ناديه"، فالنادي هو المكان الذي يجتمع فيه الناس، والمقصود هو من يكون في النادي، وليس النادي نفسه.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد استخدم المجاز في قوله:[4]

أَقْبَحُ مَنْ تَرْمُقُهُ مُقْلَةٌ مُبْصِرَةٌ شَيْخٌ خَليعُ الرَّسَنْ

(السريع)

---

(1) وهبة: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب الميم، ص 334 – 335.

(2) أبو العتاهية: **اشعاره وأخباره**، ص 33.

(3) المصدر نفسه، ص 589.

(4) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 104.

فالمجاز في قوله: "ترمقه مقلة"، فهو يذكر المقلة وهي العين، وهي جزء من الإنسان، وأراد الإنسان كله، فالمجاز المرسل هنا علاقته جزئية.

فذكر العين لأنها هي العضو المبصر، في الإنسان وهي التي تراقب ما حولها، فهو يحذر من أن تقع عين الإنسان على شيخ كبير السن يستهتر بقدوم الموت ولا يتعظ بما يحدث حوله.

وأبو إسحاق الإلبيري يستخدم المجاز المرسل في قوله:[1]

إِنَّ العَظيمَ إِذا لَمْ يَعْفُ مُقْتَدِراً   عنِ العَظِيمِ فَمَنْ يَعْفو وَيَقْتَدِرُ؟

(البسيط)

فاستخدم المجاز في كلمة العظيم الثانية، فالعظيم الأولى المقصود بها هو الله سبحانه صاحب العظمة والقوة والجبروت، أما العظيم الثانية فالمقصود بها الملك الذي تعظمه الناس وتحترمه وتجله، والمجاز هنا علاقته كلية.

من خلال الدراسة السابقة نلاحظ أن أبا العتاهية استعمل المجاز المرسل بكثرة في شعره، وأن أبا إسحاق الإلبيري كان مقلا في ذلك، والسبب يعود إلى أن الظروف السياسية التي مر بها أبو العتاهية جعلته يخرج عن الكلام الحقيقي إلى المجاز ليخفي شخصيته، ويقي نفسه من كيد الحاسدين والحاقدين، ومن ملاحقة الخلفاء والحكام.

ثالثاً: الكناية:

الكناية في أصل استعمالها تدل على الستر والخفاء، أي أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره، أو تذكر شيئا يستدل به على غيره، ولذلك فإن عكس الكناية الإفصاح والتصريح، أي أنك في الكناية لا تصرّح بمرادك ولا تفصح عنه، بل تستره وتخفيه.

والكناية تعني:"ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة...".[2]

(1) المصدر نفسه، ص 117.

(2) السكاكي: **مفتاح العلوم**، ص 402.

وهي:" أن تطلق اللفظ، وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي".[1]

ويكثر أبو العتاهية في أشعاره من استخدام الكناية، من ذلك عندما يكني عن صفة الغضب والندم بـ"عضضت انامليّ"، و "قرعت سنّي"، فيقول:[2]

فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لي فِي البَرَايا وأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنٍّ
إِذا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْها عَضَضْتُ أَنامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
(الوافر)

والكناية هنا تعطي صورة جميلة، فتصور ذلك المذنب التائب من ذنبه وهو في مرضه الذي مات فيه، ويذكر محمد بن أبي العتاهية أن والده قال ذلك، وكان آخر شعر قاله قبل مماته، فهو من شدة ندمه على ما بدر منه من خطايا وذنوب، يعض أصابعه كناية عن الغضب من نفسه المقصرة، ويقرع سنّه كناية عن ندمه على ما فرّط في جنب الله، فالكناية هي كناية عن صفة.

ونراه في حكمه يصور تشابه الناس كأنهم صنعوا في قالب واحد، فيقول:[3]

حَتَّى كَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالَبٍ واحِدْ
(الكامل)

فالكناية في البيت هي "أفرغوا في قالب واحد"، فهو يصور عدم ذكر الناس لبعضهم بالثناء والمديح، وتساويهم في هذه الصفة، وكأنهم صبّوا في قالب واحد، فالكناية هنا كناية عن صفة. ولكثرة الكنايات في شعر أبي العتاهية نجده في البيت التالي يحشد من الكنايات الكثير فيقول:[4]

سَلِيمَ دَواعِي الصَّدْرِ لا باسِطاً يَداً وَلا مانِعاً خَيْراً ولا قائِلاً هُجْرا
(الطويل)

---

(1) عباس وفضل: **البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع**، ص 243.
(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 376.
(3) المصدر نفسه، ص 107.
(4) المصدر نفسه، ص 159.

إن كثرة الكنايات في البيت تدل على الحالة النفسية المضطربة، التي كان يعاني منها أبو العتاهية في مجتمعه، وبين أقرانه وأصحابه، فهو يريد من هذه الكنايات أن يظهر صفات الفتى الذي يحبّه، والذي هو جدير بأن يصاحبه، فالكناية "سليم دواعي الصدر" كناية عن نقاء قلبه وخلوّه من الحقد والكراهية لغيره، "ولا باسطا يدا"، تدل على عدم امتداد يده إلى صديقه للاعتداء عليه، فهو يحافظ على سمعة صديقه ولا يعتدي عليه، "ولا مانعا خيرا" كناية عن تقديم الخير لصديقه ولا يمنعه عنه، فهو يجب له الخير كما يحبه لنفسه، "ولا قائلا هجرا" كناية عن عدم مقاطعنه لصديقه وجفائه له، فهو يحافظ على وصاله وعدم هجرانه.

فالكناية هنا كناية عن صفات محمودة في الصديق الذي يحبه الشاعر؛ لأنه يشكو من قلة الأصدقاء الأوفياء له.

ويقول أبو العتاهية مكنيا عن صفة كراهية الدنيا وداعيا إلى النزاهة والكفاف:[(1)]

تَبلّغْ مِنَ الدُّنْيا وَنَلْ مِنْ كَفَافِها   وَلا تَعْتَقِدْها فِي ضَمِيرٍ وَلا يَدِ

(الطويل)

فالكناية في "ولا تعتقدها في ضمير ولا يد" كناية عن إخراج الدنيا من قلبه ويده، وعدم الاكتراث لها وكراهيتها، والنزاهة فيها، فهي دار مرور وعبور، وتزوّد للآخرة، فالكناية تتناسب مع موضوع الزهد في الدنيا، فهي كناية عن صفة.

كما أكثر أبو إسحاق الإلبيري أيضا من الكنايات في أشعاره، فيقول مكنيا عن ضعف الإنسان حين يظهر الشيب في رأسه:[(2)]

أنّى يُقاتِلُ وَهوَ مَغْلولُ الشَّبا   كابِي الجَوادَ إِذا اسْتَقَلَّ تَأَوَّها

(الكامل)

فالكناية في قوله: "مغلول الشبا" كناية عن عدم مقدرته على القتال؛ بسبب عدم مضاء سيفه، والكناية في قوله "كابي الجواد" كناية عن ضعفه؛ لأن جواده يعثر في المعارك.

---

(1)المصدر نفسه، ص 116.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 47.

فهو في هذه الكناية يقبّح من الشيخ الجاهل الذي لا يعتبر من ضعف جسمه وقوته، وعدم توفر وسائل القتال المناسبة مثل السيف والخيل، فهي صورة فنية جميلة تتناسب مع الموقف، فهي كناية عن صفة.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري مكنيّا عن ذم الدنيا وأنها غير مأمونة العواقب، ويحذر الناس من السعي وراء الدنيا؛ لأن في ذلك معصية لله، فهو يكني عن عدم طاعة الدنيا وكراهيته لها بمخالفتها وتفريقها، وشق عصاها، فيقول:[1]

يُعْصَى الإِلهُ إِذا أُطِعْتِ وَطَاعَتي   للهِ رَبِّي أَنْ أَشُقَّ عَصاكِ

(الكامل)

فالكناية في قوله "أشق عصاك" كناية مخالفة الجماعة، وإن كان شق العصا دليل الاختلاف والتفرّق، وهو غير محبّب في الإسلام، والطاعة أولى من ذلك، إلا أنه استخدم شق العصا للدنيا التي تتجمع على الإنسان بما تزينه له من بهارجها وزخارفها، وأخيرا يجد نفسه في آخر حياته قد خدع، فطاعة الدنيا معصية لله، وشق عصا الدنيا هو طاعة لله، فالكناية تتناسب مع الموقف من الدنيا وهو الزهد فيها.

ويقول مكنّيا عن التوبة من الذنوب والخضوع لله سبحانه:[2]

ولازِمْ بابَهُ قَرْعاً عَسَاهُ   سَيَفْتَحُ بابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتا

(الوافر)

فالكناية هنا تصور ذلك المذنب العاصي وقد تاب إلى ربه، وأقلع عن ذنبه، فهي تصوره بمن يلزم باب الكعبة متعلقا به مقرا بذنوبه يطلب الغفران من الله، وهي تضفي على الإنسان صفة الذل والخضوع لله سبحانه، وتستشعر صفة الهيبة والجلال والعظمة لله -عز وجل-.

من خلال الدراسة السابقة نجد أن أبا العتاهية وأبا إسحاق الإلبيري قد أكثرا من الكنايات في أشعارهما، وذلك لأن هذا الأسلوب من أكثر الأساليب البلاغية استعمالا في كلامنا اليومي،

(1)المصدر نفسه، ص 35.

(2) المصدر نفسه، ص 25.

وإذا ما دققنا فيما نقوله أو نسمعه أو نقرؤه؛ فإننا نجده مليئاً بألوان الكناية والمجاز، والكناية تختلف عن المجاز، فالكناية يجوز من خلالها أن يكون المعنى الأصلي مقصوداً إضافة إلى المعنى المكنّى، أما في المجاز فهذا لا يصحُّ.

نستطيع أن نقول: إن أبا إسحاق الإلبيري في الصورة الفنية قد تأثر بأبي العتاهية، فنراه قد أكثر من المجاز المرسل والكناية في أشعاره، وذلك لأنهما يخاطبان في موضوعات الزهد الطبقة العامة الكادحة من الناس، والكناية والمجاز هما أسهل الأساليب البلاغية فهما، وأكثرها شيوعاً بين الناس.

كما أننا نجد كثرة التشبيهات والاستعارات في أشعارهما؛ لأن هذا الأسلوب البلاغي يأتي في مقدمة الفنون البلاغية التي لا يخلو كلام متكلم منها، فالشعراء يستعينون بها لتأدية المعنى الذي يريدون إيصاله إلى المستمع، ليكون أداؤهم هذا أو تعبيرهم عن المعنى وافيا بالغرض الذي يرمون إليه، وموضحين المعنى الذي يريدون نقله، من خلال هذا القالب الجميل المشوق.

وبالنسبة للتشبيهات فقد أكثر أبو العتاهية وأبو إسحاق الإلبيري من التشبيه المفرد، وأما الضمني والتمثيلي فقد كان نادرا في أشعارهما، وما ذلك إلا لأن التشبيه المفرد أقرب إلى مستوى الطبقة المخاطبة في شعر الزهد وأسهل في الفهم ومعرفة المعنى المطلوب، أما التشبيه الضمني والتمثيلي فهما يمثلان صورة مركبة لا يستطيع الكثير من الناس فهمها إلا بعد دقة ملاحظة ومعرفة سابقتين.

من هنا نجد أن التشبيهات والاستعارات والمجاز والكناية عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري قد تلوّنت بألوان المستوى الديني، فجاءت صورة صادقة عن أحاسيسهم وعواطفهم ومشاعرهم نحو مجتمعاتهم، لتتناسب مع موضوع الزهد، كما انعكست فيها نفسياتهم المضطربة والمتقلبة لسوء أحوال المجتمعات، فكانت في معانيها تتناسب مع البيئة، ومع اهتمامات الناس ومعارفهم التي يؤمنون بها.

مما سبق نجد أن شعر أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري قد حفل بالصور الدينية التي تعتمد على أساليب المجاز والتشبيه والاستعارة.

الموســــيقا:

(أ) الجناس.

(ب) الترديد.

(ج) التصريع.

(د) التدوير.

(ه) الوزن الشعري.

(و) القافية.

(أ) الجناس:

"وتظهر موسيقا الشعر بالجناس الذي يقوم على أساس التشابه بين اللفظتين في الإيقــاع مع اختلافهما في المدلول، فإن اتفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة في الحركات والسكنات، وترتيبها، كان الجناس تاما، وإن اختلفت الحركات في واحد مما ذكر كان الجناس ناقصاً".[1]

ويقول أبو العتاهية في الجناس التام:[2]

أُذنَ حَيٍّ تَســــــمّعي اسْـــــمَعي ثُمَّ عِي وعِي

(مجزوء الخفيف)

فالجناس في كلمتي "عي، عي"، على شكل التجانس التام، متطابق الإيقاع بــين ركنيــه المتجانسين، فالشاعر يحس بنفسه ومشاعره تجانس واتحاد، فهو هنا في هذا الموقف العصــيب عندما حضرته الوفاة، فهو يجانس بين الكلمة الأولى"عي" بمعنى احفظي ولا تتركي شــيئا، أي خذيه كله، والكلمة الثانية "عي" بمعنى افهمي وأدركي الأمر على حقيقته.

وقوله عن حال القرون الأولى:[3]

صَاروا حَدِيثاً بَعْدَهُمْ إنَّ الحَدِيثَ لَذُو شُجُونِ

(مجزوء الكامل)

فيجانس الشاعر بين لفظة "حديثا" بمعنى مثلا يتناقله الناس فيما بينهم، ولفظة "الحــديث" بمعنى الكلام.

فكلا اللفظين يحمل معنى وارتباطا في نفس الشاعر، فالأمم السابقة أصبحت مثلا متداولا بين الناس كالأغصان المتفرقة.

---

(1) وهبة: معجم **المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب الجيم، ص 138.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 231.

(3) المصدر نفسه، ص 364.

وقوله في الإنسان بعد موته وحاله في القبر وحال أهله من بعده:[1]

القَوْمُ بَعْدَكَ فِي حالٍ تَسُرُّهُمُ   فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دارَتْ بِكَ الحَالُ

(البسيط)

فالشاعر يجانس بين لفظة "حال" بمعنى هيئة وشكل، ولفظة "الحال" بمعنى الظروف والزمان.

فإحساس الشاعر باللفظين يتساوى؛ لأن كلا منهما يدل على الأحوال والظروف والهيئات والشكل.

ومما جاء في شعر أبي العتاهية على شكل التجانس الناقص قول:[2]

مَا زالَتِ الدُّنْيا لَنا دارَ أَذَى   مَمْزَوجَةَ الصَّفْوِ بأَلْوانِ القَذَى

(الرجز)

فالشاعر يجانس بين لفظة "أذى" ولفظة "قذى"، ويظهر اختلاف ركني التجانس في نوع الأصوات، مما يؤدي إلى اختلاف في الإيقاع بين المتجانسين، فهما يختلفان في الصوت الأول "أ، ق" مخرج الهمزة ومخرج القاف، الهمزة ذلك الصوت الحنجري والانفجاري المجهور، والقاف ذلك الصوت اللهوي الانفجاري المهموس، وهناك تقارب بين الهمزة والقاف، حيث إن في لغة الحضر اليوم تلفظ القاف همزة على سبيل التخفيف، وكلا اللفظين يدل على الألم والتوجع، ولكن صوت الهمزة يكسب اللفظ قوة وشدة لأنه يمتاز بالجهر، بينما صوت القاف يكسب اللفظة السكينة والهدوء؛ لأنه يمتاز بالهمس، فالألم الذي يسببه الأذى أكثر وأعم وأشمل من الألم الذي يسببه القذى، وهو خاص بالعين.

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص310.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 143.

- انظر، أبو العتاهية، **أشعاره وأخباره**، ص459.

ويجانس الشاعر بين لفظة "حشر" ولفظة "نشر" في قوله:[1]

ولكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ　　　وَنَارٌ وَما قَدْ يَسْتطيلُ بِهِ الخُبْرُ

(الطويل)

فهما يختلفان في الصوت الأول، فالحشر يدل على الكثرة والنشر كذلك يدل على الكثرة، ومخرج "الحاء" من الحلق، ومخرج "النون" من طرف اللسان مع اللثة" لساني لثوي"، وهو من الأصوات ذات الوضوح السمعي، وتمتاز الحاء بملمح الهمس والاحتكاك، والنون تمتاز بملمح الأنفية مما يعطيه قوة في المعنى والدلالة.

والشاعر استخدم هذا التجانس ليدل على أن ما بعد الموت أهم وأصعب من الموت، فالحشر والنشر يدل على الكثرة والتعب والمشقة التي يعانيها الإنسان من ذلك الموقف العظيم.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد أكثر في شعره من الجناس بنوعيه التام والناقص، فيقول:[2]

إِذا ما لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْراً　　　فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتا

(الوافر)

فنراه يجانس بين لفظة "خيرا" بمعنى الفعل الحسن عكس الشرّ، ولفظة "خير" بمعنى أفضل – اسم تفضيل –.

فالتجانس هنا تام، متطابق الإيقاع بين ركنيه المتجانسين، وعلى الرغم من اختلاف معنييهما وتباين مدلوليهما، إلا أنهما يدلان على اتحاد إحساس الشاعر، فالخير أفضل من الشر، وكلا المعنيين يدلان على الأفضلية، فالعلم أفضل وأحسن من الجهل.

ويجانس أبو إسحاق الإلبيري في البيت التالي بين لفظة "أبكار، بكر" في قوله:[3]

ومَهْما افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوانِي　　　فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا

(الوافر)

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 163.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 22.

(3) المصدر نفسه، ص 23.

فهو يجانس بين لفظة "أبكار" ومفردها "بكر" وهي البنت التي لم تتزوج، ولفظة "بكر" بمعنى الحكمة التي لم يتطرق إليها أحد، فهو أول من قالها، وعلى الرغم من اختلاف معنييهما ومدلوليهما، إلا أنهما في نفس الشاعر يتحدان، وكل منهما يعني الشيء الجديد الذي لم يسبق إليه أحد قبله، فالبنت البكر كالحكمة البكر، فالشاعر بأحاسيسه ومشاعره مزج بين المعاني المتباعدة، فالجناس هو جناس تام.

ومما جاء في شعر أبي إسحاق الإلبيري على شكل التجانس الناقص، مختلف الإيقاع بين ركنيه المتجانسين قوله:[1]

تُغازِلُني المَنِيَّةُ مِنْ قَريبٍ وَتَلْحَظُنِي مُلاحَظَةَ الرَّقيبِ

(الوافر)

فيظهر في البيت اختلاف ركني التجانس في ترتيب الأصوات، اللفظة الأولى "قريب" واللفظة الثانية "رقيب"، يلاحظ اختلاف في ترتيب الأصوات، أما عددها فمتساو، فالجناس ناقص.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري:[2]

وَغَرِّبْ فالغَريبُ لَهُ نَفاقٌ وشرِّقْ إنْ بِريقِكَ قَدْ شَرِقْتا

(الوافر)

فتنعقد المجانسة بين اللفظين "شرّق" و"شَرِقَ" فهما يختلفان في عدد الأصوات، فاللفظة الأولى "شرّق" تزيد عن اللفظة الثانية بصوت "الراء"، الذي يمتاز بصفة التكرار، فمعنى اللفظة الأولى "شرّق" تعني الاتجاه نحو الشرق وذلك بسبب الضيق الذي يحس به بين أصحابه ومجتمعه، ومعنى اللفظة الثانية "شرق" يدل على الغص بالماء وما يحدث من ضيق في المريء، وعدم دخول الماء إلى مجراه الصحيح فيذهب إلى مجرى آخر هو مجرى الهواء فتحدث هذه الغصّة بالماء وما يسمى "بالشرقة"، فهما يمثلان الضيق وعدم قبول الواقع بما فيه من ظلم وتعسف، فالجناس ناقص.

---

(1) المصدر نفسه، ص 31.

(2) المصدر نفسه، ص 29.

وقال أبو إسحاق الإلبيري في ذم الغنى وكيف أن الموت يجرد الغني من كل شيء:[1]

بَزَّتْهُ أَيْدي الخُطوبِ بِزَّتَهُ   فاعْتاضَ بَعْدَ الجَديدِ بالسَّمَلِ
(المنسرح)

فالشاعر يجانس بين لفظة "بزّته" بمعنى أخذت منه الشيء بجفاء وقهر، ولفظة "بزته" بمعنى هيئتة وحاله وشكله، أو الثياب والسلاح، ويظهر في هذا التجانس اختلاف ركني التجانس في شكل الحروف، فالأول فعل مفتوح الباء، والثانية اسم مكسور الباء، وعلى الرغم من اختلاف معنييهما إلا أنهما متساويان في شعور الشاعر وإحساسه، فالبزّ هو الأخذ بقوة وجفاء وقهر، والبزّة هي الثياب والسلاح، فكلاهما يدل على التجرّد والأخذ والتغيّر من الهيئة والشكل، وهذا ما أراده الشاعر من هذا التجانس ليبين للإنسان الغني أن الموت يجرّده من كل شيء فيعود بالقطن والكفن، والجناس هنا جناس ناقص.

نلاحظ من خلال الدراسة أن أبا العتاهية وأبا إسحاق الإلبيري قد استخدما الجناس بنوعيه في أشعارهما، التام والناقص، وقد ظهر الجناس كجزء أساسي من الكلام يؤدي الغرض المطلوب، ولم يصل الأمر إلى حد الإسراف في استخدامه مما أضفى على اللفظ قبولا وتأثيرا وزخرفا، ولم يطغ هذا الجناس على المعنى، بل كان مساعدا ومؤيدا على فهمه، وهنا تبرز مقدرة الشاعرين وتفوقهما في استخدام هذا اللون البلاغي.

ب- الترديد:

تعريفه: "و أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه"[2]، وذلك بهدف تفجير طاقتها المعنوية في السياق، وتوليد الإيقاع الموسيقي من خلال تردد أصوات الكلمتين.

يقول أبو العتاهية:[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص 118.

(2) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: **العمدة في صناعة الشعر**، ج2، ص 2.

(3) الأصفهاني أبو فرج: **الأغاني**، ج3، ص 132، وردت في الديوان "لم يعتق من المال رقّه".

- انظر: أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 276.

إِذا المَرْءُ لَمْ يَعْتِقْ مِنَ المالِ نَفْسَهُ   تَملَّكَهُ المالُ الذي هُوَ مالِكُهْ

(الطويل)

فلفظة "تملّكه" أصلها "ملك"، فزيدت التاء في أولها، وضُعفت العين، وهذه الزيادة تفيد المبالغة والكثرة في التملّك، فالمعنى الجديد هو أن المال الذي هو مملوك الإنسان وعبد له، أصبح سيداً، والإنسان أصبح مملوكاً وعبداً له.

ولو بحثنا في الأصل اللغوي لكلمة "ملك" فإنها تدل على التملك والعبودية والذل، فالشاعر جعل عجز البيت جواباً للشرط في صدر البيت الذي يحمل معنى العتق والتحرر للنفس من عبودية المال.

فاللفظة الأولى "تملكه" في أول الشطر الثاني، واللفظة الثانية "مالكه" في نهاية البيت.

ويقول أيضا في تذكير الإنسان بيوم القيامة وأنه يأتي ربه فردا كما خلقه أول مرة:[1]

تَموتُ فَرْداً وَتَأْتي   يَوْمَ القِيامَةِ فَرْدا

(المجتث)

فلفظة "فرداً" تدل على الإنفراد والوحدانية، ففي صدر البيت تدل على عدم مرافقة الإنسان في مماته أي شيء من حطام الدنيا غير عمله، أما اللفظة الثانية في عجز البيت فجرّت معنى آخر جديداً، ألا وهو مجيء الإنسان للحساب والمثول أمام الله فريداً وحيداً، لا مال ولا أهل ولا ولد، ولا شاهد إلا نفسه. فهو يأتي إلى هذه الدنيا فرداً، ويتركها فرداً، ويبعث يوم القيامة فرداً.

فالترديد في البيت، هو في اللفظة الأولى "فردا" جاءت في وسط الشطر الأول، واللفظة الثانية "فردا" جاءت في نهاية البيت.

---

(1) المصدر نفسه، ص 125.

وقال من نقمته على الأقوياء:[1]

وَكَمْ مِنْ مُلوكٍ قَدْ رَأَيْنا تَحَصَّنَتْ فَعَطَّلَتِ الأَيَّامُ مِنْها حُصُونَها

(الطويل)

فلفظة "تحصنت" أصلها "حصن"، والحصن دليل القوة والمنعة، وما زاد منعتها وقوتها، زيادة التاء في أولها وتضعيف العين. والحصون هي الأماكن التي يتحصن فيها الجيش خوفاً على نفسه، والملوك هم أكثر الناس حرصاً على الحياة، حفاظاً على الحياة والسلطان والمال، أما لفظة "الحصون" الثانية فقد أصبحت ضعيفة أمام تقلبات الزمن.

فالترديد هنا في لفظة "تحصّنت" التي جاءت في آخر الشطر الأول، واللفظة "حصونها" في آخر الشطر الثاني.

ويقول مبتهلاً لربّه:[2]

سُبْحانَ مَنْ هُوَ لا يَزالُ مُسَبِّحاً أَبَداً وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ السُّبْحانُ

(الكامل)

فلفظة "سبحان"، هي الكلمة المحورية في البيت، والمعنى يدور حولها، وهي مأخوذة من "سبح" وهو التنزيه عن العيب والنقص، أما اللفظة الثانية "السبحان"، ففجرت معنى آخر وهو حصر التسبيح وقصره على الله سبحانه وتعالى.

فالترديد في أول الشطر الأول كلمة "سبحان" واللفظة الثانية "السبحان" في آخر الشطر الثاني.

وقال أبو إسحاق الإلبيري ساخراً من الشيخ المتصابي محذراً إياه بوجود الشيب منذراً بالرحيل:[3]

وَلا يَهُنِ القَلِيلُ عَلَيْكَ مِنْها فَما فِي الشَّيْبِ وَيْحَكَ مِنْ قَليلِ

(الوافر)

(1) المصدر نفسه، ص 405.

(2) المصدر نفسه، ص 370.

(3) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 94.

فلفظة "القليل" في صدر البيت تدل على الشيء اليسير والبسيط، من الشيب الذي يظهر في رأس الشيخ، وجاءت اللفظة الثانية تحذّر من هذه القلّة، فهي مع قلتها تنذر بشيء كثير، فهي نذير شؤم، تقرّب الإنسان من أجله.

فالترديد في البيت ورد في وسط الشطر الأول في لفظة "القليل"، وفي آخر الشطر الثاني "قليل"

وقال مرددا لفظة "النار" في البيت التالي:[1]

وَيْلٌ لأَهْلِ النَّارِ في النَّارِ ماذَا يُقاسُونَ مِنَ النَّارِ

(السريع)

فلفظة "النار" ترددت ثلاث مرات في البيت، فهي محور الحديث، والمعنى يدور حولها، وما ذلك إلا لما يعانيه الإنسان في النار من شدة العذاب، فالويل هو مراد في جهنم، ثم جـــاءت الكلمة الثالثة مسبوقة بالاستفهام، الذي يدل على التهويل والتعظيم من عذاب النار، فهذا الترديـــد يحقق نوعاً من التوكيد على عظم هذه النار، فنار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة.

فردّد لفظة "النار" في وسط الشطر الأول وآخره وفي آخر الشطر الثاني "النار".

وقال زاجراً ابنه عن التعلق في الدنيا:[2]

سُجِنْتَ بِها وَأَنْتَ لَها مُحِبٌّ فَكَيْفَ تُحِبُّ ما فِيهِ سُجِنْتَا؟

(الوافر)

فلفظة "سجنت" مأخوذة من "سجن"، والسجن لفظة غير محببة للإنسان، لما يلاقيه فيه من تعذيب وتنكيل وقهر وإذلال، ولكن التعلق بالدنيا سجن محبب لبعض الناس، فولد الشاعر أصبح سجيناً للدنيا محباً لها.

وجاءت لفظة "سجنتا" في عجز البيت ليزجر بها ابنه عن التعلق بهذا السجن وهو ادلنيا، فيستخدم أسلوب الاستفهام للتوبيخ والإنكار، لهذا الحب الذي يؤدي بالإنسان إلى دخول الســـجن

---

(1) المصدر نفسه، ص 90.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

مختاراً، وهذا الترديد مرتبط بالحالة النفسية للشاعر، من هذه التقلبات والتناقضات في الحيـــاة، التي تجعل الإنسان يفضل السجن على الحرية من عبودية الدنيا.

فالترديد في البيت ورد في لفظة "سجنت" في أول الشطر الأول، ولفظة "ســجنت" فــي نهاية الشطر الثاني.

وقال في الوعظ والنصح مخاطبا ابنه:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا   وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ الأَيَّامُ نَحْتا

(الوافر)

جاء الترديد في هذا البيت مركباً في صدر البيت بين لفظين هما: "تفت"، "فتــا"، وفــي عجز البيت بين لفظين هما: "تنحت"، "نحتا"، وهذا الترديد من شأنه أن يخلق إيقاعاً موسيقياً في البيت ليهمس في أذن ولده هذه المواعظ والنصائح.

فلفظة "تفت، تنحت" فعل مضارع يفيد الاستمرار، فالساعات والأيام مستمرة في تفتيــت وإضعاف جسم الإنسان تدريجياً، والفت والنحت لا يكون إلا في الشيء الصلب، وتحمــل فــي طياتها الكثرة والمبالغة.

أما لفظة "فتاً، نحتاً"، فهي مصدر ومفعول مطلق للتأكيد، ولشدة حرص الشــاعر علــى مستقبل ابنه، وحتى يكون ابنه في حذر من خداع الأيام والساعات، فقد جاء الترديد في صــدر البيت وفي عجزه، ثم ورود هذه الكلمات المرددة مفعولاً مطلقاً للتأكيد، مما يولد إيقاعاً موســيقياً بين شطري البيت.

نجد في هذا البيت الترديد في أول صدر البيت وآخره، فيردد لفظة "تفت" و "فتا" ثم يردد لفظة "تنحت" في أول الشطر الثاني، ولفظة "نحتا" في نهاية الشطر الثاني.

من خلال الدراسة السابقة نجد أن الترديد ورد في شعر أبي العتاهيــة وابــي إســحاق الإلبيري، والترديد سمة بارزة في الأدب الأندلسي بشكل عام، وارتبط عندهم بحالتهم النفســية،

والتقلبات التي كان يعيشها الشاعر، فالترديد يجعل من الكلمة المردّدة محور البيت والمعنى يدور بأكمله حولها، فهي تحقق نوعا من التوكيد، وجذب انتباه السامعين، إضافة إلى الوزن الموسيقي.

ج- التصريع:

هو :"أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والرويّ في البيت المصرّع، على أن تكون عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته"[1].

والعروضوين يقسمون البيت الشعري إلى قسمين: الأول هو الصدر، والثاني هو العجز، ويتألف البيت من عدة تفعيلات حسب البحر الذي نظم عليه، وتسمى آخر تفعيلة من الصدر عروضا، وتسمى آخر تفعيلة من العجز ضربا، ويجب أن يتفق العروض مع الضرب في الوزن والقافية.

وظاهرة التصريع ظاهرة موسيقية قديمة، فقد استخدمها الشعراء منذ العصر الجاهلي، ولا سيما تصريع البيت الأول من القصائد، ومن الشعراء من لا يكتفي بالتصريع في مطلع القصيدة، بل يصرّع أبياتا أخرى منها.

وقال أبو العتاهية في مطلع مقطوعته في وصف الموت:[2]

كَأَنَّ الأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عليّا وَقَدْ أَخْرَجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا

(الوافر)

نلاحظ التصريع في لفظة "عليّا" ولفظة "يديّا" فهما متفقتان في الوزن والقافية.

وقال أبو العتاهية محتقرا الحياة الدنيا وأنه لا يرضاها إلا لكل إنسان متكبر ومتفاخر:[3]

رَضِيتُ بِذي الدُّنْيا لِكُلِّ مُكابِرِ مُلِحٍّ عَلَى الدُّنْيا وَكُلِّ مُفاخِرِ

---

(1) يعقوب، إميل بديع: **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ-1991م، ط1، ص 193-194.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 442.

(3) المصدر نفسه، ص 150.

فقد ورد التصريع في البيت في لفظة "مكابر" و"مفاخر".

وقال في عدم اجتماع الحرص والورع وأن الحرص والطمع من اللؤم:[1]

ما اجْتَمَعَ الحِرْصُ قَطُّ والوَرَعُ   الحِرْصُ لُؤْمٌ وَمِثْلُهُ الطَّمَعُ

(المنسرح)

أما أبو إسحاق الإلبيري، فقد أولع كغيره من الأندلسيين في استخدام التصريع في أشعارهم؛ لأنه صادف هوى في أنفسهم حتى أفضى ذلك إلى ظهور فن الموشح.

ويقول أبو إسحاق الإلبيري في التوبة:[2]

لا قُوَّةَ لِي يا ربِّي فَأَنْتَصِرُ   وَلا بَرَاءَةَ مِنْ ذَنْبي فَأَعْتَذِرُ

(البسيط)

فقد ورد التصريع في لفظة "فأنتصر" و" فأعتذر".

وها هو يوجه إلى إخوته هذا الرجاء بأن يسألوا ربهم له النجاة من العذاب، فيقول:[3]

فَيا إِخْوَتي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتي   فَقُوموا لِرَبِّي واسْأَلُوهُ نَجَاتي

(الطويل)

نجد التصريع في لفظة "جنازتي" و "نجاتي".

نلاحظ من خلال الدراسة اهتمام الشاعر أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري بظاهرة التصريع في أشعارهما من قصائد ومقطّعات ومطولات، وذلك لأن في التصريع جذباً لانتباه السامعين.

---

(1) المصدر نفسه، ص213.

(2) المصدر نفسه، ص 117.

(3) المصدر نفسه، ص 56.

"ولقد حرص الأندلسيون على أن يتخيّر الشاعر في مقدمة القصيدة ما لطف من الألفاظ؛ لأنه أول ما يقرع السمع، ولذلك فإن أكثر ما يعاب على الشعراء إذا بدؤوا قصائدهم بما يتطيّر به من الألفاظ".(1)

وعلى الرغم من أن التصريع في مطلع القصيدة عادة جرى عليها الشعراء، إلا أن بعضهم لم يلتزم ذلك، بل يترك تصريع المطلع، ولكن البلاغيين يستحسنون التصريع في مطلع القصيدة تمييزاً له عن سائر أبياتها.

د- التدوير:

تعريفه: "هو أن يكون شطرا البيت مشتركين في كلمة واحدة(2)، بحيث تنقسم الكلمة قسمين، فيدخل الجزء الأول منها في تفعيلة العروض، والجزء الثاني في التفعيلة الأولى من عجز البيت، وهذا التدوير يحقق تواصلا في الأشطر يؤدي إلى سرعة الإيقاع، كما يضمن وحدة المقاطع أو الأجزاء التي يرد فيها، وبالتالي يحقق وحدة نغمية في القصيدة ككل، أضف إلى ذلك، إنه يسمح بتعدد النغمات وتنوعها بين الشطر والآخر".(3)

ونجد التدوير في شعر أبي العتاهية في قوله في العطف على الفقراء، ومنتقدا غلاء الأسعار:(4)

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الإِما   مَ نَصائِحاً مُتَوالِيه

(مجزوء الكامل)

فجعل الشاعر من كلمة "الإمام" بؤرة محورية تربط بين شطري البيت، وهذا الرابط اللغوي يعكس رابطاً دلالياً ومعنوياً، فربط كلمة الإمام في الشطر الأول بكلمة "عني" وهو نفس

---

(1) عبد الرحيم، مصطفى عليا: **تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 391.

(2) أحمد، محمد، ومولاي حفيظ بابوي، وبشرى علّيطي: **البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة**، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1998، ص 93.

(3) المصدر نفسه، ص 93.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 439.

الشاعر، وبكلمة "نصائحا" في الشطر الثاني، فهو يشير بذلك إلى حرصه على مصلحة الشعب الفقير وسماع الإمام للنصائح الصادرة عنه.

وقوله في ذم الحرص وأن الغنى هو في القناعة:(1)

إِنَّما الرَّاحَةُ المُرِيحَةُ في اليأْ س مِنَ النَّاسِ والغِنَى في القَناعَه

(الخفيف)

فالتدوير في البيت في كلمة "اليأس" فهو يربط بين الراحة والناس، أي أن الإنسان عليه أن يقنع وييأس مما في أيدي الناس، كي يرتاح راحة يشعر بها ويحسّ أنه مرتاح.

فالراحة المريحة في الشطر الأول مربوطة باليأس من الناس في الشطر الثاني، وهذا الترابط اللغوي يعبر عن ترابط نفسي وواقعي وهو الشعور بالراحة.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد استخدم التدوير في أشعاره، مثل قوله:(2)

فَلا تَثِقْ بِالغِنى فَآفَتُهُ الفَقْـ رُ وَصَرْفُ الزَّمانِ ذُو دُوَلِ

(مجزوء البسيط)

فالتدوير في البيت في كلمة "الفقر"، حيث تربط كلمة "آفته" في الشطر الأول، بكلمة "صرف الزمان" في الشطر الثاني، فالفقر يربط بين آفة الغنى وصرف الزمان، فهو يذم الغنى؛ لأنه غير دائم، ويطلب من الإنسان عدم الثقة به، فالفقر يثبت ويؤكد تقلب الزمان من حال إلى حال، والفقر هنا هي الكلمة المحورية التي تغير الأحوال، فجاء الاهتمام بها أكثر من غيرها، ولكي يلفت السامع والقارئ إلى عدم الثقة بالغنى؛ لأن أحوال الزمان متغيرة وغير ثابتة.

وقوله في قصيدته التي بناها على لفظ الجلالة ومرغبا في الجنة ومحذرا من النار، وأن أفضل الكلام هو ذكر الله وحمده على إنعامه، فيقول:(3)

---

(1) المصدر نفسه، ص 233.

(2) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

لا شَيْءَ فِي الأَفْواهِ أَحْلى مِنَ التَّـــ وْحــــيدِ والتَّمْجيدِ للهِ

(السريع)

فالتدوير في البيت في كلمة "التوحيد"، فهي المحورية التي ربطت الكلام الحلو في الأفواه في الشطر الأول، والتمجيد لله في الشطر الثاني، وهذا الترابط اللغوي يؤيد الارتباط النفسي بهذه الكلمة، فكلمة التوحيد هي تمجيد الله وثنائه، وهي أحلى ما نطق به الإنسان منذ بزغ الإســلام، وكلمة التوحيد هي الرابط بين شكر الله والكلام الحلو، وبدون هذه الكلمة لا يقبل عمل أي إنسان، فهي عمود الدين، وهي أساس الإسلام، ومن أجلها بعث الرسل.

من خلال الدراسة السابقة نجد أن أبا العتاهية أكثر من ظاهرة التدوير في شعره، وأمــا أبو إسحاق الإلبيري فقد كان مقلا من هذه الظاهرة في أشعاره.

هـ- الوزن الشعري:

"إن النزعة الخطابية ظلت تفرض نفسها على الشعر في العصر العباسي، فإذا بالشــاعر حريص على بناء إيقاعات مجلجلة تشير من وقت إلى آخر إلى وقفات عالية النبرة، وكل هــذا لكي يحدث التأثر الأخاذ للجمهور، ويحدد من آونة إلى أخرى نشاطه إلى الاستماع والمتابعــة، وكانت الأوزان المطوّلة هي في الغالب الإطار الإيقاعي الأنسب لتحقيق هذا الهــدف، كــالبحر البسيط والطويل والكامل".(1)

فكان أبو العتاهية في شعره الزهدي قد استخدم هذه الأوزان الطويلة، فقد احتل البحــر الطويل النصيب الأكبر في أشعاره، يليه الوافر ثم الكامل، ثم مجزوء الكامل، إضافة إلى بقيــة البحور بنسب قليلة.

وأبو العتاهية في البحور الطويلة يجد متسعا للتنفيس عن آلامه وأحزانه وانفعالاته، فيبثّ شكواه بنفس طويل، فغفلة الناس عن الموت والمصير والانهمــاك بالــدنيا وغرورهــا تجعلــه يخاطبهم بهذا النفس الطويل. كما أن الوعظ والنصح والحكم والأمثال تحتاج إلى هــذه الأوزان

---

(1) إسماعيل، عز الدين: **في الشعر العباسي، الرؤية والفن**، ص 438 – 439.

الطويلة لكي تستوعب كافة المعاني، وتنسجم مع حجم الجهد والمعاناة التي يحس بهـــا الشـــاعر حين يقدم هذه التجارب لغيره.

وفي موضوعات التحامل على الأغنياء والملوك وذوي الجاه والسلطان والتذكير بـــاليوم الآخر والجنة والنار، استخدم أبو العتاهية هذه البحور الطويلة أيضاً؛ لأنه في حالة يأس وحزن على هذه الصفة من الناس، فيتخير أوزانا طويلة كثيرة المقاطع يصبّ فيها من أشجانه ما ينفّس عنه حزنه وجزعه ويأسه.

ونلاحظ من خلال أشعار أبي العتاهية الزهدية اهتمامه بالبحور الطويلة، إلا أنه عنـــدما أصبح كبيرا في السن، استخدم البحور الخفيفة، فنراه في مرضه الذي مات فيه قـــال مقطوعـــة على البحر "مجزوء الخفيف"، فيقول:[1]

أُذُنُ حَيٍّ تَسَمَّعِي اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي

(مجزوء الخفيف)

"والباحثون يعقدون الصلة بين عاطفة الشاعر وما تخيره من أوزان الشعر"[2]، "فالشاعر يختار البحور التي تلائم صوته قوة وضعفا، فالشاعر الطاعن في السن والشاعر ضعيف الجسم، والشاعر خفيض الصوت، والشاعر المريض بأمراض مزمنة وأمراض الصدر وغيرها، يعجز أن ينشد شعرا من البحر الطويل أو البسيط، أو غيرها من البحور الطويلة، حتى ليحتاج المنشد لها أن يلتقط أنفاسه عقب كل بيت".[3]

أما الأشعار التي أنشدها أبو العتاهية في ريعان شبابه، فاختار لها البحور الطويلة التـــي تلائم صوته وجسمه قوة. فقصائده التي قالها في الحكم والأمثال والوعظ والنصح جاءت علـــى البحور الطويلة، كالطويل، والكامل، والبسيط.

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 231.

(2) أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978م، ص 59–139.

(3) الجندي، علي: **الشعراء وإنشاد الشعر**، دار المعارف، القاهرة، 1967مـ – 1387هـ، ص 100.

فمن نصائحه قوله:[1]

اصْحَبْ ذَوِي الفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ　　　فالمَرْءُ مَنْسوبٌ إِلى القَرينِ

(الرجز)

قال محمد بن أبي العتاهية، "ئل أبي هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض، وله أوزان لا تدخل في العروض"[2]

"كان لسرعته وسهولة الشعر عليه،ربما قال شعرا موزونا يخرج بـه عـن أعـاريض الشعراء وأوزان العرب"[3]

"من نماذج خروجه على العروض قوله:[4]

عُتْبَ ما لِلْخَيالِ　　　خَبِّريني ومالِي

لا أَراهُ أَتانـــي　　　زائِراً مُذْ ليالِي

فوزن البيت الأول – فاعلن فاعلاتن – مرتين، وكذلك البيت الثاني، وهو عكس وزن المديد.

والوزنان جميعا من الأوزان المهملة التي استخدمها أبو العتاهية وغيره مـن الشـعراء العباسيين، وكأنهم أحسّوا نقص أنغامها وإيقاعاتها بالقياس إلى الأوزان المستعملة"[5]

قعد أبو العتاهية يوما عند قصّار، فسمع صوت المدقّة، فحكى ذلك في ألفاظ شعره، وهو عدة أبيات:[6]

لِلْمَنونِ دائرا　　　تٌ يُدِرْنَ صَرْفَها

هُــنَّ يَنْتَقِينَنَا　　　واحِداً فَواحِــدا

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 448.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص 131.

(3) ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، الجزء الأول، ص 676.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 618.

(5) ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي**، العصر العباسي الأول، ص 196.

(6) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 522 – 523.

كأنه نظر إلى القصار أخذ ثوبا بعد ثوب، فشبّهه بأخذ الموت إنسانا بعد إنسان، وأخذ الوزن من وقع الكدين.

فوزن البيت الأول والثاني – فاعلن مستفعلن– مرتين، فهو عكس البسيط.

ومن الأوزان التي اكتشفها الشاعر العباسي، أوزان المضارع والمقتضب والمتدارك أو الخبب.

فالمضارع أجزاؤه– مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن– وإنما تحذف فيه التفعيلة الأخيرة. وأما المقتضب فأجزاؤه– مفعولات مستفعلن مستفعلن– ونحذف منه التفعيلة الأخيرة.

والمتدارك أو الخبب أو المحدث، والخبب هو مشي الإبل، يقال: إن الخليل لم يسجّله في عروضه، وإنما سجله تلميذه الأخفش، وكان أول من بادر إلى محاكاته أبو العتاهية، فقال بيتين نظمهما في بعض القضاة: [1]

هَمُّ القاضِي بَيْتٌ يُطْرِبْ قَالَ القاضِي لمّا عُوتِبْ
ما فِــي الدُّنْيا إِلا مُذْنِبْ هَذا عُذْرُ القاضِي واقْلِبْ

(المتدارك)

وكان إذا روجع قيل له إن أشعارك لا تدخل في عروض الخليل، قال: أنا أكبــر مــن العروض، يريد أن الـــشعر يجري على لــــسانه قبل أن يضع الخليل عروضه، وهو لــذلك أسنّ منه.[2]

أما بالنسبة لأبي إسحاق الإلبيري فقد استخدم الأوزان الطويلة، وقد احتل البحر الكامــل النصيب الأكبر في أشـــــعاره، ثم البحر الطويــل ثم البحر الوافر، إضافــة إلى بقية البحــور بنسب قليلة.

فاستخدم البحور الطويلة في موضوع الموت والدنيا، وذم العلمــاء الــذين لا يعملــون بعلمهم، وذم حياة الملوك، ومقارنة حياتهم في الدنيا بحياتهم في القبور.

---

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 500.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ج3، ص131

فهو يريد من إيراد هذه البحور تحذير الناس الذين لا يتعظون بالموت، ويتمسكون بالدنيا الزائلة، وهو يدعو إلى الكفاف وعدم الانشغال في جمع المال؛ لأنه سوف يسأل عنه يوم القيامة.

فقال في ذم العلماء الذين ليس لهم همّ إلا جمع المال:[1]

وحابِسٌ فِي بَيْتِهِ نَفْسَهُ مُعْتَزِلٌ مُسْتَمسِكٌ بِالسُّنَنْ

(السريع)

والبحر الوافر والخفيف والسريع من البحور القصيرة، واختيار هذه البحور في مجال الوعظ والنصائح؛ وذلك لأن هذا الغرض ينبع من عاطفة صادقة ونفس منفعلة، تنسجم معها البحور القصيرة.

ومن قصائده الطويلة التي بنى إحداها على لفظ الجلالة، والأخرى على لفظ النار، فقد استخدم البحر السريع، لأن الشاعر في مثل هذه القصائد التي تقوم على الترغيب في الجنة، والترهيب من النار، يستخدم البحور القصيرة ذات الأوزان القليلة، حتى لا يملّ الإنسان هذا الشعر؛ ولأن الغرض يقوم على صدق العاطفة وحرارتها، بحيث تتناسب مع عواطف الشاعر وأحاسيسه.

نلاحظ من خلال الدراسة بعض الاختلاف بين الوزن الشعري عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، فقد استخدم أبو العتاهية في معظم أشعاره البحور الطويلة، وفي كبر سنه وعجزه استخدم البحور القصيرة، في حين نجد الإلبيري قد استخدم الأوزان الشعرية حسب الغرض الشعري الذي يتناوله، ففي الحديث عن الموت وذم الدنيا والعلماء والملوك استخدم البحور الطويلة؛ لأن ذلك يحتاج إلى نفس طويل؛ للتأثير على الناس وإقناعهم بصحة رأيه ونظرته إلى الحياة واعتقاده بالموت.

وفي حديثه عن أغراض النصح والوعظ والجنة والنار استخدم الأوزان القصيرة؛ لتتناسب مع نفسية الشاعر المنفعلة والمتوترة، والحريصة على الخير للجميع.

---

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 39.

(و) القافية[1]:

حظيت القافية باهتمام الشعراءوالنقاد، وهي بمثابة السجع في النثر، فهي قوام الشعر وملاكه، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية، ويعدّ حرف الرويّ [2] أبرز حروف القافية وأهمها.

"إن اختيار قافية القصيدة أبعد منالا من اختيار بحرها، وذلك بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور، والمرجع في ذلك سلامة الذوق وغزارة المادة، فالقريحة الجيدة في غنى عن أصول توضع لها بهذا المعنى، ولو فرضنا من الممكن وضع مثل هذه فهي من نفسها تقع على القافية والبحر بلا جهد ولا تردد، ومع هذا فلا بأس من إيراد بعض ملاحظات قد تتراءى للناظم أثناء النظم، وللقارئ أثناء القراءة".[3]

ويشير النقاد إلى أن هنالك حروف روي ضعيفة وكريهة، وينبغي على الشعراء اجتنابها" وهي على الترتيب: الثاء، والخاء، والذال، والزاي، والشين، والصاد، والطاء، والظاء، والغين، والواو".[4]

"وليست كراهية هذه الألفاظ في أجراسها الغليظة المنفرة فقط، فإن لها عيبا آخر هو قلتها في اللغة العربية، فإذا نظم الشاعر منها ضيّق على نفسه ما وسّعه الله عليه، فإما أن يكتفي بالمقطوعات التي لا تستوعب غرضه كله، وإما أن يعيدها بنفسها فيعيد قبحا مرتين".[5]

---

(1)والقافية على رأي الخليل بن أحمد هي آخر ساكنين في البيت وما بينهما، والمتحرك قبل أولهما، وعند الأخفش: آخر كلمة في البيت.

انظر: وهبة: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب القاف، ص 282.

القافية: هي الحروف والحركات التي على الشاعر أن يستلزمها في آخر كل بيت من أبيات القصيدة الواحدة، وتقوم على حرف يسمى الروي، يسبقه أو يلحق به أحرف وحركات ثابتة.

انظر: سمعان، سعيد: **الجديد في البيان والعروض**، مكتبة لبنان – بيروت، 1969م، ص 268.

(2) الرويّ هو أحد أحرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة، ويتكرر بتكرر أبياتها، وتنسب عليه عادة.

- انظر: وهبة: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب الراء، ص 190.

(3) البستاني، سليمان: **شرح إلياذة هوميروس**، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص 95 – 96.

(4) الجندي، علي: **الشعراء وإنشاد الشعر**، ص 120.

(5) المصدر نفسه، ص 122.

وكان أبو العتاهية يلتزم أحيانا في شعره حرفا قبل حرف الروي الأخير، وهو ما يعرف بلزوم ما لا يلزم، ولكنه ما كان يتعمد ذلك، بل كان حسّه الموسيقي يهديه إليه، فنراه يقول:[1]

كُلٌّ إلى الرَّحْمنِ مُنْقَلَبُــــهْ	وَالخَلْقُ ما لا يَنْقَضِي عَجَبُهْ
سُبْحانَ مَنْ جَلَّ اسْمُهُ وَعَلا	وَدَنا وَوَارَتْ عَيْنَهُ حُجُبُــهْ
ولَرُبَّ غَادِيةٍ وَرَائِحَــــــةٍ	لَمْ يَنْجُ مِنْها هارِباً هَرَبُــهْ
يا صاحِبَ الدُّنيا المُحِبَّ لَها	أَنْتَ الذِي لا يَنْقَضِي تَعَبُهْ
أَصْلَحْتَ داراً هَمُّها أَشِبٌ[2]	جَمُّ الفُروعِ كَثِيرَةٌ شُــعَبُهْ

(الكامل)

وقد جدّد الشعراء العباسيون كذلك في القوافي مستحدثين مـا سـموه باسـم المـزدوج والمسمَّطات، أما المزدوج فالقافية فيه لا تطّرد في الأبيات، بل تختلف من بيت إلى بيت، بينمـا تتحد في الشطرين المتقابلين، وعادة تنظم من بحر الرجز، وقد نظم أبو العتاهية من هذا الـنمط الجديد مزدوجته ذات الأمثال، ومن ذلك قوله:[3]

نَسْتَعْصِمُ الله فَخَيْرُ عاصِمِ	قَدْ يُسْعِدُ المَظْلومَ ظُلْمُ الظَّالِمِ
أَنْتَ إِلهي وَبِكَ التَّوْفِيـــقُ	والوَعْدُ يُبْدي نورَهُ التَّحْقِيقُ
اللهُ حَسْبي فِي جَميعِ أَمْرِي	بِهِ غَنَائِي وَإِلَيْهِ فَقْــــرِي

(الرجز)

ففي البيت الأول نجد صدر البيت ينتهي بالميم المكسورة وعجزه ينتهي بالروي نفسـه، وهو الميم المكسورة، وفي البيت الثاني القاف المضمومة في صدره وعجزه، والبيـت الثالـث الراء المكسورة مع الياء، والقافية في هذه الأبيات تختلف عن بعضها.

(1) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 49.

(2) أشب الشجر: اشتد التفافه وكثر.

– انظر: المعجم الوسيط، ص 39.

(3) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 445 – 446.

"وهذا النوع من الأوزان هو الذي رشّح لظهور الرباعيات في الأدبين العربي والفارسي، وهي تتألف من أربعة شطور، تتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة، أما الشطر الثالث فقد يتخذ نفس القافية وقد لا يتخذها".[1]

وقد جاءت حروف الروي في أشعار أبي العتاهية الزهدية في ثمانية عشر حرف روي، وهي على الترتيب: الهاء، النون، الراء، الباء، الدال، الكاف، العين، اللام، التاء، الحاء، القاف، الفاء، الضاد، الميم، الطاء، الألف، الياء.

"أما المسمّطات فهي قصائد تتألف من أدوار، وكل دور يتركب من أربعة شطور أو أكثر، وتتفق شطور كل دور في قافية واحدة، ما عدا الشطر الأخير، فإنه يستقل بقافية مغايرة، وفي الوقت نفسه يتحد فيها مع الشطور الأخيرة في الأدوار المختلفة، ومن أجل ذلك يسمى عمود المسمط، فهو قطبه الذي يدور عليه، وإنما سمّي مسمّطا من السمط، وهو قلادة تنظم فيها عدة سلوك تجتمع عند لؤلؤة أو جوهرة كبيرة، وكذلك كل دور في المسمّط يجتمع مع الادوار الأخرى في قافية الشطر الأخير".[2] وكتب لهذا النمط أن يشيع في الأندلس باسم الموشحات وأن يسكب الوشاحون فيه من الأنغام ما يمتع الأسماع والأفئدة وتنوعت القافية بين مطلقة ومقيدة.[3]

وقد وردت القافية المقيدة في أشعار أبي العتاهية قليلة جدا، فيقول في الموت:[4]

مَنْ يَعِشْ يَكْبَرْ وَمَنْ يَكْبَرْ يَمُتْ   والمَنايا لا تُبالي مَنْ أَتَتْ

(الرمل)

وقال أيضاً في الكلام عن الصديق:[5]

---

(1) ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي**، العصر العباسي الأول، ص 197.

(2) المصدر نفسه، ص 198.

(3) القافية المقيدة: هي ما كانت غير موصولة، أي ليس فيها حرف لين ناشيئ عن إشباع حركة الروي.

- انظر: وهبة: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب القاف، ص 284.

(4) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 55.

- انظر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج3، ص 138.

(5) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 274.

إِنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ كانَ مَعَكْ وَمَنْ ضَرَّ نَفْسَــهُ لِيَنْفَعَكْ

(الرجز)

وإذا اشترط النقاد في القافية المقيدة أن تعتمد على مد قبل حرف الــروي، فــإن عامــة البحور القصار يصلح فيها التقييد من غير اعتماد على مدّ قبله[1].

وفي أشعار أبي العتاهية وردت مقطوعتان نظمتا على البحر الطويل ومقطوعتان علــى البحر الكامل، وجاءت مقيدة القافية، مثل قوله:[2]

إِذا المَرْءُ لَمْ يُعْتِقْ مِنَ المالِ نَفْسَهُ تَمَلَّكهُ المالُ الذِي هُوَ مالِكُهْ

(الطويل)

وقـــــال:[3]

فتشْتُ ذِي الدُّنيا فَلَيْسَ بِها أَحَدُ أَراهُ لآخَرَ حامِدْ

(الكامل)

فشعر الزهد هو الغرض المناسب للقافية المقيدة، إلا أنها كثرت في البحور القصيرة والمجزوءة.

قـــــال أبو العتاهية:[4]

أَطِـــعِ اللهَ بِجُهْدِكْ عامِداً أَوْ دُونَ جُهْــدِكْ

(الرمل)

ومـــــن حروف الروي الضعيفة في أشــــعار أبي العتاهية وردت قافية الطاء، فقـــال فـــي ذم جمع المال:[5]

أَتَجْمَعُ مالاً لا تُقَدِّمُ بَعْضَهُ لِنَفْسِكَ ذُخْراً إِنَّ ذَا لَسُقوطُ

(الطويل)

---

(1) الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، الدار السودانية – الخرطوم، ج1، ص 43.

(2) أبو العتاهية: **أشعاره وأخباره**، ص 276.

(3) المصدر نفسه، ص 107.

(4) المصدر نفسه، ص 128.

(5) المصدر نفسه، ص 206.

أما أبو إسحاق الإلبيري فقد جاءت أشعاره في الزهد في اثنـــي عشـــر حـــرف روي، وهـــــي مرتبـــة : النون، الميـــم، اللام، الهاء، التاء، الباء، الراء، الكـــاف، الهمـــزة، الحـــاء، الدال، الفاء.

وقد تنوعت القافية عند أبي إسحاق الإلبيري بين مقيدة ومطلقة، فقد وردت القافية المقيدة في ست مقطوعات، فقال في التذكير بالعجز والكبر:[1]

فَقَدْ بلَغْتَ السِّتِّين وَيْحَكَ فاعْلَمْ   أَنَّ ما بَعْدَها عَلَيْكَ تَلَوَّمْ

(الخفيف)

وقال في رجل يجر ثيابه خيلاء في يوم عيد يقال له ابن أبي رجاء:[2]

ما عِيدُكَ الفَخْمُ إلا يَوْمَ يُغْفَرُ لَكْ   لا أَنْ تَجُرَّ بِهِ مُسْتَكْبِراً حُلَلَكْ

(البسيط)

نلاحظ من خلال قصائده ومقطوعاته التي نظمت على القافية المقيدة فإنها عامـــة مـــن البحور القصيرة.

واشتراط النقاد في القافية المقيدة أنها عامة ما تكون في البحور القصار، فإن أشعار أبي العتاهية ورد فيها مقطوعتان على البحر الطويل، ومقطوعتان على البحر الكامل، وجاءت مقيدة القافية، بينما أشعار أبي إسحاق الإلبيري اقتصرت فيها القافية المقيدة على البحور القصار، كما أنه التزم في القافية أكثر من حرف روي واحد، وهو ما يسمى بلزوم ما لا يلزم، كما كان أحيانا أبو العتاهية يلتزم ذلك في شعره.

من خلال الدراسة السابقة نجد أن شعر الزهد هو الغرض المناسب للبحور القصار؛ لأن هذا الشعر أكثره جاء قطعا صغيرة لا تتجاوز عشرة أبيات، بل كثيرا ما تقتصر علـــى البيتـــين والثلاثة، وذلك لأن طبيعة الزهد يخاطب فيه الشعراء عامة الشعب أكثر من الخاصـــة؛ ولأنـــه يعتمد على النصح والوعظ والتذكير بالموت والآخرة، والتنفير من الدنيا وذم الملوك والأغنياء، والإقامة فيمثل هذا المقام تبعث على الملل والسأم، فكان هذا هو الدافع علـــى الإيجـــاز، حتـــى القصائد الطوال في أشعار الزهد اعتمدت البحور القصار.

(1) الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، ص 50.

(2) المصدر نفسه، ص 70.

الخاتمة:

الحمد الله رب العالمين , والسلام على سيد الانبياء والمرسلين, وبعد:

فقد كان لأستاذي المشرف حفظه الله, دور رئيس في اختيار هذا المو ضوع, حيث إنه يتناسب مع طبعي وتوجهي, فتوكلت على الله, وسبرت غور هذا الموضوع, فوجدت في داخلي ارتياحاً نفسياً معه اثناء البحث والقراءة, وانعكاساً خارجياً على سلوكي وتعاملي مع الآخرين, بالنظر الى هذه الحياة الفانية, وخرجت بيقين تام أن موضوع الزهد يحتاجه كل إنسان في هذه الحياة, كي يفهمه ويتعامل معه بإيجابية, وخاصة أن الموضوع إسلامي النشأة, وقد علمنا القرآن الكريم الزهد في هذه الحياة, التي هي متاع الغرور، وعلمنا رسولنا الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم–, وصحابته الكرام النظر إلى هذه الدنيا بأنها ظل زائل, ودار ممر لا تدوم على حال, لنخرج منها غانمين الى دار الخلود التي أعدها الله –عزوجل– للعاملين الزاهدين, وقد تبين لي من خلال هذا البحث ما يأتي:

1. إن الزهد قد نشأ نشأة إسلامية خالصة مستمداً أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً, وهذا هو الزهد الإيجابي الذي لا يعني الانقطاع عن الدنيا وعن الناس وانتقلت هذه الظاهرة الى الناس مع علماء الدين والصحابة.
2. كانت الأحوال السياسية والاجتماعية من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية في المجتمع الإسلامي عند أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، حيث كان المجتمع يموج بألوان من المتناقضات، فالثراء والمجون يقابله البؤس والحرمان، ثم الصراعات السياسية، وإزهاق الأرواح والدماء والأشلاء المتناثرة.
3. نشأ الشعر في الأندلس شرقياً، فجاء مع العرب الفاتحين أو النازحين إليها، حيث ظهر تأثر الشاعر أبي إسحاق الإلبيري بأبي العتاهية في الموضوعات المطروقة، والسمات الفنية لشعر الزهد لديهما.
4. تعددت موضوعات شعر الزهد وتنوعت، حيث كان موضوع الموت أكثرها اهتماماً عند الشعراء، وما تسبقه من نذر الشيب والكبر، ثم ما يتصل بالموت من وصف القبور، وأحوال

الناس يوم القيامة، والتنفير من الدنيا، والتحذير من فتنتها، والقناعة وذم الحرص والمال، وذم ذوي الجاه والسلطان وكثرة النصائح والمواعظ.

5. إن سلاح الموت هو أقوى سلاح استخدمه الشاعران في شعرهما للتخويف والزجر، وما يعقب الموت من حساب وعقاب وجنة ونار.

6. الحكمة والزهد متلازمان فأينما ذكر الزهد ذكرت الحكمة؛ لأن الشاعر يعبر فيها عن تجربته الشخصية والاجتماعية والتاريخية والدينية، وأنها تضمن أسمى القيم التي ترضي العقل والخلق والدين.

7. إن لغة الزهد ســــهلة واضحة بعيدة عن التكلف وقد تصـــل إلى حد الابتذال والاقتراب من لغة العامة.

8. إن شعر الزهد يغلب عليه طابع المقطوعات وليس القصائد، وذلك بسبب الظروف النفسية التي يعيشها الشاعر، ثم لأنه يخاطب الطبقة العامة من الناس، فهي القاعدة الشعبية له، بحيث يسهل التأثير فيها، وتقبلها لما يقوله من أشعار.

9. برزت بعض الخصائص الفنية المشتركة لهذا الشعر، فهو في أغلبه شعر مقطوعات تحث على الزهد والتخلي عن الدنيا، والوعظ بها، وألفاظه جاءت سهلة بسيطة في تراكيبها، مع استخدام أساليب النداء والاستفهام والتعجب والتكرار؛ لتكون هذه المقطوعات أكثر تأثيراً وأسرع حفظاً وانتشاراً، حيث يتناقلها الوعاظ والقصاص والناس جميعاً على اختلاف فئاتهم.

10. استخدام أساليب البيان المختلفة في شعر الزهد؛ لرسم الصورة الشعرية، فجاءت هذه الصورة حيّة متحركة للموت والدنيا، وغيرها من موضوعات الزهد، صورة تنفر من الدنيا وتدعو للعمل للأخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

أحمد، محمد، ومولاي حفيظ بابوي، وبشرى علّيطي، **البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة**، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1998م.

إسبر، محمد سعيد وزميله، **معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**، باب التاء، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، 1981م.

الأسعد، عمر: **نصوص من الشعر العباسي**، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985مـ، مكتبة المنار: الأردن – الزرقاء.

الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، الجزء الرابع، دار الفكر: بيروت- لبنان، 1390هـ - 1970مـ.

الإلبيري، أبو إسحاق: **ديوانه**، حققه: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، 1396هـ - 1976مـ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، **المعجم الوسيط**، الطبعة الثانية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1392هـ-1972م.

أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: **صحيح البخاري**، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، مجلد 4، جزء 7، طبعة دار الفكر، 1419هـ - 1998مـ.

البستاني، سليمان: **شرح إلياذة هوميروس**، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

بهجت، منجد مصطفى، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي**، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1986م، مؤسسة الرسالة.

بيريس، هنري: **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ترجمة دكن الطاهر احمد مكي، الطبعة الأولى، ذو القعـدة 1408هـ - يونية 1988م، دار المعارف - القاهرة.

البيهقي، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين، ت: 458هـ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، المجلد السابع، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000مـ، دار الكتب العلمية: بيروت: لبنان، حديث رقم: 10248.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ت: 279هـ: **سنن الترمذي**، الجامع الصحيح، حققه: عبد الرحمن محمد عثمان، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983مـ، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، حديث رقم 2532.

الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق هـ. رينر، دار المسيرة، 1403هـ-1983م.

الجندي، علي: **الشعراء وإنشاد الشعر**، دار المعارف: القاهرة، 1387هـ - 1967مـ.

جوميث، إميليو جارثيا: **الشعر الأندلسي**، ترجمة عن الإسبانية، حسين مؤنس، دار الرشاد: القاهرة.

الحصري: **زهر الآداب**، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت – لبنان.

الحميري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر القطار**، حققه: الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان.

الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1995م، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، ت: 241هـ: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، "الموسوعة الحديثة"، تحقيق: مجموعة من العلماء، الجزء السادس، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1999م، مؤسسة الرسالة، حديث رقم: 3627.

خريوش، حسين يوسف حسين: **ابن بسام وكتابه الذخيرة**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، الجزء السادس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حققه: محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، 1394هـ - 1974م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ج3، الطبعة الثالثة، تحقيق الدكتور عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة، 1979م، فصل 40.

ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية.

خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر، 1402هـ/1981م.

الداية، محمـــــد رضـــوان: **المختار من الشعر الأندلسي**، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان.

الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج10، مؤسسة الرسالة– بيروت، 1981م..

الرافعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، ج3، الطبعة الثانية، 1394هـــ–1974م، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.

ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني: **العمدة**، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1383هـــ–1963م، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

الركابي، جودت: **في الأدب الأندلسي**، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، 1980م، دار العلم للملايين: بيروت.

الزنجاني، عبد الوهاب بن إبراهيم ابن عبد الوهاب الخزرجي، **كتاب معيار النظام في علوم الأشـــعار**، الجـــزء الثاني، تحقيق: الدكـــــتور محمد علي رزق الحفاجي، دار المعارف، 1991م.

الزيات، أحمد حسن: **تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا**، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

ابن سعيد الأندلسي: **المغرب في حلى المغرب**، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر، محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، الجزء الثاني، تحقيق الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـــ – 1983م.

سمعان، سعيد: **الجديد في البيان والعروض**، مكتبة لبنان – بيروت، 1969مـــ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ: **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، الجزء الأول، دار الفكر: بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ – 1981مـ، حديث رقم: 663.

شامي، يحيى، **أروع ما قيل في الشعر العربي**، الجزء الأول، دار الفكر العربي، بيروت.

شرارة، عبد اللطيف: **أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب**، الطبعة الأولى، نيسان "أبريل" 1962.

الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان. كانون الثاني (نيابر). 1983م.

الشكعة، مصطفى: **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، دار العلم للملايين: بيروت، 1975م.

شلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**. دار النهضة، مصر، القاهرة، 1978م.

الشناوي، علي الغريب محمد: **دراسات في الشعر الأندلسي**، قدّم له: محمود علي مكي، مكتبة الآداب.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، دار الكتاب العربي، 1967.

ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، العصر العباسي الأول، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1409هـ/1989م.

حسين، طه، وزملاؤه: **المنتخب من أدب العرب**، الجزء الثاني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1350هـ – 1931مـ.

الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الدار السودانية: الخرطوم، 1970م.

العبادي، عدي بن زيد، **ديوانه**، حققه وجمعه: محمد جبار المعيبد.

عباس، إحـــــسان: **تاريخ الأدب الأندلـــــسي، عصر ملوك الطوائف والمرابطين**، دار الثقافة.

عباس، فضل حسن: **البلاغة فنونها وأفنانها**: علم البيان والبديع، الطبعة الثالثة، دار الفرقان، 1419هـــ - 1998مـــ.

عبد الجليل، محمد بدري، **تصوير المقام في البلاغة العربية**، دار المعرفة الجامعية - مصر.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، تحقيق: عبد المجيد الترجيني، ج3، الطبعة الثالثة، 1407هـــ - 1987مـــ، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان.

عبد الرحيم، مصطفى عليا، **تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، مؤسسة الرسالة.

أبو العتاهية: **أشـــــعاره وأخباره**، تحقيق: شـــــكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر.

عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية–بيروت، 1405هـــ–1985م.

عطا الله، رشيد يوسف: **تاريخ الآداب العربية**، المجلد الأول، تحقيق: علي نجيب عطوي، الطبعة الأولى، 1985م، عز الدين، لبنان.

عطية، مختار، **علم اللبيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م.

عيسى، فوزي، **في الأدب الأندلسي**، الطبعة الأولى، 1424هـــ–2003، دار المعرفة الجامعية.

غريّب، جـــورج: **العــرب في الأندلـــــس**، الطبعة الثالثة، 1978، دار الثقافة، بيروت – لبنان.

غومث، إميليو غرسيه، **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، نقله إلى العربية د. الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثالثة، جمادى الأولى، 1403هـ – مارس 1983مـ، دار المعارف: القاهرة.

ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، الجزء الأول، دار الثقافة: بيروت– لبنان، 1964.

ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، شرحه وضبطه وعلَق عليه: د. يوسف علي طويل، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1418هـ– 1998م.

قطب، سـيد: **في ظلال القرآن**، ط 12، المجلد الرابع، دار العلم للطباعة والنشر، 1406هـ – 1986مـ.

الكفراوي، محمد عبد العزيز، **تاريخ الشعر العربي في العصرين الأول والثاني من خلافة بني العباس**، الجزء الثاني.

الكيالي، عبد الوهاب: **موسـوعة السـياسـة**، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ابن ماجة، أبو عبـد الله محمد بن يزيد القزويني: **سـنن ابن ماجة**، المجلد الثاني، تحقيق: محمد فؤاد عبـد الباقي، دار الريان للتراث.

المبرد، الإمام أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل**، حققه: محمد أحمد الدالي، المجلد الثالث، مؤسسة الرسالة.

المراكشي، ابن عذارى: البيان **المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج3، تحقيق: إ. ليفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج3، دار الأندلس للطباعة والنشر: بيروت.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: **الحكمة الخالدة**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، 1925م.

مسلم، الإمام أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: 261هـ، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

مصطفى، محمود راشد يوسف: **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية – نابلس، فلسطين، 1425هـ – 2004مـ.

ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، الطبعة الرابعة، دار المعارف.

المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر في العصر العباسي**، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة عشرة، 1994م.

المقري التلمساني، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، حققه: احسان عباس، الجزء الأول، دار صادر: بيروت.

الملاح، ياسر: **من الفجر إلى الغروب قصة الأدب العربي في الأندلس**، الطبعة الأولى، 1413هـ – 1993مـ، مطبعة الإسراء.

ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد السادس، الطبعة الأولى، 1408هـ – 1988مـ، دار إحياء التراث العربي.

أبو موسى، محمد، التصوير البياني، **دراسة تحليلية لمسائل البيان**، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1400هـ – 1980م.

نوفل، أحمد، يوسف (دراسة تحليلية) سلسلة القصص القرآني، ط1، دار الفرقان، عمان، 1409هـ/1989م.

نوفل، محمد محمود قاسم، **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، الطبعة الأولى.

النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

نيكل، أ. ر: **مختارات من الشعر الأندلسي**، الطبعة الأولى، كانون الثاني، 1949م، بيروت، دار العلم للملايين – بيروت.

الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب**، الطبعة السابعة والعشرون، 1398هـ – 1978م، دار الكتب العلمية: بيروت– لبنان.

هدارة، محمد مصطفى، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. دار المعارف، القاهرة، 1963م.

الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، ت: 807هـ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج3، مؤسسة المعارف، بيروت، باب خطاب القبر.

وافي، علي عبد الواحد، **فقه اللغة**، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة– القاهرة، 1393هـ – 1973م.

وهبة، مجدي وزميله: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، باب الهمزة، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان–بيروت، 1984م.

يعقوب، إميل بديع، **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية–بيروت، 1411هـ – 1991م.

الموسوعات:

الأفندي، محمد ثابت وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر.

الرســــائل:

الدريدي، أشجع رشيد عبد الجبار، **شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف** "**رسالة ماجستير**"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

رواجبة، أحمد راضي: **التأثر والتأثير في شعر الزهد في العصر الأموي** "**رســالة ماجستير**"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.

مصطفى، محمود راشد يوسف: **الفجر عند الشاعر يوسف الثالث** "رسالة ماجستير" جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1425هـ–2004م.

فهــــرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصـــفحة
"وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين"	يوسف	12	20	5
"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"	القيامة	75	22 – 23	59
"وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير"	لقمان	31	34	60
"ما لهذا الكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فوجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً"	الكهف	18	49	60
"وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون"	العنكبوت	29	64	61
"كل من عليها فان"	الرحمن	55	26	64
"وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون"	العنكبوت	29	41	65
"والتفت الساق بالساق"	القيامة	75	29	71
"وقيل من راق"	القيامة	75	27	71
"وَقُل ربِّ زِدْني عِلْماً"	طه	20	114	74
"لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرّة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم"	الأنعام	6	94	80
"فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى"	الليل	92	14 – 15	86
"يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم"	النساء	4	71	86، 127
"اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"	البقرة	2	44	94
"وأحضرت الأنفس الشح"	النساء	4	128	122

الآية	السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصـــــفحة
"وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد"	ق	50	16	122
"وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد"	ق	50	21	122
"وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً"	طه	20	111	124
"يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً"	التحريم	66	8	125
"تبت يدا أبي لهب وتب"	المسد	111	1	125
"وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال"	الرعد	13	11	125
"وذا النُّون إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانْكَ إِنيِّ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيَن".	الأنبياء		87	126
"فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون".	البقرة	1	152	126
"وَمَا تَدرِي نَفْس بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ".	لقمان		34	126
"أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه، بلى قادرين على ان نسوي بنانه"	القيامة	75	4	127
"كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبونَ"	المطففين	38	14	127
"ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"	المائدة	5	56	128
"قال: فما خطبك يا سامري، قال: بصرت بما لم تبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول، وكذلك سوّلت لي نفسي، قال: فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول: لا مساس"	طه	20	97 – 95	131

فهـــــرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الصفحة
"لا تزول قدما عبد حتى يسأل..."	الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت: 279هـ، سنن الترمذي، الجماع الصحيح، حققه: عبد الرحمن محمد عثمان، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، رقم الحديث: 2532، ص36.	74، 128
"إن المؤمن يرى ذنوبه..."	ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، ت: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، "الموسوعة الحديثية"، تحقيق مجموعة من العلماء، الجزء السادس، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1999م، مؤسسة الرسالة، رقم الحديث: 3627، ص131.	75
"مالي وللدنيا؟..."	ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السادس، حديث رقم: 3709، ص241.	128
"من حوسب يوم القيامة عذّب"	مسلم، الإمام أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: 261هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبين كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم: 79/ (2876)، ص2204.	129
"من كان معه فضل من ظهر..."	ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المجلد 17، رقم الحديث: 11293، ص394 - 395.	129
"إن من أحبكم إليّ وأقربكم من مجلساً يوم القيامة..."	الترمذي، سنن الترمذي، الجامع الصحيح، ج3، باب ما جاء في معاني الأخلاق، رقم: 70، حديث رقم: 2087، ص 249 - 250.	130
"اغتنم خمساً قبل خمس	البيهقي، الإمام أبو بكر أحمد ابن الحسين، ت:	129

الحديث	الراوي	الصفحة
شبابك قبل هرمك..."	458هـ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، المجلد السابع، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000مـ، دار الكتب العلمية: بيروت: لبنان، حديث رقم: 10248، ص263.	
"إذا سألتم الله تبارك وتعال فاسألوه الفردوس"	الترمذي	85
"القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"	الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، ت: 807هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج3، مؤسسة المعارف، بيروت، باب خطاب القبر، ص49.	130
ابن آدم ما لي ما لي..."	ابن حنبل، ج26. ص276.	123
"كن في الدنيا كأنك غريب..."	البخاري	52
"ازهد في الدنيا يحبك الله..."	ابن ماجة	6، 89
"يا عبد الله كيف بك إذابقيت في حثالة من الناس..."	ابن حنبل	121

فهـــــرس الأعلام والأماكن

فهـــــرس القوافي

البيت	القافية	البحر	الصفحة
قـــالوا ألا نســـــــــتجد بيتا تعجب مـــن حـــــسنه البيوتُ	التاء	مجزوء البسيط	65
تفت فؤادك الأيام فـــــــــتا وتنحت جـسمك الساعات نحتا	التاء	الوافر	34
ومن ملك كان السرور مهاده مع الآنسات الخرد الخفـــــراتِ	التاء	الطويل	82
حـــــــسبك مما تبتغيه القـــــــــوت ما أكثر القوت لمـــن يمـــــوتُ	التاء	الكامل	93
سأنعى إلى الناس الشباب الذي قضى تخرمّت الدنيا الشـــباب وشبَّبتْ	التاء	الطويل	98
الله بيني وبيــــــــن مــــــولاتي أبدت لي الصدّ والمــــلالات	التاء	المنسرح	140
كلنا في غفلـــــة والـــــــــــــ مــــوت يغـــــدو ويروحُ	الحاء	مجزوء الرمل	50
أؤمل أن أخلـــــــد والمـــــنايا يثبن عليّ من كـــل النواحِـــي	الحاء	الوافر	52
ويحملني إلى الأجداث صحبي إلى ضيق هناك أو انفــــساحِ	الحاء	الوافر	130
إن الفســـــــاد ضده الصلاح ورب جـــد جرّه المــــــزاحُ	الحاء	الكامل	144
وطاعـــــة تعطي جنان الخلد ونسب يعليك ســــــور المجدِ	الدال	الرجز	12
تمر لداتي واحداً بعد واحـــد وأعلم أني بعدهم غير خالـــــدِ	الدال	الطويل	43
تجرّد من ادلنيا فإنك إنـــــما وقعت إلى ادلنيا وأنت مجـــردُ	الدال	الطويل	70
فتشت ذي الدنيا فليس بـــها أحـــداً أراه لآخـــــر حامـــــدْ	الدال	الكامل	91
لن تصلح الناس وأنت فاسد هيهات ما أبـــــعد ما تكابـــــدْ	الدال	الكامل	94
أرى الموت ديناً لـــه عـــلة فتلك التي كـــنت منها تحيـــــدُ	الدال	المتقارب	122
ليت شعري وكيف حالك يا نفــ س غداً بين سائق وشــــــــهيدِ	الدال	الخفيف	122
ما أقرب الـــموت جـــــــــداً أتاك يشـــــــــتد شـــــــدّا	الدال	المجتث	84
تبلغ من الدنيا ونل من كفافها ولا تعتقدها في ضمير ولايـــــدِ	الدال	الطويل	164
لمن المال الـــذي أجمعــــــه ألنفـــــــسي أم لأهلي والولـــــدِ	الدال	الرمل	138
ما زالت الدنيـــا لنا دار أذى ممزوجة الصـــــفو بألوان القذى	الذال	الكامل	93
أرواح مــــــودع أم بكور أنـــــت فانظر لأي أمر تصـــيرُ	الراء	الخفيف	6

البيت	القافية	البحر	الصفحة
تذكر أمين الله حقي وحرمتي وما كنت توليني لعلك تذكـــــرُ	الراء	الطويل	17
تفديك نفسي من كل ما كرهت نفسك إن كنت مــذنبا فاغـــــفرْ	الراء	المنسرح	18
بل أين أهل التقى والأنبياء ومن جاءت بفضلهم الآيات والســـورُ	الراء	البسيط	8
ولو أنني أدعو الكلام أجانبـــي كإجابة المأســـور دعوة آســـرِ	الراء	المتقارب	34
عـــش ما بدا لك ســــالما في ظــل شـــاهقة القصـــورْ	الراء	مجزوء الكامل	62
وقد يهلك الإنسان من باب أمته وينـــجو بإذن الله من حيث يحذرُ	الراء	الطويل	71
ويـــل لأهل النار في النـــار ماذا يقاســـون مــن النـــارِ	الراء	السريع	85
يـــا عجباً للناس لـــو فكروا أو حاســـبوا أنفســـهم أبصـــروا	الراء	السريع	120
لكن رأيت نبينا قـــد عابـــه مــن كل ثرثار وأشـــدق شــاعرِ	الراء	الكامل	130
من سابق الدهر كـــبا كبوه لم يســـتغلها من خطى الدهـــر	الراء	السريع	131
أهـــل القبـــور أحـــبتي بعـــد الجزالـــة والســـرورِ	الراء	مجزوء الكامل	147
فإن تعاقب فأهل للعقاب وإن تغفر فعفوك مأمـــول ومـــنتظرُ	الراء	البسيط	149
الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الـــدارُ	الراء	البسيط	84
أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كـــأن به عن كل فاحشـــة وقـــرا	الراء	الطويل	92
ولكنه حشـــرو نشر وجـــنة ونار وما قد يســـتطيل به الخبرُ	الراء	الطويل	170
رضيت بذي الدنيا لكل مكابـــر ملح على الدنيا وكـــل مفاخـــرِ	الراء	الطويل	177
كأن الخلق ركـــب فيـــه روح له جســـد وأنت عليه رأسُ	السين	الوافر	18
لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وإن تمنّعت بالحجّاب والحرسِ	السين	البسيط	69
وصرت إلى دار هي الدار لا التي أقمت بها حيّاً وأنت نشـــيطُ	الطاء	الطويل	11
أتجمع مالاً لا تقـــدم بعضـــه لنفسك ذخراً إن ذا لســـقوطُ	الطاء	الوافر	189
إن للخير لرســـــماً بيّناً طبـــع الله عليه ما طبـــعْ	العين	الخفيف	24
ألا أيها المخادع نفســـــه رويدك أتدري من أراك تخادعُ	العين	الطويل	138

البيت	القافية	البحر	الصفحة
أذن حـــــــيّ تســــــــــمعي أســـــــــمعي ثم عي وعـــي	العين	مجزوء الخفيف	168
الحرص لؤم ومثله الطمــــــع ما اجتمع الحرص قطّ والـــورعْ	العين	المنسرح	178
ليس شيء على المنون بـــــباق غير وجه المـــــسبّح الخــــلاقِ	القاف	الخفيف	6
يا عجباً كلنا يحيد عـــــن الـــ حيـــن وكـــــل لحينه لاقِـــي	القاف	المنسرح	70
يوسع الضيق الرضا بالضيق وإنما الرشــــــــــد من التوفيق	القاف	الكامل	44
وما الموت إلا رحلة غير أنه من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي	القاف	الطويل	53
نادت بي الدنيا فقلت لها اقصري ما عدّ فــــي الأكياس مـــــن لباكِ	الكاف	الكامل	66
الموت بيــــن الخلق مشـــترك لا ســـوقة ببــــقى ولا مــــــــلكْ	الكاف	السريع	80
إن أخاك الصدق من كان معك ومـــن يضرّ نفســــــه لينفعــــكْ	الكاف	الرجز	90
إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المــــــال الذي هو مالكــــهْ	الكاف	الطويل	173
أطـــــــع الله بجهـــــــــــدك عامـــــــداً أو دون جهــــــــــدكْ	الكاف	الرمل	189
عيني على عتبـــة منهلــــــة بدمعها المنسكب الســــــائلِ	اللام	السريع	13
أعلمت عتبـــــــة أنــــــني منها على شرف مطــــــــل	اللام	مجزوء الكامل	14
يا راعي النفس لا تغفل رعايتها فأنت عن كل ما استرعيت مشؤولُ	اللام	البسيط	54
إلى كم أقول ولا أفعـــــــل وكم ذا أحـــــوم ولا أنــــــزلُ	اللام	المتقارب	58
ستخلق جدة وتجـــود حـــــال وعنـــــد الحق تختبر الرجــــالُ	اللام	الوافر	62
أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جـــــليلُ	اللام	الطويل	89
ما أميل النفس إلى الباطـــــل وأهـــون الدنيا على العاقــلِ	اللام	السريع	97
فلا تثق بالغنى فآفته الفقـــــر وصرف الزمــــــــان ذو دولِ	اللام	المنسرح	180
تعلقــــــــــــت بآمـــــــال طـــــوال أيّ آمــــــــــالِ	اللام	مجزوء الوافر	112
ألا إنما التقوى هو العز والكرمُ وحبك الدنيا هو الذلُّ والعــدمُ	الميم	الطويل	12
ســــــاكني الأجداث أنتــــــم مثلنا بالأمــــــس كــــنتمْ	الميم	مجزوء	13

البيت		القافية	البحر	الصفحة
			الرمل	
ولربما استيأست ثم أقــول لا	إن الذي ضمن النجاح كريــمُ	الميم	الكامل	15
فها هو ذا يقضي على الرغم منكم	فموتوا بغيظ واصنعوا كيف شئتمْ	الميم	الطويل	43
ألا يا أيها الملك المرجّــــــــى	عليه نواهـــــض الدنيا تحــــومُ	الميم	الوافر	83
لكل ما يؤذي وإن قــــلّ ألــم	ما أطول الليل على مــــن لم ينمْ	الميم	الكامل	93
لقد بلغت الستين ويحك فاعلم	أن ما بعــــــــدها عليـــك تلومْ	الميم	الخفيف	190
فالمال مــن حلة قـــــــوام	للعرض والوجه واللســـــانِ	النون	المنسرح	24
ما أقرب الموت مـــــــنا	تجاوز الله عنـــــــــــــا	النون	المجتث	52
كــــــم آمن للمنــــون لا	عــن الردى بات مطـــــمئنا	النون	البسيط	57
كأنه قد ســـــــــــقانا	بكأســــــه حيـــث كــــنَّا	النون	المجتث	52
إلهي لا تعذبـــــني فإني	مقر بالذي قد كـــان منِّـــي	النون	الوافر	136
الناس فــــــي غفلاتـــهم	ورحى المنـــــــية تطحــنُ	النون	مجزوء الكامل	152
صاروا حديثاً بعدهــــــم	إن الحديث منسوب لذو شجون	النون	مجزوء الكامل	168
إنما أنت رحمة وســـلامة	زادك الله غبطــــة وكرامـــه	الهاء	الخفيف	18
من مبلغ عنــــي الإمــــا	م نصائــــــحا متواليـــــه	الهاء	مجزوء الكامل	26
أرى الدنيا لمن هي في يديه	عذاباً كلما كـثرت لديـــــه	الهاء	الوافر	26
ألا حي العقاب وقاطنيـــه	وقل أهلا به وبســـــاكنيــه	الهاء	الوافر	32
وكم من ملوك قد رأينا تحصنت	فعطلت الأيام منها حصونهــــا	الهاء	الطويل	27
كل إلى الرحمن منقلبــــــه	والخلــــق ما لا ينقضي عجبه	الهاء	الكامل	187
فلو أنا إذا مــتنا تركـــــنا	لكان الموت راحة كل حــــــيّ	الياء	الوافر	83
كأن الأرض قد طويت عليا	وقـــد أخرجت مما فــــي يديّا	الياء	الوافر	53

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Asceticism Experience Between Abee el-Atahlyah and Abee Ishaq Al- Elbeeri: Comparative Study

By

Mahmoud L. Abdallah

Advisor

Professor Wa'el Abu Saleh

Submitted in Partial Fulfillment for the Requirements for the Degree of Master in Arabic, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine

2009

Asceticism Experience Between Abee el-Atahlyah and Abee Ishaq Al-Elbeeri: Comparative Study
By
Mahmoud L. Abdallah
Advisor
Professor Wa'el Abu Saleh

Abstract

This study holds a comparison between poetry of asceticism of Abee el-Atahiyah and that of Abee Ishaq Al-Elbeeri. Using the analytical method, the study was divided into three chapters. Chapter one dwelt on both general and personal motivations for the writing of poetry of asceticism by Abee el-Atahiyah and Abee Ishaq Al-Elbeeri. The general motivations for the composition of poetry of asceticism by Abee elAtahiyah were social and political lives. On the other hand, the personal motivations were fear, lowliness, instinct of defense and adaptation, avarice, and carefulness vis a vis his asceticism, community of masses, kinship, stronghold, grievances, smell of death and its psychological traits as well as his natural readiness. Pertaining to Abee Ishaq Al-Elbeeri, the general motivations for his poetry of asceticism included political and social conditions while his personal motivations were his work in litigation and the influence of oriental poets on him.

Chapter two tackled the themes dealt with in poetry of asceticism by the two poets in question. These themes included death, life in this world preaching and advising, derogation of kings, lives, consequences of death, wise sayings and proverbs and grayness of the hair and sarcasm of the old man who pretends to be young.

Chapter three highlighted the artic qualities of poetry of asceticism of both Abee el-Atahiyah and Abee Ishaq Al-Elbeeri in terms of language

(form) literary image and music. More specifically, the researcher looked at the closeness of meaning, ease of pronunciation, influence of Islamic ideas, predicate sentences, poetry popularity, juxtaposition (antithesis) and synonyms. He also dealt with types of comparison: allegorical, individual, and implied.

This is in addition to figurative speech including metaphors, similes, and metonymy. Regarding music, the researcher focused on form of the poem as well as its style, assonance (puns), repetition, frankness, recycling, poetic measure and rhyme scheme.